صُوَرٌ مِنْ جِهَادِ الصَّحَابَةِ

عمليات جهادية تنفذها مجموعات خاصة من الصحابة



صلاح عبد الفتاح الخالدي



صُوَرٌ مِنْ جِهَادِ الصَّحَابَةِ

عَمَلِيَّاتٌ جِهَادِيَّةٌ خَاصَّةٌ

تُنَفِّذُهَا مَجْمُوعَاتٌ خَاصَّةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ

الطَّبْعَةُ الثَّالِثَةُ
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

تُطلب جميع كتبنا من:
دار القلم - دمشق هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٤٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣
الدار الشامية - بيروت هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١) ص.ب: ١١٣/٦٥٠١
www.alkalam-sy.com

توزَّع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:
دار البشير - جدَّة: ٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١

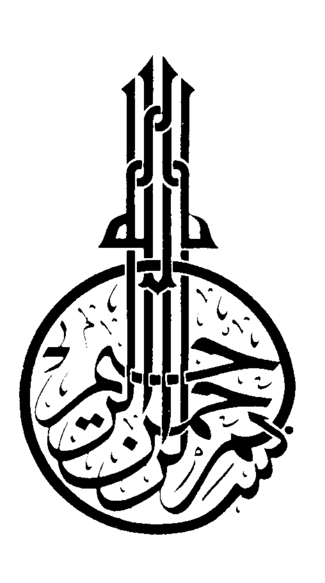
قبساتٌ تاريخيَّة
(٣)

صُوَرٌ مِن جِهادِ الصَّحابة

عَمليَّاتٌ جِهادِيَّةٌ خاصَّةٌ
تُنفِّذُها مَجْمُوعاتٌ خاصَّةٌ مِنَ الصَّحابَةِ

الدكتور
صلاح عبد الفتاح الخالدي





المقـــدّمَة

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه، ونتوب إليه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شـرورِ أَنفسنا، ومن سيئاتِ أَعمالنا، من يهدِ اللهُ فلا مضلَّ لـه، ومنْ يُضللْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلـه إلاّ الله، وحدَه لا شريكَ له، وأَشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلواتُ الله وسلامُهُ عليه، وعلى آله وصحبه أَجمعين.

أمّا بعد:

فهذه هي الحلقةُ الثالثةُ من سلسلة (قبسات تاريخية) التي قويَ عزمي على اقتباسِها من تاريخنا الإسلامي، وصياغتِها والتنسيقِ بينها، وتقديمِها للمسلمين في هذا العصر.

كانت الحلقةُ الأولى: (الخلفاء الراشدون بين الاستخلاف والاستشهاد). خصصتُها للحديثِ عن قصةِ استخلافِ واستشهادِ كلِّ واحدٍ من الخلفاء الراشدين الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي. رضوانُ الله عليهم.

وكانت الحلقةُ الثانية: (الرسولُ المبلِّغ: ﷺ). خصصتُها للحديثِ عن صورةٍ خاصةٍ من صورِ تبليغِ رسول الله ﷺ الدعوة، وهي إرسالُ الرسائلِ إلى ملوكِ وحكامِ الدولِ في عصره، يَدعوهم فيها للدخولِ في الإسلام.

تابعتُ قصةَ كلِّ كتابٍ أَرسله رسول الله ﷺ، ورصدتُ موقفَ الملك أَو الحاكم المرسلِ إليه من الكتاب، وماذا كانت نتيجةُ تلك المكاتبة.

والآنَ أُقدمُ هذه الحلقةَ الثالثة من السلسلة: (صورٌ من جهادِ الصحابة) رضوان الله عليهم.

وهدفي من هذا الكتابِ أنْ أُقدمَ للقراءِ الكرام صوراً جهاديةً مشرقةً للصحابة المجاهدين رضي الله عنهم، قاموا فيها بعملياتٍ جهاديةٍ رائدة، كانوا فيها مُجاهدين في سبيلِ الله، ومنفذين للتوجيهاتِ الجهادية في الكتاب والسنة، ومقتدين برسولهم المجاهدِ ﷺ.

وقويَ عزمي على اختيارِ هذه الصورِ الرائعةِ لعملياتٍ جهاديةٍ فريدة، نفذَتْها مجموعاتٌ مجاهدةٌ خاصة من الصحابة، بأَمْرٍ من رسول الله ﷺ.

لقد أعانني اللهُ قبلَ سنةٍ على تهذيبِ أَفضلِ كتابٍ في الجهاد، هو كتابُ: (مشارع الأَشواق إلى مصارع العشاق) أو (مثير الغرام إلى دار السلام). في فضائل الجهاد، للإمام المجاهد الشهيد (أحمد بن إبراهيم بن النحاس الدمشقي) الذي استشهد في جهاد الصليبيين سنة: (٨١٤ هـ).

لقد طُبعَ كتابُ ابنِ النحاس محقَّقاً في مجلدين كبيريْن، تَزيدُ صفحاتُهما على ألفٍ ومئة صفحة، وفيه الكثير من الأَخبار والروايات والرؤى والمنامات التي لم تثبتْ ولم تُعتمد، فدعت الحاجةُ إلى تهذيبه، فهذَّبتُه في أَربعمئة صفحة، واستبعدْتُ من التهذيب كلَّ ما لم يثبت، وما لا داعيَ له، ولقي الكتاب قَبولاً عند الإخوة القراء، والحمدُ لله رب العالمين، وأسألُ اللهَ أنْ يقبلَ الكتاب عنده!.

وقد أَحببتُ أَنْ أُكملَ هذا الكتاب بكتابٍ آخر، أُقدمُ فيه صوراً ونماذج من جهادِ الصحابة، باعتبارهم أفضلَ جيلٍ مجاهد من أَجيالِ المسلمين!.

مهدتُ لهذه الصورِ الجهاديةِ العشرة بتمهيد، جعلتُ عنوانَه: (. . . انفروا ثُبات أو انفروا جميعاً). وهذه جملةٌ قرآنيةٌ من آيةٍ حكيمة تقدِّمُ توجيهاً جهادياً عالياً للمسلمين، وهي قولُه تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا﴾ [النساء: ٧١].

بينتُ في هذا التمهيد أَهميةَ وأصالةَ الجهادِ في الإسلام، على أَنَّ هذا الجهاد هو روحُ الإسلام، وعلامةُ حياته، وذروةُ سنامه.

وهذا الجهادُ هو أَوضحُ مزيةٍ لسيرة رسول الله ﷺ، التي يمكنُ أَنْ يكونَ عنوانُها: (سيرةُ الرسول المجاهد).

وعرضتُ في هذا التمهيد بعضَ الآياتِ القرآنية، التي تقدمُ توجيهاتٍ جهاديةً للمسلمين على اختلافِ الزمان والمكان، حتى قيام الساعة، وكان عَرْضي لها عرضاً موجزاً لا يَعدو أنْ يكونَ رؤوسَ أَقلام، لأَنَّ تفسيرها وتقديمَ حقائقها يحتاجُ إلى دراسةٍ خاصة!.

وذكرتُ أنَّ قولَه تعالى: ﴿فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا﴾ يدلُّ على نوعيْن من الجهاد:

الأول: جهادُ الثُّباتِ أَو المجموعات: تقومُ فيه مجموعةٌ جهاديةٌ معينة، مكونةٌ من عددٍ قليلٍ من المجاهدين ـ أَقلَّ من عشرة مجاهدين غالباً ـ بعمليةٍ جهاديةٍ خاصة، وتنتهي مهمةُ تلك المجموعة المجاهدة بانتهاءِ تلك العملية الجهادية.

الثاني: جهادُ الجميع: ﴿أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا﴾، يتحركُ فيه الجيشُ المجاهدُ بمجموعِ أَفرادِه للقيامِ بقتالٍ في غزوةٍ أَو سرية أو معركة.

وخصصتُ هذا الكتابَ للنوعِ الأَول، وهو جهادُ الثُّبات والمجموعات زمنَ الصحابة رضوان الله عليهم.

عرضتُ فيه عشرَ صورٍ من جهاد الصحابة، زمنَ رسول الله ﷺ، كلُّ واحدةٍ منها تسجيلٌ لعمليةٍ جهادية فريدة، قامتْ بها مجموعةٌ مجاهدةٌ من الصحابة، شكَّلَها رسولُ الله ﷺ، ووجَّهها نحو هدِفها الجهادي.

وقد فصلْتُ القولَ في كلِّ عملية جهادية، من بدايةِ تشكيلِ المجموعةِ المجاهدة، إلى سيرها نحو هدفها، وعودتِها بعدَ القيام بعمليتها الجهادية.

وأَخذتُ تفاصيل تلك العملياتِ الجهادية الخاصة من المصادرِ التاريخية

الصحيحة، ككتبِ الحديثِ والسيرة والتاريخ. وكنتُ أَذكرُ مجموعةً من المراجعِ في نهايةِ كلِّ صورةٍ معروضة، من بابِ التوثيق العلمي، ولدعوةِ القراءِ للعودةِ إلى تلك المراجع ـ أو بعضها ـ إنْ أَرادوا. . .

ورتبتُ هذه الصورَ الجهادية العشر ترتيباً تاريخياً، على ما رجَّحه المؤرخون ورواةُ السيرة.

والصورُ الجهادية التي عرضْتُها هي:

١ ـ مجموعةُ عبدِ الله بن جحش رضي الله عنهم تقتلُ أولَ مشركٍ في الشهرِ الحرام. وهي أولُ مجموعةٍ مجاهدة تنجحُ في قتلِ أَولِ مشرك، وسبي مشركيْن اثنيْن، والاستيلاءِ على قافلةِ قريش التجارية. وكانت عمليتُها الجهاديةُ في شهر رجب من السنة الثانية للهجرة.

٢ ـ مجموعةُ محمد بن مسلمة الأنصاري رضي الله عنهم تقتلُ زعيمَ الغدرِ اليهودي كعب بن الأشرف. وقد قامتْ هذه المجموعةُ المجاهدةُ بقتلِ زعيم يهود بني النضير بعد غزوةِ بدر، في ربيع أول من السنة الثالثة للهجرة. وقد أَهدرَ الرسولُ ﷺ دمَ كعبِ بن الأشرف بسبب جرائِمه العديدة ضدَّ الإسلام والمسلمين.

٣ ـ مجموعةُ عبدِ الله بن عتيك رضي الله عنهم تقتلُ زعيمَ يهودِ خيبر سلاّم ابن أبي الحُقَيْق ـ أبا رافع ـ وكان قتْلُه في أواخرِ السنةِ الخامسة من الهجرة. بسبب جرائمه العديدة ضدَّ الإسلام والمسلمين.

٤ ـ مجموعةُ أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم: وقد وجَّهها رسولُ الله ﷺ في أواخرِ السنة الخامسة من الهجرة، في مهمةٍ جهاديةٍ إلى منطقة (سيف البحر) على شاطئ البحر الأحمر، ولم تلقَ المجموعةُ عدواً، ولم تُنشبْ هناك قتالاً، ولكنَّ أفراد المجموعة جاعوا جوعاً شديداً، فأكرمهم اللهُ بحوتٍ عظيم عجيب، هو حوتُ العنبر.

٥ ـ عبدُ الله بن أُنيس الأنصاري رضي الله عنه يقومُ وحده بعمليةٍ جهادية

عجيبة، حيث وجّهه رسول الله ﷺ وحده، في محرم من السنة السادسة للهجرة، لقتل زعيم الكفار سفيان بن خالد الهُذَلي، الذي كان يجهزُ جيشاً كبيراً لغزوِ المدينة، فأدّى واجبه على أحسن صورة.

٦ ـ مجموعةُ محمد بن مسلمة الأنصاري رضي الله عنهم تأسرُ ثُمامةَ بن أُثال الحنفي، سيد بني حنيفة، وزعيم اليمامة، وكان ذلك في محرم من السنة السادسة للهجرة، ونتج عن ذلك إسلامُ ثُمامة بن أُثال رضي الله عنه، وانتشارُ الإسلام في بني حنيفة.

٧ ـ عمرو بن أُمية الضَّمري رضي الله عنه يوفدُه رسول الله ﷺ في شوال من السنة السادسة للهجرة لمحاولةِ اغتيالِ أبي سفيان في مكة، رداً على المحاولة الفاشلة التي خططَ لها أبو سفيان لاغتيالِ رسول الله ﷺ في المدينة، ولكنّ عمرو ابن أُمية لم ينجح في هذه المهمة، لأسبابٍ خارجة عن إرادته، فاستعاضَ عن قتلِ أبي سفيان بقتل مشركين آخرين!.

٨ ـ سَلَمةُ بن الأكوع رضي الله عنه يقومُ وحده بعملية جهادية رائعة فريدة، معروفةٌ في السيرة بغزوةِ ذي قَرَد، وذلك في ذي الحجة من السنة السادسة للهجرة، وقد واجَهَ وحده جيشاً من المشركين، وطاردَهم يوماً كاملاً، ونجح في استخلاصِ واستعادةِ كلِّ ما سلبوه من المسلمين، من سرحٍ وماشية ومتاع!.

٩ ـ مجموعةُ أبي بصير ـ عُتبةُ بن أُسيد الثقفي ـ رضي الله عنهم تنجحُ في مواجهة وإرهاب قريش، وإنهاك وإضعاف اقتصادها، والسيطرة على قوافلها التجارية، وذلك عندما أَنشأَ أبو بصير في السنة السابعة من الهجرة قاعدةً جهادية في منطقةِ (سيف البحر)، مما دفع قريشاً لأنْ ترجوَ رسول الله ﷺ، أن يُعيدَ ويضمَّ هذه المجموعة المجاهدة له في المدينة.

١٠ ـ مجموعةُ فيروز الديلمي رضي الله عنه في صنعاء تنجحُ في قتل المتنبئ الكذاب الأسود العَنْسِي ـ عَبْهَلَةُ بنُ كعب ـ وتقضي على فتنته في اليمن، وتُعيدُ

اليمن إلى الإسلام، وذلك قبل يومٍ وليلة من وفاة رسول الله ﷺ.

إنني أُقدِّمُ هذه الصور الجهادية العشرة للقراء الكرام، ليتعرَّفوا منها على عشرِ عمليات جهادية عجيبة، قامت بها عشرُ مجموعاتٍ مجاهدة من الصحابة.

وأرجو أنْ يطَّلع القراءُ الكرام على نماذج من الجهاد الأصيل، الذي قام به الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، ليعلموا عمقَ هذا الخطِّ الجهاديِّ في حياتهم، ذلك الجهادُ الذي تعلَّموه من كتاب الله، وهديِ رسول الله ﷺ.

وإنَّ يومَ الجهاد قادمٌ بإذن الله، ولن تبقى الأمةُ المسلمةُ على ما هي عليه من قعودٍ وتثاقل، ونكوصٍ واستسلام، وذلٍّ وجبنٍ وهوان، فسوف تعودُ إلى إسلامها، وتستردُّ عافيتها، وتواجهُ أعداءها، وتجاهدهم جهاداً كبيراً مبروراً، إن شاء الله، فالملاحمُ القتاليةُ قادمة، والجهادُ ماضٍ إلى يوم القيامة، وويلٌ للأعداء من رجال هذه الأمة عندما يجاهدون في سبيل الله حقّ الجهاد.

أُقدمُ هذه الصور الجهادية للقراء الكرام، لعلَّ الله أن ينفع بها، وأسألُ الله فضله وإحسانه وتوفيقه.. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

صويلح في ٩/ ٩/ ١٩٩٩م
٣٠/ ٥/ ١٤٢٠هـ

الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي

انفروا ثُبات... أو انفروا جميعاً

الجهاد روح الإسلام:

الجهاد روح الإسلام، وهو أصيلٌ في هذا الدين، بل هو أصيلٌ في كلِّ دينٍ قبلَه، فكلُّ نبيٍّ جاء بالجهاد، وكلُّ كتابٍ من كتب الله كان يحثُّ على الجهاد، ويُرغب المجاهدين فيه، ويَعدهم بالجنة.

ودليلُ هذا قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ﴾ [التوبة: ١١١].

تنصُّ الآية على أنَّ الله طالب المؤمنين بالجهاد، ووعدَهم الجنة مقابل ذلك، وأخبرهم أنَّ هذا ليس في القرآن فقط، وإنما هو في التوراة والإنجيل أيضاً: ﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ . . . ﴾ [التوبة: ١١١].

وقد أكثر القرآنُ من الحديث عن الجهاد، والترغيب في القتال، والحثِّ على مواجهة أعداء الله!.

وتكلم رسول الله ﷺ عن الجهاد كثيراً، وأحاديثهُ عن الجهاد تُشغلُ حيِّزاً كبيراً في كتب الحديث.

ولم يكن رسول الله ﷺ مجرد متكلمٍ عن الجهاد، وإنما كانت حياتُه العملية كلُّها جهاداً في سبيل الله.

حياتُه الدعوية في العهد المكي كانت قائمةً على (جهاد الدعوة)، القائم

على البيـان والتبليغ، وإقامة الحجة، والثبات على الحق، ومواجهة أصحاب الباطل!.

وحياته في العهد المدني كانت جهاداً أيضاً، جهاد الدعوة والحجة والثبات، وجهاد القتال والحرب والمعركة.

وأصدقُ عنوانٍ لسيرة رسول الله ﷺ هو: «سيرة الرسول المجاهد ﷺ»!!.

وقد غرس رسول الله ﷺ هذا المعنى الجهاديَّ الأصيل في نفوس أصحابه الكرام رضوان الله عليهم، باعتباره روح الدين الإسلامي، وذروة سنامِه السامق، فكانوا مجاهدين في سبيل الله، صادقين في الجهاد، وقامت حياتُهم على الجهاد بنوعيه:

جهاد الدعوة، وجهاد الحرب.

ثناء الله على الصحابة المجاهدين:

كانوا يتسابقون في الخروج للجهاد مع رسول الله ﷺ، لا يقعدون خلفه، ولا يتخلَّفون عنه، يُجاهدون بدون استئذان، ويندفعون فيه بهمَّةٍ وحيويةٍ وحماسٍ واندفاع!.

وصفهم الله بذلك في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤٤].

وأثنى الله عليهم في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٢ ـ ١٧٤].

وانطبق عليهم قول الله سبحانه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا

وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦ ـ ١٤٨].

وأخبر الله أنهم اقتدوا برسول الله ﷺ المجاهد، في جهاده وفي كلِّ جوانب حياته، وبذلك صدقوا ما عاهدوا الله عليه، من نصرِ هذا الدين، والجهاد في سبيل الله، ومواجهة أعداء الله. قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٢١ ـ ٢٣].

ولقد نصر الله هذا الدين العظيم بجهاد رسول الله ﷺ، وصحبه المجاهدين الكرام، وفتح له القلوب والبلدان، ودخل الناس في دين الله أفواجاً!.

توجيهات قرآنية جهادية:

وأمر الله المؤمنين أن يجاهدوا في سبيله (حقَّ جهاد)، وذلك بأن يبذُلوا كلَّ جهدِهم وطاقتِهم في ذلك، وأن يجمعوا بين الركوع والسجود وفعلِ الخير والجهاد، على اعتبار أنَّ هذه الأشياء كلَّها عبادة، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ﴾ [الحج: ٧٧ ـ ٧٨].

وعندما يجاهدون في سبيل الله حق جهاده، فإن الله سيهديهم سبل الخير والفلاح والرشاد. قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وهذا معناه أنَّ الذين لا يُجاهدون في سبيل الله لا يهديهم الله سُبُلَ الفلاح،

ولا يُرشدهم إلى طريق الخروج من المآزق والمشكلات التي يمرُّون بها.

فلما جاهد الصحابة ومَنْ بعدهم في سبيل الله بصدق، هداهم اللهُ سبلَ الخير، وأسبغ عليهم رضوانه.. ولما توقَّفت الأمُة عن الجهاد في سبيل الله في هذا الزمان، طمع فيها أعداؤُها، وزادت مشكلاتُها ومصائبها، ولم تعرف طريق الخروج منها، لأنه لا خروج منها إلا بالجهاد الصادق المبرور!!.

وقد أخبرنا الله أنَّ الجهاد خير، وأنه هو التجارة الرابحة المنجية من العذاب قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٠ ـ ١٣].

وإذا كان الجهاد خيراً للأمة بنصِّ هذه الآية، فإنَّ القعود عنه شرٌّ كبير، ومن الواجب على الأمة أن توقن بهذه الحقيقة، وأن تطبقها في حياتها تطبيقاً عملياً، لتنال ذلك الخير، الذي لن تصل إليه إلاّ عن طريق الجهاد في سبيل الله.

وقد أمر الله المؤمنين أن يُجاهدوا الكفار، ويُقاتلوهم بغلظةٍ وشدةٍ وقوة! فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١٢٣].

كما أمر الله رسوله ﷺ بتحريض المؤمنين على الجهاد، وترغيبهم فيه، وحثِّهم عليه، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ﴾ [الأنفال: ٦٤ ـ ٦٥].

وأمر الله المؤمنين أن يتسلَّحوا بمختلفِ أنواع الأسلحة، وأن يأخُذوا بمختلف مظاهر القوة، ليُرهبوا بذلك أعداء الله، فإرهابُهم للأعداء جهادٌ وعبادة، يتقربون به إلى الله! قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ

﴿مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

والمسلمون مأمورون بضرب الأعداء بشدةٍ وقوة، وتخويفهم وإرهابهم. وذلك لتأديبهم وتأديب الآخرين مِنْ خلفهم! قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٥٥ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ۝٥٦ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝٥٧ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٥ ـ ٥٨].

هذا هو جزاء الأعداء الذين يحاربون المسلمين، والذين ينقضون عهدهم معهم، فيغدرون ويخونون، أو يُقاتلون ويحتلّون، إنَّ الموقف من هؤلاء هو ضربُهم بشدةٍ وغلظةٍ وقوة، ضربُهم ضربةً شديدةً قوية، تقضي عليهم، وتُشرد الآخرين من خلفهم، المتربِّصين بالمسلمين، وتملأُ قلوبَهم رعباً وذُعراً، ورهبةً وخوفاً!.

هذه هي توجيهات القرآن الجهادية للمسلمين، تُرشدُهم إلى التعامل الصحيح مع الأعداء المحاربين.

مصطلحات قرآنية جهادية:

وهذه هي مصطلحات القرآن الجهادية، التي يتلقّاها المؤمن من القرآن الكريم، ويؤمن بصدقِها وصحبتها.

الجهاد تجارةٌ رابحة وليس تهوُّراً واندفاعاً: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ [الصف: ١٠].

الجهادُ خيرٌ وليس شراً: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١].

والغلظةُ في قتال الأعداء وجهادهم واجبة: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: ١٢٣].

والتحريض على الجهاد أمرٌ من الله في القرآن: ﴿حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾ [الأنفال: ٦٥].

وإرهابُ الأعداء واجبٌ قرآني: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

هذا كلام الله في القرآن وليس بعد كلامِ اللهِ كلام!!.

جهاد المجموعات وجهاد الجماعات:

هذا وإنَّ من توجيهات القرآن الجهادية أنه يُشير إلى نوعين من الجهاد: جهادِ المجموعات.. وجهادِ الجماعات.

وهذان النوعان من الجهاد مذكوران في قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا﴾ [النساء: ٧١].

يأمر الله المؤمنين في هذه الآية أن يكونوا حذرين عندما يخرجون لجهاد الأعداء! وأخذُ الحذر لا يعني القعودَ عن الجهاد بحجة الحذر والحيطة، وإنما يعني الاستعداد للجهاد، والخروج له، مع أقصى درجات الانتباه والحيطة، والذكاء والفطنة، ودقة النظر، وحُسن التصرف.

عندما ينفر المؤمنون للجهاد ينفرون على حالتين، والحالتان مذكورتان في الآية:

الأولى: جهاد المجموعات. وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿... فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ﴾.

الثانية: جهاد الجماعات. وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿... أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا﴾.

الحالة الثانية لا تحتاج إلى بيان، لأنها معروفةٌ في السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، حين كان يخرج رسول الله ﷺ للجهاد ومعه مئاتٌ أو آلافٌ من أصحابه،

كما في غزوات: بدر وأُحُد والخندق وفتح مكة وغزوة حنين وتبوك وغيرها.

أو كان رسول الله ﷺ يشكِّلُ سريةً من الصحابة بإمرة أحدِ الصحابة، مكوَّنةٍ من عشراتٍ أو مئات، كما في غزوة مؤتة.

وهذا كان في معارك الفتح الإسلامي، عندما كان المسلمون يخرجون للجهاد في سبيل الله، كما حصل في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين، وكما حصل في حروب المسلمين مع الصليبيين والتتار وغيرهم.

معنى قوله تعالى: ﴿... فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ...﴾:

والذي يحتاج إلى بيانٍ وتحليلٍ هو الحالة الأولى: جهاد المجموعات، أو جهاد (الثُّبات)، كما ذكرت الآية: ﴿فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ﴾.

(ثُبات): لم تَرِدْ إلاّ في هذا الموضع من القرآن.

وهي جمعٌ بمعنى: متفرقين. مفردُها (ثُبَة).

قال الإمام الراغب الأصفهاني في كتابه (مفردات ألفاظ القرآن) عن هذه الكلمة:

«(فانفروا ثُبات): هي جمعُ ثُبَة، أي: جماعةٌ منفردة.

قال زهير بن أبي سلمى:

وقد أغدو على ثُبَةٍ كرامٍ ... نشاوى واجدين لِما نشاءُ

ومنه قولُك: ثَبَّيتُ على فُلان، أي: ذكرتُ متفرِّقَ محاسنِه.

ويُصغَّرُ (ثُبَة) على: ثُبَيَّة، ويُجمع على (ثُبات). والمحذوف منه هو لامُ الفعل...»[1].

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن، ص١٧٢.

الفعل منه (ثَبى). تقول: ثَبى، يَثْبو، ثَبْواً، إذا جُمع.

و(الثُّبَـةُ) هي: المجموعة من الرجال.

و(الثُّبات) هي: مجموعات الرجال المجاهدين.

ورد في (المعجم الوسيط) حول هذا المعنى: «ثَبى الرجلُ الشيءَ: جَمَعَهُ. و: ثَبى الجيْشَ: جعله جماعات. و: الثُّبَـةُ: الجماعة. وتُطلق على الجماعة من الفرسان خاصة. والجمعُ: (ثُبات)»[1].

إذن (الثُّبات): هي المجموعـات. ولا تكاد تُطلق إلاّ على مجموعـات الفرسان المجاهدين، كلَّ مجموعةٍ مكوَّنةٌ من عددٍ قليلٍ من الرجال.

تفسير ابن كثير للآية:

ننتقلُ الآن لمعرفة المراد بالثُّبات في الآية: ﴿فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ...﴾.

قال الإمام ابن كثير في تفسيره للآية: «يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بأخذ الحذر من عدوِّهم، وهذا يستلزم التأهُّب لهم، بإعداد الأسلحة والعُدَد، وتكثير العَدَدِ بالنفير في سبيل الله.

(ثُبات): أي: جماعةٌ بعد جماعة، وفِرقةٌ بعد فرقة، وسريَّةٌ بعد سرية.. والثُّبات جمع (ثُبة). وقد تُجمع الثُّبةُ على: ثِبين.

قال ابن عباس: ﴿فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ﴾. أي: عُصَباً. يعني: سرايا متفرقين. ﴿أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا﴾: يعني: كُلُّكُم.

وكذا قـال مجاهد، وعكرمـة، والسـدي، وقتـادة، والضحاك، وعطاء الخراساني، ومقاتل ابن حيان...»[2].

---

(١) المعجم الوسيط، ص٩٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ١/٤٩٧.

وتفسير سيد قطب للآية:

وسجَّل سيد قطب بعض إيحاءات الآية وظلالها، وعلَّق على ذلك تعليقاً رائعاً، فقال: «.. وإنَّ الإنسان ليعجب، وهو يراجع القرآن الكريم، فيجد هذا الكتاب يرسم للمسلمين ـ بصفةٍ عامة طبعاً ـ الخطة العامة للمعركة، وهي ما يُعرف باسم (استراتيجية المعركة).

ففي الآية الأخرى يقول للذين آمنوا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾.

وفي هذه الآية يقول للمؤمنين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴾. وهي تبيّن ناحيةً من الخطة التنفيذية، أو ما يُسمَّى (التاكتيك).

وفي سورة الأنفال جوانب كذلك في الآيات: ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأنفال: ٥٧].

وهكذا نجد هذا الكتاب لا يعلّمُ المسلمين العبادات والشعائر فحسب، ولا يعلمهم الآداب والأخلاق فحسب ـ كما يتصوَّر الناس الدين ذلك التصور المسكين! ـ إنما هو يأخذ حياتهم كلَّها جملة، ويعرضُ لكلِّ ما تتعرضُ له حياةُ الناس من ملابساتٍ واقعية.

وها هو ذا كتاب الله، يرسم للمسلمين جانباً من الخطة للمعركة، المناسبة لموقفهم حينذاك، ولوجودِهم بين العداواتِ الكثيرة في الخارج، وحلفائِهم من المنافقين واليهود في الداخل!!.

﴿ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴾: (ثُبات): جمعُ ثُبة، أي: مجموعة. والمقصودُ: لا تخرجوا للجهاد فرادى، ولكن اخرجوا مجموعاتٍ صغيرة، أو الجيش كله.. حسب طبيعة المعركة...»[1].

---

(١) في ظلال القرآن: ٢/ ٧٠٤ ـ ٧٠٥ باختصار.

المجاهدون إذنْ صنفان، كما تُحدد الآية ذلك:

ـ صنفٌ يقومُ بجهادٍ جماعي: ناتجٍ عن جيشٍ منظَّمٍ مسلَّح.

ـ وصنفٌ يقومُ بجهادِ مجموعات: هي (الثُّباتُ) المجاهدة!.

الصحابة يجاهدون ثبات ومجموعات:

وقد شمل جهاد الصحابة زمن رسول الله ﷺ الحالتين: جهاد الجماعات، وجهاد الثُّبات والمجموعات.

وقام جهاد الثُّباتِ والمجموعات على توجُّهِ مجموعةٍ من المجاهدين قد تقلُّ عن عشرة أفراد، وقد تزيد على ذلك، لهدفٍ جهاديٍّ محدَّد، وعمليةٍ جهاديةٍ معينة، كقتل زعيمٍ من زعماء الأعداء المحاربين، أو الاستيلاء على شيء من أمتعتهم، أو اختطافِ أُناسٍ منهم. ويكون هذا بتوجيهٍ من رسول الله ﷺ.

وتنتهي تلك المجموعة المجاهدة بانتهاء العملية الجهادية الموكولة لها، ويَحُلُّ رسول الله ﷺ المجموعة التي أمر بتشكيلها، بعد أدائها لمهمتها.

والأمثلة على هذا النوع من جهاد الثُّبات والمجموعات كثيرةٌ في حياة الصحابة المجاهدين، سواء كان زمن رسول الله ﷺ، أو زمن الخلفاء الراشدين.

وننتقلُ الآن إلى العمليات الجهادية الرائعة، التي قامت بها المجموعات والثُّباتُ المجاهدة من الصحابة، والتي تمَّ تشكيلُها بأمر رسول الله ﷺ، وتحديد هدفِها بأمرٍ منه أيضاً عليه الصلاة والسلام!.

* * *

(١)
مجموعةُ عبد الله بن جحش الأسدي
تقتلُ أولَ مشركٍ في الشهر الحرام

هذه أولُ مجموعةٍ مجاهدةٍ يشكّلُها رسول الله ﷺ، تنجح في قتل أول رجلٍ مشرك، وهي من أوائل المجموعات المجاهدة التي قامت بعملياتٍ جهادية فعلية، أوقعت الرعب في قلوب الكافرين.

الغزوات والسرايا الأولى بعد الهجرة:

سبق عملية هذه المجموعة أربعُ غزواتٍ غَزاها رسول الله ﷺ بنفسه، بعد هجرته إلى المدينة.

وهذه الغزواتُ هي:

١ ـ غزوة (وَدَّان)، أو (الأبواء)، التي كانت في صفر من السنة الثانية للهجرة، وخرج مع رسول الله ﷺ مئتا مجاهدٍ من الصحابة، ولم يحصل فيها قتالٌ مع المشركين.

٢ ـ غزوة (بُواط)، التي كانت في ربيع الأول من السنة الثانية للهجرة، وخرج مع رسول الله ﷺ مئتا مجاهد أيضاً، ولم يُدرك الرسول ﷺ قافلة قريش.

٣ ـ غزوة (العُشَيرةَ)، التي كانت في جمادى الأولى من السنة الثانية للهجرة، وخرج مع رسول الله ﷺ مائتا مجاهد، ولم يحصل فيها قتالٌ مع المشركين. ووادَعَ رسول الله ﷺ بني مُدْلِج وحُلفاءَهم بني ضَمْرَة.

٤ ـ غزوة (بدر الأولى)، التي كانت في جمادى الآخرة من السنة الثانية

للهجرة، وقد خرج مع رسول الله ﷺ مائتا مجاهد إلى منطقة (بدر)، ليلحق بقوةٍ خفيفةٍ من المشركين بقيادة (كُرْزِ بن جابر الفِهْرِيّ) لكنَّه لم يدركه، ولم يحصل فيها قتال.

كما سبق هذه العملية الجهادية ثلاثُ سرايا[1] شكَّلها رسول الله ﷺ لمواجهة المشركين، وهذه السَّرايا هي:

١ ـ سريَّةُ حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه: وقد شكَّلها رسول الله ﷺ من ثلاثين من المهاجرين المجاهدين، في رمضان من السنة الأولى للهجرة، ووجَّهها نحو منطقة (العيْص) على ساحل البحر الأحمر، لتلحق بمجموعةٍ من المشركين مكوَّنة من ثلاثمئةِ رجل، بقيادة أبي جهل، لكن لم يحصل فيها قتال، حيث حجزَ بين المسلمين والمشركين (مَجْدي بن عمرو الجُهني) زعيم المنطقة!.

٢ ـ سريَّة عبيدة بن الحارث رضي الله عنه: وقد شكَّلها رسول الله ﷺ من ستين من المهاجرين المجاهدين، في شوال من السنة الأولى للهجرة، ووجَّهها نحو وادي (رابغ)، لتلحق بمجموعةٍ من المشركين، مكوَّنة من مئتي رجل، بقيادة أبي سفيان.. وقد حصلت مناوشاتٌ بين الطرفين، ورمى فيها سعدُ بن أبي وقاص رضي الله عنه بأول سهمٍ في الإسلام.. ولم يُجرح فيها أحدٌ من الطرفين.

٣ ـ سريَّة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: وقد شكَّلها رسول الله ﷺ من عشرين من المهاجرين المجاهدين، في ذي القعدة من السنة الأولى للهجرة، ووجَّهها لتلحق بقافلةٍ تجاريةٍ لقريش في منطقة (الخَرَّار) بين مكة والمدينة. ولكنَّ القافلة نَجَتْ، وعاد المجاهدون إلى المدينة.

وبعد ذلك كانت (سريَّة عبد الله بن جحش) رضي الله عنه، فهي الرابعة بين السرايا، والثامنة بين مجموع الغزوات والسرايا، حتى تاريخِها.

---

(١) السرية: المجموعة من الجيش التي لم يخرج فيها رسول الله ﷺ، أما ما يخرج فيها الرسول ﷺ فهي غزوة.

رسول الله يشكّل سرية عبد الله بن جحش من ثمانية :

في منتصف السنة الثانية للهجرة علمَ رسول الله ﷺ بمرورِ قافلةٍ تجاريةٍ كبيرةٍ لقريش، قادمةٍ من الطائف، محمَّلة بالزبيب والتمر والجلود وغيرها، فأراد أن يتعرَّض لها، ليحاصر قريشاً حصاراً اقتصادياً شاملاً. ولقد كان في حالة حربٍ مع قريش، ومن صور الحرب المشروعة الحربُ الاقتصادية، بهدف إنهاكِ وإضعافِ اقتصادِ الأعداء!.

شكَّل رسول الله ﷺ مجموعةً مجاهدةً من الصحابة المجاهدين، وجعلها بإمرةِ عبد الله بن جحش الأسدي رضي الله عنه، وهو ابن عمةِ رسول الله ﷺ، وأحدِ السابقين إلى الإسلام.

وأعضاء المجموعة السبعةُ هم: سعدُ بن أبي وقّاص، وعُتبة بن غَزْوان، وعُكّاشة بن مُحْصِن، وأبو حذيفة بن عُتبة، وعامر بن ربيعة، وواقد بن عبد الله، وخالد بن أبي البُكير.. رضي الله عنهم.

قال عبد الله بن جحش رضي الله عنه: صلَّيتُ العشاء يوماً مع رسول الله ﷺ في المسجد، ولما فرغْنا من الصلاة دعاني رسول الله ﷺ قائلاً: وافِنِي غداً مع الصبح، ومعك سلاحُك، سأبعثُك في مهمة!!.

وعندما طلع الفجرُ حمل (عبد الله بن جحش) رضي الله عنه سلاحه، السيف والرمح والسهم والقوس.. وأتى المسجد، وصلّى الفجر مع رسول الله ﷺ.

ولما أنهى الصلاة وقف على باب المسجد، ووجدَ مجموعةً من المهاجرين واقفين على باب المسجد، بانتظار أمر رسول الله ﷺ.

دعا رسول الله ﷺ أُبيَّ بن كعب الأنصاريَّ رضي الله عنه ـ وكان كاتِباً ـ وأمره أن يكتب كتاباً، أملاهُ عليه.. ثم أمر بالصحيفة فلُفَّتْ في أديم ـ قطعة من جلد ـ وأُحكم لَفُّها.

المجموعة المجاهدة تحمل كتاباً سرياً :

ثم دعا الرسول ﷺ عبد الله بن جحش رضي الله عنه، وقال له : قد استعملتُك على هؤلاء النَّفر، وجعلتُك أميراً عليهم.. فاخرجْ بهم، واحمل كتابي هذا، وامض في الطريق إلى مكة، وبعد أن تسير ليلتين افتح الكتاب، ونفِّذ ما فيه!.

ودعا رسول الله ﷺ المجموعة المجاهدة ـ المجاهدين السبعة ـ وأخبرهم أنه أمَّرَ عليهم عبد الله بن جحش، وأمَرَهم أن يسمعوا له ويُطيعوا.

وحملَ المجاهدون الثمانية سلاحهم، وساروا في الطريق إلى مكة، منفِّذين أمر رسول الله ﷺ.. ومع أميرِهم كتاب رسول الله ﷺ ملفوفٌ في قطعةٍ من جلد.. وهم لا يدرون ما فيه، ولا يعرفون أين يتوجَّهون!.

استخدم رسول الله ﷺ مع هذه المجموعة المجاهدة أُسلوب (الرسائل السرية المكتومة): ورقةٌ، كُتب فيها أمرٌ، والمجموعةُ مطالبةٌ بتنفيذه، ولا يعرفُ واحدٌ من أفرادها هذا الأمر، حتى أميرُ المجموعة لا يعرفه.. ومع هذا تسير المجموعة المجاهدةُ مسافةً طويلة!! ولم يُفكِّر واحدٌ من أفرادها بفتح الرسالة المكتومة، ومعرفة ما فيها من توجيهٍ وتكليف، قبل انقضاء المدة المحدَّدة!.

تدل هذه الحادثة على طاعةِ الصحابة لرسول الله ﷺ، وعلى ثقتهم به، ويقينهم بحكمتهِ وصواب رأيه، ولا يُنفذُ الجنديُّ أمراً سرياً مكتوماً إلا إذا كانت ثقتُه بأميرهِ عالية، وكانت درجة جنديته وانضباطِه عاليةً أيضاً!!.

لما سار المجاهدون ليلتين كاملتين، جلسوا عند بئرِ (ابن ضُميرة).

وفتح عبد الله بن جحش كتاب رسول الله ﷺ. وهو لا يدري ماذا فيه! وقرأه، فإذا فيه: «سر حتى تأتي (بَطْنَ نَخْلَة)، على اسم الله وبركاته، ولاتُكرِهَنَّ أحداً من أصحابك على المسير معك، وامضِ لأمري فيمن تبعك، حتى تأتي بطن نخلة، فترصَّد بها عيرَ قريش..».

قرأ عبد الله بن جحش كتاب رسول الله ﷺ على إخوانه المجاهدين، وقال لهم: قد أمرني رسول الله ﷺ أن أمضي إلى نخلة، لأرصد فيها عيراً لقريش، وقد نهاني أن أستكره منكم أحداً، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلقْ معي، ومن كره ذلك فليرجعْ من الآن، ولا شيء عليه! أمَّا أنا فإنّي ماضٍ لأمرِ رسول الله ﷺ!.

لماذا نهى رسول الله ﷺ الأمير عن أن يستكره أحداً على السير معه؟.

إنَّ الرسول ﷺ يريد من المجاهد أن يسير للجهاد بتفاعلٍ وحيويةٍ ونشاط. لا أنْ يُساق إلية سوقاً وهو مُكرهٌ! ويريد أن يُحضِّر نيتَه للجهاد، وهذا لا يكون إلا إذا كان راضياً مختاراً!.

مع أنَّ الرسول الله ﷺ يعرفُ أصحابه، ويعرف حرصهم على الجهاد، ورغبتهم فيه، وحماسهم له، وعندما يُخيَّرون بين الجهاد أو القعود فسيختارون الجهاد!!!.

ولذلك لما خيَّر عبد الله بن جحش إخوانه المجاهدين رضي الله عنهم قالوا جميعاً: نحن سامعون ومُطيعون لرسول الله ﷺ، ولكَ، فسِر بنا حيث شئتَ، على بركة الله!.

المجموعة تتوجه نحو بطن نخلة:

ساروا متوجِّهين نحو (نخلة). وهي واقعةٌ على الطريق بين مكة والطائف، وهي في أرضِ الحِلّ، وليست في أرضِ الحَرَم!.

وكان سيُرهم في رجب من السنة الثانية للهجرة. وكان معهم أربعة جِمال، كلُّ اثنين على بعير، يعتقبانه ويتناوبان رُكوبه، بحيث يركبُ كلُّ واحدٍ نوبة، بينما يمشي أخوهُ على قدميه...

وبينما كان المجاهدون في منطقة (بُحران) في طريقهم إلى نخلة، أضلَّ

سـعدُ بن أبي وقـاص وعُتبـة بن غزوان رضي الله عنهما بعيرَهمـا، الذي كانـا يعتقبانه. . وبحثا عنه فلم يجداه، وأذِنَ الأمير لهما أن يتخلَّفا للبحث عن البعير، وعندما يجدانه يلحقانِ بالمجموعة. . وتابع المجاهدون سيرهم إلى نخلة!!.

وصل المجاهدون الهدف (بطن نخلة) في أواخر شهر رجب، ومعلومٌ أنَّ شهر رجب من الأشهر الحُرُم، التي يحرمُ فيها القتال، وقد كان المشركون في الجاهلية متفقين على عدم القتال في الشهر الحرام.

المجموعة المجاهدة وقافلة قريش التجارية:

وبعدما أقام المجاهدون الستة أياماً في (بطن نخلة) يرصُدون عير قريش، مرَّت بهم القافلة المطلوبة. .

كانت عيراً لقريش، تحملُ زبيباً وجلداً وأمتعةً، قادمةً من الطائف. . ومع العير أربعةٌ من الرجال يحرسونها، هم: عمرو بن الحضرمي، والحكمُ بن كيسان المخزومي، وعثمان بن عبد الله المخزومي، وأخوهُ نوفل بن عبد الله. .

وفي منطقة (نخلة) نزل القرشيون الأربعة ليستريحوا، وكانوا قريبين من المجموعة المجاهدة، لكنّهم لم يروهم! أمّا المجاهدون الرَّاصدون فقد رأوهم!.

ها هو الهدف أمام المجاهدين، فماذا يفعلون؟.

ليس أمامهم إلاّ أن يُقاتلوهم، ويستولوا على قافلتهم، لأنهم كفارٌ في حالة حربٍ مع المسلمين، وهم ودماؤهم وأموالهم هدر!.

لكنَّ آراء المجاهدين في التصرف المناسب معهم تباينت، وسببُ ذلك هو اختلافهم في تقدير الموقف: هل هذا اليوم هو آخر يومٍ من شهر رجب الذي يحرمُ فيه القتال أم هو أول يومٍ من شهر شعبان الذي لا يحرمُ فيه القتال؟ اختلفوا في تحديدِ هذا اليوم! وهم الآن في منطقة (نخلة)، وهي ليست تابعةً للحَرَم، فهي من أرض الحِلّ، وإذا لم يُقاتلوهم هذا اليوم وانتظروا إلى الغد يكونون قد دخلوا أرض الحرمِ التي يحرمُ فيها قتالُهم! اختلفوا في هذا أيضاً!.

نظر المشركون إلى المجاهدين من بعيد، فتوجَّسوا منهم خيفة. لكن عُكّاشة ابن محصن رضي الله عنه أشرف عليهم من بعيد ـ وكان حالِقاً لرأسه ـ فلما رأوه من بعيدٍ هكذا قال بعضهم لبعض: هؤلاء قومٌ معتمرون، لا تخافوا منهم! فنزلوا، وأراحوا رواحِلهم، وأنزلوا عنها أمتعتهم، وجلسوا يصنعون طعاماً. . .

وبينما كانوا يصنعون طعامهم كان المجاهدون يتشاورون في التصرف المناسب، فذهب بعضهم إلى أنَّ هذا اليوم هو آخر يومٍ من شهر رجب، ولذلك لا يجوزُ قتالهم، وذهب آخرون إلى أنَّ هذا اليوم هو أوَّلُ يوم من شهر شعبان، ومن ثم يجوزُ قتالهم.

المجاهدون يأسرون ويقتلون ويستولون على القافلة:

وأخيراً رجح المجاهدون أنّ هذا اليوم هو أول شهر شعبان، ولذلك قرروا قتالَهم! وأذِنَ أميرهم لهم بذلك.

هجم المجاهدون على الكافرين، وأوّل من رماهم هو واقد بن عبد الله، حيث وجَّه سهامه إلى أمير القافلة عمرو بن الحضرمي ـ وكان واقدٌ رامياً ماهراً، لا يُخطئ رميته ـ فأصابه وقتله.

ولما فوجئ الثلاثة الباقون بالسِّهام تتساقط عليهم ولَّوا هاربين، فلحق بهم المجاهدون. . أمَّا نوفل بن عبد الله بن المغيرة فقد تمكَّن من الإفلات والنجاة، وذهب إلى مكة يُخبر أهلها بما جرى للقافلة!!.

وأمّا عثمان بن عبد الله بن المغيرة والحكم بن كيسان، فقد استأسرا. .

أخذهما المجاهدون أسرى، واستاقوا العير، وأخذوا القافلة وما فيها. . وأقبلوا بالأسيرين والقافلة إلى رسول الله ﷺ في المدينة!.

ولما وصلوا المدينة فوجئ رسول الله ﷺ بما فعلوا. فقد تبيَّن له أنهم قتلوا عمرو بن الحضرميَّ أمير القافلة في آخر يومٍ من شهر رجب، أي قتلوه وقاتلوا الكفار في الشهر الحرام.

أنكر رسول الله ﷺ قتالهم وقتلهم في الشهر الحرام، واعتبر هذا تصرفاً اجتهادياً منهم، لكنه اجتهادٌ خاطئ. وقال لهم: ما أمرتُكم بقتالٍ في الشهر الحرام!.

ولامَهم المسلمون على ما حصل منهم، وعنَّفوهم.. وأُسقط في يدِ المجاهدين الستة، وندموا على ما فعلوا، وظنّوا أنهم قد هلكوا! فقد تبيَّن لهم أنهم قتلوا الرجل في الشهر الحرام، وأنَّ هذا خطأٌ.. ولذلك شعروا بالندم والحرج الشديد!.

حبس رسول الله ﷺ الأسيرين: الحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله، وأوقف العير وما فيها، ولم يتصرف بها، بانتظار تطوُّر الأحداث.

نتائج العملية الجهادية عند المسلمين والمشركين:

وهذا أول اشتباكٍ مسلَّحٍ بين المسلمين والمشركين، ينتجُ عنه قتلى وأسرى، وتُصادرُ فيه الأموال.

ولذلك استبشر اليهود ببدء المعارك بين المسلمين والمشركين، التي ستُضعفُ كُلاًّ منهما، وتقضي عليهما معاً!.

تفاءَلوا بالأسماء على ما يريدون: عمرو بن الحضرمي قُتل على يدِ واقدِ بن عبد الله. فقال اليهود: (عمرو): عَمرت الحرب. و(الحضرميُّ): حضرت الحرب. و(واقد): وقدت الحرب!!.

وجعل الله ذلك على اليهود، فقد عَمرت الحرب وحضرتْ ووقدتْ على اليهود، وكانوا هم الخاسرين بذلك!!.

والتقى رسول الله ﷺ بالأسيرين الكافرين: الحكمُ بن كيسان وعثمان بن عبد الله، وعرض عليهما الإسلام.

التقى أولاً بالحكم بن كيسان، ودعاهُ إلى الدخول إلى الإسلام، وكلَّمه طويلاً، وهو لا يستجيبُ للدعوة.

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا رسول الله : لماذا تُكلِّمُ هذا؟ والله لا يُسلم هذا أبداً! دعْني أضرب عنقه، ليذهب إلى الهاوية!! .

سكت الرسولُ ﷺ، ولم يردّ على عمر رضي الله عنه، وواصلَ كلامَه مع الحكمِ، ودعوته له . . .

وما هي إلاّ فترةٌ قصيرةٌ حتى استجاب الحكمُ بن كيسان للدعوةِ فأسلم!! عند ذلك ندم عمر رضي الله عنه على تسرُّعِه وعجلتِه، وحكمِه عليه أنه لن يُسلم، وعرضِه أن يضرب عنَقَه. . وقد حَسُن إسلامُ الحكم بن كيسان رضي الله عنه، وجاهد في سبيل الله، إلى أن لقي الله شهيداً! .

ولما أسلم الحكمُ التفتَ رسول الله ﷺ إلى عمر رضي الله عنه، وقال له: لو أطعتُكَ فيه فقتلتُه دخل النار!! .

ولما وصل نـوفل بن عبد الله ـ الرجل الرابع في القافلة، الذي نجحَ في الفرار من المجاهدين ـ إلى مكة، أخبر قريشاً بتفاصيلِ العملية، ومقتلِ عمرو بن الحضرمي، وأسرِ الرجلين الآخرين، واستيلاء المسلمين على القافلة وما فيها! .

ولما علمت قريشٌ بذلك أرسلت إلى رسول الله ﷺ في فداءِ الأسيرين من رجال القافلة اللذين أسرهما المجاهدون! .

فقال لهم ﷺ: لا نقبلُ الفداء منكم حتى يأتيَ صاحبانا، لأنَّنا نخشى أن تقتلوهما، فإن عادا سالمين أخذنا الفداء منكم.

قدوم سعد وعتبة سالمَيْن:

والمرادُ بالصاحبين: سعدُ بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان رضي الله عنهما، فقد كان لهما بعيرٌ يعتقبانه، وأثناء توجُّه المجاهدين لتنفيذِ العملية الجهادية فقدا البعير، فتخلَّفا عن إخوانِهما يبحثان عنه. وطال بحثُهما وتفتيشُهما، ولم يتمكَّنا من الالتحاقِ بإخوانهما في منطقـةِ نَخلة! ونفَّذ إخوانُهما العمليـة الجهاديـة بنجاح،

وعادوا إلى المدينة سالمين، وهما يبحثانِ عن البعير.

لذلك توقَّف رسول الله ﷺ في قبولِ الفداءِ الذي عرضتْه قريش، حتى يأتيَ سعدٌ وعتبة، لأنه ﷺ خشي أن تقبض قريشٌ عليها وتقتُلَهما!.

أخبر سعدُ بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه أقام هو وأخوه عتبةُ بن غزوان رضي الله عنه يومين في المنطقة، يبحثانِ عن البعير المفقود.. ولما وَجَداه خَرَجا في آثارِ إخوانِهم المجاهدين ليلتحقا بهم.. ولكنهما ضلاّ الطريق إليهم، ولم يهتديا إلى مكانهم.. وعادَ إخوانهم إلى المدينة، وهما يبحثانِ عنهم.

وأصابَهما في سيرهما جوعٌ بالغ، ومشقةٌ كبيرة، حتى أكلا ورقَ الشجر، وشربا عليه من الماء...

ولما وصلَ سعدٌ وعتبة رضي الله عنهما المدينة سالمين، أخذَ رسول الله ﷺ الفداء من قريش، وفادى عثمانَ بن عبد الله بن ربيعة. وعادَ عثمان إلى مكة، وماتَ كافراً بعد ذلك، أمّا الحكمُ بن كيسان رضي الله عنه فقد بقي في المدينة، بين إخوانه المسلمين!!.

قريش تنشر الشبهات ضد المسلمين:

واستغلَّ كفارُ قريشٍ ما جرى في (نخلة) للإساءَةِ للمسلمين، ونشرِ الشبهاتِ والاتهاماتِ والدعاياتِ السيئة ضدَّهم! كانوا يقولون للناس: قد أحلَّ محمدٌ وأصحابه الشهر الحرام. وسفكوا فيه الدماء، حيث قتلوا عمرو بن الحضرمي، وأسروا فيه رجلين، وأخذوا فيه المال!! كيف يفعلون هذا؟ وهم يزعمون أنهم مسلمون، يُراعونَ حرمة الأشهرِ الحُرُم والبيتِ الحرام؟ مع أنهم أوَّلُ من انتهك حرمة الأشهرِ الحُرُم!.

قالوا هذا لأنه ثبت أنَّ العملية الجهادية التي قام بها المجاهدون الستةُ في بطن مكة كانت في آخرِ يومٍ من شهرِ رجب، وليس أولَ يومٍ من شهر شعبان! أي كانت في الشهر الحرام، الذي حرَّم اللهُ فيه القتال!!.

وصارَ الناسُ يسمعون كلام كفارِ قريش، ويُرَدِّدونه، ويتَّهمون المسلمين بانتهاكِ الأشهرِ الحُرُم، وكان لا بدَّ من نقضِ شبهات الكفار، وإبطال اتهاماتِهم، وذكرِ الحقّ في هذه المسألة!.

علاج القرآن للحادثة والرد على قريش:

أنزل الله قرآناً يُتلى على رسول الله ﷺ. وهو قولُه تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

ومعالجةُ القرآنِ للحادثةِ موضوعيةٌ علميةٌ منهجية.

خلاصة ما قررتْهُ هذه الآية الكريمة: قاتل الصحابة في الشهر الحرام، وقد أخطؤوا في ذلك، لأنَّ القتال فيه كبير، وقد حرَّمه الله.

لكنَّ المشكلة الحقيقة ليست في خطأ الصحابة وقتالِهم في الشهر الحرام، المشكلة الحقيقة فيما يقوم به مشركو قريش، إنَّ الجرائم الكثيرة التي يرتكبُها كفار قريش أكبرُ من خطأ الصحابة الذي وقعوا فيه!! وبما أنَّ جرائمهم أكبرُ عند الله فلا يحقُّ لهم أن يُنكروا على الصحابة فعلَهم، ولا أن يُثيروا عليهم الشبهات والإشاعات!.

ولننظر في هذه الآية الكريمة نظرةً مجملة، ولنحلِّل صياغتها وتركيبها:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ ﴾: يسألك المشركون يا محمد ـ ﷺ ـ عن حكمِ القتال في الشهر الحرام، هل يجوزُ في دينك أم لا يجوز!.

وهم يسألون هذا السؤال بمناسبة قتل المجموعة المجاهدة لعمرو بن

الحضرمي في منطقة نخلة، حيث كان قتلُه في آخر يومٍ من شهر رجب، الذي يَحرمُ فيه القتال. فكيف ينتهكُ المسلمون حرمة الشهر الحرام، ويقاتلون فيه أعداءَهم؟!.

وسؤال الكفارِ عن حكمِ القتال في الشهر الحرام ليس بهدفِ المعرفة والتعلم، فهم ليسوا مؤهَّلين لذلك، ولا راغبين فيه، إنما سؤالُهم بهدفِ الاتهام والإدانة، ونشرِ الشبهاتِ والإشاعاتِ ضدَّ المسلمين، فكيف يزعمون تقديسهم للشهر الحرام ومراعاتهم لحرمته، ويخالفون ذلك، فيقتلون ويأسرون ويُصادرون الأموال، يفعلون هذا في الشهر الحرام؟!.

خطأ الصحابة في القتال في الشهر الحرام:

﴿ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾: قل يا محمد لهؤلاءِ الكفار السائلين المشكِّكين: إنَّ القتال في الشهر الحرام كبير. وإنه لا يجوزُ أن يصدر عن كافرٍ ولا عن مسلم! لأنَّ الله قد حرَّم القتل والقتال فيه. وارتكاب ما حرَّم الله كبير!!.

وهذا معناهُ أنَّ الصحابة المجاهدين قد أخطؤوا في قتالهم في الشهر الحرام، وقتلِهم عمرو بن الحضرمي، ومصادرةِ القافلة، في آخر يومٍ من شهر رجب!.

أخطأ الصحابة المجاهدون فيما فعلوا، وارتكبوا أمراً كبيراً، لكنهم ليسوا آثمين ولا عاصين بذلك، لأنهم فعلوا ذلك مجتهدين، ولم يكونوا متعمِّدين انتهاك حرمة الشهر الحرام، ومعلومٌ أنَّ من اجتهد وأخطأ فله أجرٌ واحد، وليس آثماً!.

ارتكاب الكفار لأربع جرائم في مقابل ذلك:

لكن لا يجوز للكفار أن يقفوا عند هذه الحادثة الاجتهادية الخاطئة، لأنهم يرتكبون سلسلةً من الجرائم والكبائر.. لا يكادُ يُذكَرُ بجانِبها هذا الخطأُ الاجتهاديُّ من الصحابة المجاهدين!!.

وقد سجلت الآية بعض جرائمهم:

١ ـ الكفارُ صدّوا عن سبيل الله، بأن كفروا هم، ودَعوا الآخرين إلى الكفر، ومنعوهم من الإيمان، ونهوهم عن طاعة رسول الله ﷺ، وهذا في قوله: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

٢ ـ الكفار كفروا بالله أساساً، وهذا أساس مشكلاتِهم، وسببُ جرائمهم: ﴿وَكُفْرٌۢ بِهِۦ﴾. فالضمير في (به) يعود على (الله). أي: كفرٌ بالله.

٣ ـ الكفار كَفروا بالمسجد الحرام، وكفرُهم بالمسجد الحرام بأن عبدوا فيه غير الله، وأشركوا فيه بالله، مع أن إبراهيم عليه السلام بناهُ لعبادة الله وحده: ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ و(المسجد) معطوفٌ على الضمير في (به). أي: كفرٌ بالله، وكفرٌ بالمسجد الحرام!.

٤ ـ الكفار أخرجوا المؤمنين من المسجد الحرام، مع أنهم هم أهل المسجد الحرام الحقيقيّون، لأنهم مؤمنون، والمسجد الحرام بني لعبادة الله وحده. وقد أخرجوا أهله المؤمنين منه عندما حاربوهم واضطروهم للهجرة إلى المدينة: ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ﴾.

والنصُّ في الآية على أنَّ المسلمين هم أهل المسجد الحرام، دليلٌ على أنَّ الكافرين المشركين ليسوا أهلاً للمسجد الحرام، مع أنهم هم القاطنون حولَه، وأنَّ المؤمنين في المدينة بعيدين عنه مكانياً! وهذا يدُّل على الصلةِ الإيمانيةِ الوثيقةِ بين المؤمنين والمسجد الحرام، وعلى انقطاع تلك الصلة بين المشركين وبينه، بسببِ شركهم.

هذه الجرائم الأربعة التي قام بها المشركون، أكبر عند الله من قتل مجاهدين لرجلٍ مشركٍ خطأً في الشهر الحرام.

وكلمةُ (أكبرُ) في الآية خبرٌ للمبتدأ (إخراجُ). أي: هذه الجرائم أكبر عند الله!.

الفتنة أكبر من القتل وتحذير للمسلمين:

﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾: المراد بالفتنة هنا فتنة الكفار للمسلمين في مكة، وتعذيبُهم، وإيقاع مختلفِ صنوفِ الأذى بهم، ليتخلّوا عن دينهم، ويرتدّوا عن الإسلام، ويعودوا إلى الكفر.

أمّا القتل هنا فالمراد به قتل المجاهدين لرجلٍ مشركٍ خطأً في الشهر الحرام.

والمعنى: فتنة الكفار للمؤمنين في مكة وتعذيبُهم، ليتخلّوا عن الإسلام ويرتدّوا عنه، أكبرُ إثماً عند الله من قتل المجاهدين لعمرو بن الحضرمي في الشهر الحرام خطأً!..

﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾: يخبرُ الله المسلمين أنَّ المشركين لن يتوقّفوا عن قتال المسلمين، وإنما سيستمرون في قتالهم، وهدف المشركين من القتال هو ردةُ المسلمين عن دينهم. فهم حريصون على أن يردّوا المسلمين عن دينهم.

﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: هذا تهديدٌ من الله لكلِّ مسلم يرتدُّ عن دينه، ويحقق هدف المشركين فيه، إنَّه إن ارتدَّ عن دينه ومات وهو كافرٌ، يكون قد خسر الدنيا والآخرة، وكان من أصحاب النار المخلَّدين بالعذاب فيها.

ولما أنزل الله الآية رداً على المشركين وإبطالاً لشبهاتهم ضدَّ المسلمين، فُرِّج عن المسلمين ما هم فيه من خوفٍ وإشفاقٍ وهمّ، وعرفوا كيف يردّون على المشركين، ويفنِّدون دعاياتهم.

بعد ذلك أخذ رسول الله ﷺ العير، ووزَّعها على المسلمين.

مما تميزت به مجموعة عبد الله بن جحش :

وكانت مجموعة عبد الله بن جحش رضي الله عنه في عمليتِها الجهادية في منطقة نَخلة أول مجموعةٍ مجاهدة تقتل من المشركين، وتأسرُ منهم، وتأخذُ من أموالهم.

ومما تميزت به هذه المجموعة المجاهدة:

١ ـ هي أول مجموعةٍ مجاهدة تحمل كتاباً سريّاً مكتوماً، وأمراً عسكرياً مخفيّاً، لم تعرف مضمونَه إلاّ بعد انطلاقِها بفترة.

٢ ـ هي أول مجموعةٍ مجاهدة تقع في خطأ اجتهادي هو: القتال في الشهر الحرام، وقد سجلت الآية خطأَ المجموعة في ذلك: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾.

٣ ـ هي أول مجموعةٍ مجاهدةٍ تقتلُ أحدَ المشركين، عندما قتلَ واقدُ بن عبد الله عمرو بن الحضرمي.

٤ ـ هي أول مجموعةٍ مجاهدةٍ تأسرُ أسرى من المشركين، عندما تمَّ أسرُ الحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله.

٥ ـ وهي أولُ مجموعةٍ مجاهدةٍ تأخذُ غنائم من المشركين، عندما استولى أفراد المجموعة على القافلة التجارية، وأخذوا كلَّ ما فيها..

شِعر عبد الله بن جحش في الرد على المشركين:

وعندما نشر المشركون دعاياتِهم ضدَّ المسلمين، وقالوا: أحلَّ محمدٌ وأصحابه الشهر الحرام، وسفكوا فيه الدم، وأخذوا المال، وقتلوا الرجال، ردَّ عليهم أمير المجموعة المجاهدة عبد الله بن جحش رضي الله عنه قائلاً:

تعُـدّون قتـلاً فـي الحـرامِ عظيمـةً وأعظـمُ منـهُ لـو يـرى الـرُّشْـدَ راشـدُ
صُـدودُكُـمُ عمّـا يقـولُ محمَّـدٌ وكُفـرٌ بـه واللهُ راءٍ وشـاهِـدُ
وإخـراجُكـمْ مـن مسجـدِ الله أهلـهُ لئـلاّ يُـرى للهِ فـي البيـتِ سـاجـدُ
فـإنّـا وإن عيَّـرْتُمـونـا بقتلِـهِ وأرجـفَ بـالإسـلام بـاغٍ وحـاسـدُ
سقينـا مـن ابـن الحضـرميِّ رمـاحنـا بنخلـة لمّـا أوقـدَ الحـربَ واقـدُ
دمـاً وابـن عبـد الله عُثمـانُ بيننـا يُنـازِعُـه غُـلٌّ مـن القِـدِّ عـانِـدُ

* * *

المراجع:

١ ـ مغازي الواقدي: ١/ ١٣ ـ ١٩.

٢ ـ السيرة النبوية، لابن هشام: ٢/ ٢٥٢ ـ ٢٥٦.

٣ ـ دلائل النبوة، للبيهقي: ٣/ ١٧ ـ ٢١.

٤ ـ تاريخ الطبري: ٢/ ٤١٠ ـ ٤١٥.

٥ ـ تاريخ ابن كثير: ٣/ ٢٤٨ ـ ٢٥٢.

٦ ـ قادة النبي ﷺ لمحمود شيت خطاب، ص٨٨ ـ ٩٥.

* * *

(٢)

مجموعة محمد بن مسلمة الأنصاري

تقتل زعيم الغدر اليهودي كعب بن الأشرف

كعب بن الأشرف زعيم يهود بني النضير :

كان (كعبُ بن الأشرف) زعيماً من زعماء اليهود، وسيداً من كبار ساداتِهم، يُقدمُه اليهود فيهم، ويعرفُه زعماء العرب المشركين في مكة وغيرها، ويعترفون بمنزلتة في قومه.

وهو يهوديٌّ من جهة الأمّ وعربيٌّ من جهة الأب، أبوهُ عربيٌّ من قبيلة (طيِّء)، القبيلة العربية المعروفة. وأمُّه يهوديةٌ من يهود (بني النضير).

وهو يهوديٌّ وليس عربياً، لأنَّ النسب عند اليهود من جهة الأمّ، وليس من جهة الأب! فاليهوديُّ عندهم من كانت أمُّه يهودية، سواءٌ كان أبوه يهودياً أم غير يهودي، وسواءٌ حملت به أمُّه بزواجٍ صحيح، أم بزنا وسفاح!!.

كان كعب بن الأشرف زعيم قبيلة (بني النضير) اليهودية، أكبرِ قبائل اليهود حول المدينة.

وكان لـه حصنٌ كبيرٌ حصينٌ منيع، قريبٌ من المدينة، وقريبٌ من يهود بني النضير ويهود بين قريظة، بين منازل القبيلتين اليهوديتين!.

وكان بين كعب بن الأشرف وبين بعض الأوس في المدينة صلةٌ وصداقة، وهذا قبل إسلام الأوس، وهجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة. وهناك رجلان من الأوس أخوان لكعب بن الأشرف من الرضاعة، وهما: محمد بن مسلمة، وسِلكان بن سلامة ـ أبو نائلة ـ.

ولما هاجر رسول الله ﷺ وأصحابه إلى المدينة، عرف ابن الأشرف الخطر القادم الذي يتهدَّدُه، فنظر إلى النبيِّ ﷺ ودينه وأصحابه نظرة عداوة، ووجَّه له حقده اليهوديَّ الكبير، وصار يُراقب الأحدث، ويُعدُّ العدة للتآمر على الإسلام والمسلمين!.

وكان أخواه من الرضاعة الأوسيّان: محمد بن مسلمة وسِلكان بن سلامة، من أوائل السابقين إلى الإسلام من الأنصار! وبإسلامِهما قطعا كلَّ صلةٍ لهما بأخيهما في الرضاعة ابن الأشرف، ولم يعُدْ بينهما وبينه محبةٌ أو مودة، أو ولاءٌ وتحالف، لأنَّ الإسلام فرَّق بينهما وبينه، وحرَّم عليهما موالاة الكافرين، وإن كان أحدُهم أقرب الناس إليهما نسباً!!.

ابن الأشرف يتآمر على المسلمين بعد معركة بدر:

وبعد معركة بدرٍ علم كعب بن الأشرف بنصرِ الله لرسوله ﷺ فيها، وبالهزيمة التي أوقعها بقريش، وقتل مجموعةٍ من زعماء قريش.

دعا ابن الأشرف زعماء قومه اليهود للاجتماع بهم في قصره الحصين، ولما التقوا جميعاً تدارسوا الأمر بعد أحداث غزوةِ بدر.

ومما قاله ابن الأشرف لهم: ويلكم يا قوم! والله لبطنُ الأرض خيرٌ لكم من ظهرِها.. لقد قتل محمدٌ بعض زعماءِ قريش، وأسرَ زعماء آخرين، وانتصر على قريش! فما موقفُكم؟ وماذا ستفعلون؟.

أجابه زعماء اليهود بحقدهم اليهوديِّ المعروف: موقفنا من محمد هو: عداوتُه وحربُه ما حَيينا!!.

قال لهم: إنكم لا تَقْدرون عليه، فها هو قد هزم قومه قريشاً، وأنتم أضعف منهم، ولهذا لن تقفوا أمامه!.

قالوا له: نحن نفوضُك في التصرف المناسب ضدَّ محمد!!.

قال لهم: سأذهب إلى قريش في مكة، لأُحرّضَهم على محمد وأصحابه، وأُذكِّرهم بما فعله بهم في بدر من قتلٍ وأسر، وأبكي قتلاهم، وأُحيي في نفوسهم الأخذ بالثأر، ليجمعوا جموعَهم، ويُهاجموا محمداً وأصحابه!.

واستحسن زعماء اليهود كلام كعب بن الأشرف، ووافقوه على ما سيفعلُه!.

وهكذا صار (كعب بن الأشرف) قائد قومه اليهود في عداوته لرسول الله ﷺ وأصحابه، مفوَّضاً عنهم، ويتحركُ باسمهم.

ابن الأشرف زعيم الغدر اليهودي:

توجَّه كعب بن الأشرف إلى مكة، لتنفيذ خطة المكر التي اتفق عليها مع زعماء اليهود. والتقى مع زعماء قريش، وحدَّثهم طويلاً عن محمدٍ ﷺ وأصحابه، وذكر لهم خطورة الإسلام والمسلمين عليهم. وقام بتحريضهم على غزوِ المسلمين في المدينة، قبل أن يتقوَّوا، ودعاهم إلى الأخذِ بثأر يوم بدر!.

وكان لزيارته التحريضية أثرٌ في خروج قريش، بقيادة أبي سفيان، لحرب المسلمين في معركة أُحد!.

ولما عاد ابن الأشرف إلى حصنه تابع اتصالاتِه بزعماء اليهود، وزعماء القبائل العربية الكافرة، وجعل حصنَه مركزاً للكيد والتآمر على المسلمين!.

وصار يُجاهرُ بسبِّ وشتمِ النبيِّ ﷺ، وشتم أصحابه الكرام رضوان الله عليهم!.

وكان ابن الأشرف يقول الشعر، فصار يُنشد الأشعار، (يتشبَّبُ) فيها بنساءِ المسلمين، و(يتغزَّلُ) بهن، ويتحدثُ عن أعراضِهن ومفاتِنِهن، ويدعو الرجال إلى مغازلتهن!.

وبذلك ارتكب الزعيم اليهوديُّ كعب بن الأشرف سلسلةً من الجرائم الكبيرة الخطيرة: تآمُرُه مع زعماء اليهود ضدّ المسلمين، وتحريضه زعماء قريشٍ لحرب

المسلمين، واتصاله بالأعداء وتهييجُهم لحرب المسلمين، وسبُّ وشتم أشرف الخلقِ محمد ﷺ، وكلامُه الفاحشُ البذيء ضدَّ أعراضِ المسلمات الصالحات! .

وجريمةٌ واحدةٌ من هذه الجرائم يستحقُّ بها ابن الأشرف القتل، فكيف به وقد ارتكب هذه الجرائم كلَّها؟ .

بذلك استحقَّ كعب بن الأشرف القتل، لأنه صار خطراً مباشراً على الإسلام والمسلمين، و(رأساً) في الكيد والغدر، والمكر والتآمر! ! .

الرسول يهدر دمه وابن مسلمة يستعد لقتله:

أهدرَ رسول الله ﷺ دمَ زعيم الغدر اليهودي، بسبب ما ارتكبت يداه من جرائم، وأصدرَ عليه حكمَ الله! .

قال ﷺ يوماً: منْ لي بابْنِ الأشرف؟ .

ورسولُ الله ﷺ في كلامه هذا يُعطي الأنصار موافقةً على قتل ابن الأشرف، ويباركُ لهم ذلك! .

ومعلومٌ أنَّ رسول الله ﷺ معصوم، مؤيَّدٌ بالوحي، لا يخطئ في أقواله وأفعاله، وهذا معناه أنَّ الله هو الذي أوحى له بقتل ابن الأشرف! ! .

فهم الصحابة إشارة الرسول ﷺ، واستجابوا لها فوراً.

والذي استعدَّ لقتل ابن الأشرف هو أقرب الأنصار نسباً بابن الأشرف، محمد بن مسلمة الأوسي الأنصاري رضي الله عنه، أخو كعبٍ من الرضاعة! ! .

وهذا دليلٌ على قوة الإيمان عند ابن مسلمة ـ وعند باقي الصحابة ـ وعلى تحكيمه الشرع في كل شيء، وموالاتِه المؤمنين، وبراءتِه من الكافرين، وعلى حُبِّه في الله، وبغضه في الله! وهذا هو ما يوجبُه الإسلام على أتباعه الصادقين! .

قال محمد بن مسلمة رضي الله عنه لرسول الله ﷺ: أنا لك به يا رسول الله، أنا أقتلُه! ! .

سُرَّ رسول الله ﷺ باستعداد ابن مسلمة، وأعطاه موافقته، وقال له: افعل ذلك!!.

ابن مسلمة يفكر في طريقة لقتله:

قام محمدُ بنُ مسلمة رضي الله عنه من عند رسول الله ﷺ، وهو يفكِّر في كيفية تنفيذ ما تعهد به!.

ومضت الساعات والأيام تباعاً، والفكرة مسيطرةٌ على كيان ابن مسلمة، يُخطط لحسن الوصول إلى كعب بن الأشرف! لأنه يعلم أنَّ الوصول إليه في حصنه الحصين صعب، وأنَّ الانفراد به والتمكن منه أصعب! عليه حراساتٌ مشدَّدةٌ من اليهود، وهو حذرٌ من المسلمين!!.

لم يصل محمد بن مسلمة رضي الله عنه إلى طريقٍ نافذٍ ناجح، فكلُّ خطةٍ فكَّر فيها وجدها تصطدم بالعوائق! ولم يصل إلى نتيجة!.

وشعر ابن مسلمة بهمٍّ ثقيل، وحزنٍ كبير، ومضت عليه عدة أيام وهو هكذا: يُفكِّر ويُفكِّر، ويُقدِّر ويُقدِّر! وأدّاه هذا إلى العُزوف عن الطعام والشراب والنوم، فلم يأخذ من ذلك إلاّ أقلَّ القليل، لقيمات طعام، وجرعات شراب، ولحظات نوم!!.

وظهرت آثار ذلك عليه، فبدا شاحباً مهموماً، مفكِّراً مشغولاً!.

ولاحظ رسول الله ﷺ ذلك عليه، فسأله: ما لكَ يا ابن مسلمة؟ قال: يا رسول الله، لقد قلتُ لك كلاماً، وتعهدتُ أمامك بتعهُّد، ولا أدري هل أقدرُ على الوفاءِ به أم لا؟ لم أهتدِ حتى الآن إلى طريقة أصل بها إلى كعب بن الأشرف! فطمأنه رسول الله ﷺ، وخفَّف عنه، وقال له: عليك أن تبذل جهدك! ولم يتوقَّف تفكير ابن مسلمة في تنفيذ حكم الله بابن الأشرف.

ابن مسلمة يشكِّل المجموعة المجاهدة :

وأخيراً . . هداه الله إلى الطريقة الناجحة ، وهي (تشكيلُ) مجموعةٍ من إخوانه المجاهدين ، ليقوموا جميعاً بقتل ابن الأشرف ، متقربين إلى الله ! .

بدأ ابن مسلمة بأخ ابن الأشرف الثاني من الرضاعة : سِلكان بن سلامة ابن وقش ـ أبو نائلة ـ ولما كلمه بالأمر ، وأطلعه على المهمة ، سارع بالموافقة ، وأبدى تفاعلاً وحماساً وسروراً ، لأنه بذلك يتقرب إلى الله ، ويتخلص من عدوِّ الله ، وينال رضي الله ورضي رسوله ﷺ ! .

جلس ابن مسلمة وأبو نائلة رضي الله عنهما يفكِّران في استكمالِ (تشكيل) المجموعة المجاهدة ، ووقع اختيارُهما على ثلاثة من مجاهدي الأوس من الأنصار : عبَّادُ بن بشر بن وقش ، والحارثُ بن أوس ، وأبو عبس بن جبر ، رضي الله عنهم .

والتقى أفراد المجموعة الخمسة ، بقيادة محمد بن مسلمة ، ورسموا خطةً محكمةً للوصول إلى ابن الأشرف وقتله .

وبعد طول تفكيرٍ عرفوا أنه لا يمكنُهم قتل ابن الأشرف من أول مرة ، ولو هاجموه عنوة فقد لايصلون إليه ، وقد يقتُلهم حراسه اليهود المنتشرون حول قصره ، قبل أن يتمكَّنوا من قتله ! .

إذن لا بدَّ أن يُحسنوا الوصول إليه ، والتقرُّب منه ، ليكسبوا ثقته ، ويزول تخوُّفه منهم ، وشكُّه فيهم ، وبعد ذلك يقومون بقتله ! ولا حرج في هذا ، لأنَّ (الحرب خُدعة) ! .

إنهم يعلمون أنه على المسلم أن يعرف كيف يصل إلى خصمه الكافر ، وكيف يخدعه ، وكيف يقضي عليه ، وحسن الإعداد والتفكير والتخطيط مطلوبٌ في الحرب ! .

ابن مسلمة يستأذن الرسول ليتكلم عليه :

كيف يصلون إلى ابن الأشرف؟ وكيف يطمئنُّ إليهم؟ .

لن يكون ذلك إلاّ بالكلام على رسول الله ﷺ، لأنَّ ابن الأشرف شديد العداوة له، وكم يفرح ويُسَرُّ عندما يسمع جليسه يتكلم على رسول الله ﷺ وينتقصُه، وكان جلساؤه اليهود يتلذَّذون في مجلسه بذلك، وكان هو في أسعد أحواله وهو يستمع لكلامهم، ويشاركهم حديثهم! .

وابن مسلمة وإخوانه المجاهدون يعلمون ذلك عن ابن الأشرف، لكن هل يجوز لهم ذلك أم لا؟ لا بدَّ أن يسألوا رسول الله ﷺ! .

أطلع ابن مسلمة وإخوانه رسول الله ﷺ على خطِة (تصفية) ابن الأشرف، وقال له ابن مسلمة: يا رسول الله: لا بدَّ لنا من أن نقول فيك، وأن نتحدث عنك بشيءٍ يسرُّ ابن الأشرف لنتمكن منه. فهل تأذن لنا بذلك؟ .

قال لهم ﷺ: قولوا ما بدا لكم! .

وهكذا أذن لهم رسول الله ﷺ بذلك، أن يتكلموا عنه بكلامٍ يُرضي ابن الأشرف، ليتمكنوا منه، من باب (الحرب خُدعة).

ورسم أفراد المجموعة المجاهدة الخطة، وكانت تقوم على أن يقابل ابن الأشرف أخواه من الرضاعة: ابن مسلمة، وأبو نائلة، وعلى التوالي، كلٌّ لوحده، وأن يُحدِّثاه في نفس الموضوع! .

ابن مسلمة عند ابن الأشرف لأخذ السلفة :

ذهب محمد بن مسلمة رضي الله عنه إلى كعب بن الأشرف، واستأذن في الدخول عليه، فأذن له.

واستغرب ابن الأشرف من هذه الزيارة المفاجئة، إنه يعلم أنَّ ابن مسلمة أخوه من الرضاعة، وكان وثيق الصلة وكثير الزيارة له قبل إسلامه. لكن منذ أن

هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة قبل أكثر من سنتين لم يتصل به، فما معنى هذه الزيارة المفاجئة؟.

لكنه أذن له بالدخول عليه، لأنه لا خطر منه باعتباره وحيداً، وعليه أن يقابله ويعرف هدفه من الزيارة!.

جلس محمد بن مسلمة، وحدَّث كعب بن الأشرف عن رسول الله ﷺ، وكان مما قاله له: إن هذا الرجل ـ يعني رسول الله ﷺ ـ قد سألنا الصدقة، ويريد أن يأخذ منا أموالنا صدقة، وقد أرهقنا، ونقصت أموالنا، بل ذهبت!!.

تعجب كعب بن الأشرف مما يسمع، وهو فرحٌ مغتبطٌ مسرور! فلأولِ مرةٍ يأتي أحدُ أصحاب رسول الله ﷺ يتحدث عنه بهذه اللهجة أمام عدوه!! ولأول مرة يشكو أحدُ المسلمين الرسولَ ﷺ إلى خصمه! إنَّ كلام ابن مسلمة إشارةٌ إلى ظاهرةٍ تسُرُّه وتُفرحه، وهي مللُ الأنصار من رسول الله ﷺ، وقرب انفضاضهم عنه! وهذا ما يتمنّاه ابن الأشرف!.

وتابع ابن مسلمة كلامه، فقال: وقد أتيتك يا ابن الأشرف، طالباً منك (سُلفة)، بأن تعطيني تمراً قرضاً، أردُّه لك فيما بعد!!.

قال له ابن الأشرف: أما قلتُ لك. والله لَتَمَلُّنَّهُ! حيث تشعرون بمقدار الخسارة من متابعتكم له، عندما تذهب أموالكم، وتُستهلك أراضيكم ومزروعاتكم!!.

قال ابن مسلمة: لقد اتَّبعناه، ودخلنا في دينه، وليس من المناسب أن نتخلّى عنه الآن، فعلينا أن نبقى معه مُكرهين، حتى نعرف إلى أين يتجه، وكيف سيكون أمره! وإني قد أتيتُك لتُسلفني (وسقاً) أو (وسقين) من التمر، وسأردُهما لك عندما نجني التمر في الموسم!.

قال له ابن الأشرف: سأُسلفك ما تريد!.

وقام محمد بن مسلمة من عند كعب بن الأشرف، بعد أن اتفق معه على

الاستلاف، وبعدما اطمأنَّ الأخير إليه! .

ومع أنَّ النبيَّ ﷺ قد أذن لابن مسلمة أن يتكلم عليه أمام الزعيم اليهودي، إلا أنه لم يتكلم إلاّ الكلام الضروري، ولم يتوسَّع في ذلك، وكان كلامه في غاية الأدب مع النبيِّ ﷺ وتوقيرهِ، ليس فيه سبابٌ أو تجريح! إنه مضطر للكلام، والضرورة تُقدَّرُ بقدرها! .

وهكذا نجحت الخطوة الأولى التي رسمتها المجموعة المجاهدة! .

وانتقلوا بعد ذلك إلى الخطوة الثانية! .

أبو نائلة عند ابن الأشرف ليطمئن إليه :

إنَّ المجاهدين يريدون أن يزداد كعب بن الأشرف وثوقاً بهم، واطمئناناً إليهم، والطريق إلى ذلك زيارةٌ ثانية له، يقوم بها أخوه الثاني من الرضاعة: أبو نائلة.

توجَّه سِلكان بن سلامة إلى ابن الأشرف في قصره. واستأذن في الدخول عليه، فأذن له، وسط تعجبه! .

ماذا في الأمر؟ بالأمس جاء أخي من الرضاعة محمد بن مسلمة، وشكا لي أمر محمد، واليوم يأتيني أخي الثاني من الرضاعة أبو نائلة؟ فما الذي يجري؟ .

فرح ابن الأشرف بالزيارة، واعتبرها دالةً على تململِ الأنصار، وبداية تخليهم عن رسول الله ﷺ، وهذا الذي يريده هو.

دخل أبو نائلة على مجلس ابن الأشرف، فوجد عنده مجموعةً من اليهود وأعوانهم من منافقي العرب. . فجلس معهم.

كان أبو نائلة شاعراً، كما كان ابن الأشرف شاعراً، وتصرَّف أبو نائلة بحكمة. فلم يشأ أن يُحدِّث ابن الأشرف على مسمعٍ من الجالسين، كما أنه لم يشأ أن يكون مجرد مستمعٍ لما يُقال، ولذلك شارك المتحدثين حديثهم، بما يساعد

على اطمئنان ابن الأشرف إليه! .

صار أبو نائلة يُنشد في المجلس بعض الشعر، فلما سمعه ابن الأشرف نشط لمشاركته في الإنشاد، فصار يُنشد أشعاراً أخرى. . ونجح أبو نائلة في إضفاء الجوِّ البياني الشعريِّ على المجلس. . .

وبعد ساعةٍ من (المطارحات) الشعرية بينهما قال ابن الأشرف لأبي نائلة: ما حاجتُك؟ .

فلم يجبه على سؤاله، واستمرَّ في الإنشاد.

فسأله مرةً ثانية: ما حاجتُك؟ .

فلم يجبه، وواصل إنشاده! .

أدرك ابن الأشرف بفطنته هدف أبي نائلة، وأنه يريد أن يُخفي حاجته عن الجالسين، فقال له: لعلك تحبُّ أن يقوم الذين عندنا؟ .

والجواب معروف، ولذلك لم يجبه أبو نائلة! .

وسمع الجالسون الكلام، وعرفوا أنه غير مرغوبٍ في جلوسهم، لأنَّ عند أبي نائلة شيئاً خاصاً، يريد أن يُسِرَّ به لابن الأشرف. فغادروا المجلس.

أبو نائلة يطلب من ابن الأشرف السلفة:

بعدما غادر القوم المجلس قال أبو نائلة لابن الأشرف: لم أُجبك على سؤالك، لأني كرهت أن يسمع القوم الجالسون ما عندي، وأريد أن يكون هذا سِراً بيني وبينك! .

سُرَّ ابن الأشرف بكلام أبي نائلة، وقال له: قل.

وحسب الخطة المتفق عليها بين أفراد المجموعة المجاهدة، يكون كلام أبي نائلة استكمالاً لكلام ابن مسلمة.

لذلك قال أبو نائلة لابن الأشرف: كان قدوم هذا الرجل - يعني رسول الله ﷺ - بلاءً علينا! فمنذ أن جاءنا حاربتنا العرب عن قوسٍ واحدة، وحاصرونا في أسفارنا وتجاراتنا، فتقطعت بنا السبل، وقلّت أموالنا، وأصابنا من البلاء والفقر والحاجة ما أصابنا!.

أُعجب ابن الأشرف بما سمع من أبي نائلة، وأظهر له تفاعله معه، وحُزنه لما آل إليه وضع الأوس - حلفاء يهود بني النضير - من تردّي الأوضاع الاقتصادية!.

وقال له: لقد أخبرتُك بهذا من قبل يا أبا نائلة، وحذَّرتك من هذه النتيجة، وقلت لك: إنكم أخطأتم في استقدام محمد وأصحابه من مكة، وإنهم سيشاركونكم أموالكم، وإنَّ الناس سيحاربونكم لأنكم تحمون عدوَّهم، وبهذا ستخسرون.

سبق أن قلت لك ذلك يا ابن سلامة، لكنك لم تسمع كلامي، واندفعت مع قومك في تأييد محمد، وها هي الحقيقة، وأنت الآن تشكو الفقر!.

قالها ابن الأشرف بنبرة التشفّي!.

أبو نائلة يستعد لإحضار إخوانه وابن الأشرف يتعاطف معه:

بعد ذلك قال أبو نائلة له: لستُ وحدي الذي أشعر بهذا، فإنّ معي رجالاً من أصحابي، على مثل رأْيي! شعروا بمقدار البلاء الذي حلَّ بنا!.

وعندما سمع ابن الأشرف أنَّ مع أبي نائلة رجالاً من أصحابه وجدها فرصةً مناسبة، لتنفيذ ما في ذهنه من مكائد ضدَّ رسول الله ﷺ. فها هو أبو نائلة (يُشكِّل) مجموعةً من الرجال الكارهين الساخطين، لماذا لا يستفيد ابن الأشرف من ذلك؟ ولماذا لا يوظف مجموعة أبي نائلة لتدمير مجتمع المسلمين وتحقيق حلمِهِ القديم؟.

أظهر ابن الأشـرف لأبي نـائلة تفاعُلَه معه، واسـتعداده لمسـاعدته هـو وأصحابه، في التغلب على الضائقة الاقتصادية التي يمرّون بها.

والتقط أبو نائلة إشارة ابن الأشرف بذكاء، وأراد أن يُزيل حذر ابن الأشرف من المجموعة، وذلك باجتماعه بهم، وحديثه معهم.

ولذلك سارع بالقول: سآتيك بالرجال الذين معي، لتسلِفَنا تمراً مما عندك، وتُحسن إلينا بذلك!.

ردَّ عليه ابن الأشرف: سأُسلفكم ما تريدون من التمر، فعندي منه الشيء الكثير، وهو أجود أنواع التمر، وإنَّ ضرس أحدكم تغيب في العجوة الواحدة منه!.

ثم أبدى لأبي نائلة تعاطفه معه، وألمه لمصابه، وقال له: واللهِ ما كنتُ أحبُّ أن أرى هذه الحاجة التي بك، وكم آلمني ما أنت فيه من الفقر، فأنت أخي، وأنت من أكرم النـاس عليّ، وقـد رضعتُ أنـا وأنت من ثـديٍ واحد! ولهذا سأساعدك بما عندي!.

وكذب ابن الأشرف فيما قال، فما هو إلاّ يهوديٌّ ماكرٌ خبيث، زعيمٌ من زعماء المكر والخبث، ينظر إلى غير اليهود نظرةً دونيَّة، ويفرح بما يحلُّ بهم من بلاء وشـدة! وهذا الكلام منه لأبي نـائلة لتنفيذ مخططه اليهـوديّ الخبيث ضدَّ المسلمين!.

قال له أبو نائلة: أرجو أن تكتم الحديث الذي حدثتك به بشأن المجموعة التي معي، ولا تُخبر بذلك أحداً!.

وقبل أن ينتهي الاجتماع السريُّ الخطير بينهما أراد ابن الأشرف أن يعرف هدف مجموعة أبي نائلة، ولهذا سأله قائلاً: اصدُقني يا أبا نائلة ما في نفسك، ما الذي تريده أنت ورجالك بشأن محمد؟.

أجابه أبو نائلة بما يطمئنه، فقال له: نريد خذلان محمد!.

سُـرَّ ابن الأشـرف بجواب أبي نـائلة، فها هو هدفـه سـيتحقق، وها هو المجتمع الإسلاميُّ في المدينة بدأ يتفكك، وها هم الأنصار بدؤوا ينفضّون عن رسـول الله ﷺ، وها هو أخوه في الرضاعة يشـكل مجموعةً سـريةً لهذه الغاية! فلماذا لا يسـتغلُّها زعيم الغدرِ اليهودي؟ . . وسـرح ابن الأشـرف مع أحلامـه اليهودية الغادرة بتفاعلٍ وسرور! .

واتفق أبو نائلة مع ابن الأشرف على أن يأتيه بأعضاء مجموعته، ليعطيهم ما يريدون من التمر! .

ونجحت الخطة الحكيمة التي رسمها محمد بن مسلمة وإخوانه، رضي الله عنهم . . .

المجاهدون الخمسة عند ابن الأشرف ورهن السلاح:

التقى أفراد المجموعة الخمسة فيما بينهم، وتدارسوا الأمر، واتفقوا على ما سيقولونه في اجتماعهم القادم مع ابن الأشرف، وفوَّضوا أميرهم محمد بن مسلمة بالحديث .

وتوجَّه الخمسة نحو قصر ابن الأشرف في الموعد المحدد، ورآهم حُرّاسه اليهود، فهذه ثالث مرة يشاهدون فيها مسلمين قادمين إلى ابن الأشرف، فقد جاءه ابن مسلمة، أبو نائلة، والآن ها هما يأتيان ومعهما ثلاثةٌ آخرون! .

اجتمع الخمسة مع الزعيم اليهودي على انفراد، وكان المتكلم أميرهم ابن مسلمة .

قال لابن الأشرف: جئناك لتُسلفنا تمراً من جيِّدِ التمر الذي عندك، حسب ما كلمتُك وكلَّمك أبو نائلة! .

قال له ابن الأشرف: سأُسلفكم ما تريدون من التمر، على شرط أن تُقدِّموا لي رهناً مقابل ذلك!! .

قال له: وماذا تريد أن نرهنك؟.

هنا تكلم ابن الأشرف بوقاحةٍ يهودية، دالةٍ على استعلائه واتباعه لشهواته، وحرصه على إذلال الآخرين، فقال له: تُرهنوني نساءكم!!.

يريد أن يأخذ نساءهم رهناً، وأن يبقيهنَّ عنده في قصره، مقابل تمرٍ يقدمُه لهم!.

وفوجئ المجاهدون بطلبه المثير، وثار الدم في عروقهم، لكنهم لم يشاؤوا أن يرُدّوا عليه ردّاً عنيفاً، لئلا تفسد الخطة التي رسموها للتخلصِ منه..

قال له ابن مسلمة: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟.

فطلب طلباً آخر، دالاً على يهوديته الحاقدة، الحريصة على إذلال الآخرين، قال: إن لم تُرهنوني نساءكم فارهنوني أبناءكم!!.

فقال له ابن مسلمة: ولا هذه! لا نُرهنك أبناءنا، لأنَّ هذا سيكون عاراً عليهم في المستقبل، سَيُعيَّرُ أحدهم بأن يقال له: أنت الذي رهنك أبوك ليهودي مقابل وسقٍ من التمر!!.

عرض عليه ابن مسلمة عرضاً حكيماً ذكياً، وفق الخطة الدقيقة التي رسمها مع إخوانه المجاهدين. قال له: سنُرهنك سلاحنا!.

وافق ابن الأشرف على هذا العرض فإن عجز عن أخذ نسائهم وأبنائهم رهائن، فلا أقلَّ من أخذِ سلاحِهم! والسلاح مهمٌّ عند اليهود أيضاً!.

الذكاء الإسلامي يغلب الخبث اليهودي:

كان محمد بن مسلمة رضي الله عنه ذكياً، عندما عرض عليه رهن السلاح، لأنهم سيأتون إليه حاملين السلاح، لتنفيذ حكم الله فيه، وهذا سيثير شكوكه وشكوك من حوله، وقد يُمنعون من اللقاء به إلاّ بعد سحب السلاح منهم.. ولذلك عرض عليه هذا العرض لئلا يشكَّ اليهود فيهم وهم حاملون لأسلحتهم!.

وهكذا غلب التخطيط الإيمانيُّ الكيد والمكر اليهودي، فكم رسم زعيم الغدر اليهوديّ من مكائد ومؤامرات ضدَّ المسلمين، وكم تفاخر بذكائه وعقليته وفطنته!! وها هو الآن يقع في الشَّركِ الذي رسمه له ابن مسلمة وإخوانه!.

إنَّ اليهود يتعالون على الآخرين، ويزعمون أنهم أكثر ذكاءً وفطنةً وموهبةً منهم، وهم صادقون في هذا عندما يتعاملون مع غير المؤمنين الربانيين!.

إنه لا يتفوّق على المكر والتآمر اليهوديّ الشيطاني إلاَّ المؤمن الرباني، الذي يهبه الله البصيرة والفطنة والوعي والذكاء!.

هذا ما حصل من المجموعة المجاهدة التي نجحت في الإيقاع بزعيم اليهود، رغم ذكائنه وفطنته!.

وعاد المجاهدون الخمسة وهم فرحون مسرورون، بعد نجاح الخطة الجهادية التي رسموها، وأكثرهم فرحاً وحمداً لله أميرهم ابن مسلمة، لقرب تحقيق ما تعهَّد به أمام رسول الله ﷺ!.

الرسول يبارك للمجاهدين عمليتهم الجهادية:

اجتمع المجاهدون في المدينة برسول الله ﷺ. وأطلعوه على كلِّ ما جرى، فأثنى عليهم رسول الله ﷺ، ودعا لهم بخير.

ولما حان موعد اجتماعهم مع ابن الأشرف، صلّو العشاء في المسجد، خلف رسول الله ﷺ.

ثم حملوا أسلحتهم، وأخبروا رسول الله ﷺ بتوجُّهِهم لتنفيذِ حكمِ اللهِ في زعيمِ الغدرِ اليهودي، فبارك لهم ﷺ جهادهم.

ومن باب رضى رسول الله ﷺ عن عملهم وجهادهم، فقد خرج معهم من المسجد، وشيَّعهم، وسار معهم حتى أتى (البقيع)، وهناك أوصاهم بما أوصاهم به، وأمرهم بالسير نحو الهدف على بركة الله!.

وسار المجاهدون الخمسة إلى هدفهم، بعد أن نالوا موافقة رسول الله ﷺ، وسعدوا بدعائه لهم، وكانوا في غاية السعادة، لأنهم ينفذون حكم الله في عدوٍّ من أشدِّ أعداء الله!.

العملية الجهادية ليلة الرابع عشر من ربيع الأول في سنة ٣هـ:

كانت الليلة التي ساروا فيها مقمرة، القمر فيها بدر، لأنها ليلة الرابع عشر من شهر ربيع الأول، من السنة الثالثة للهجرة.

ووصلوا قصر ابن الأشرف وهم مسلَّحون.. ومع ذلك لم تَثُر حولهم شكوكُ الحراس اليهود، لأنهم قادمون لتسليم أسلحتهم لابن الأشرف رهناً مقابل التمر!.

وكان ابن الأشرف حديث عهدٍ بعرس، فقد تزوج امرأةً جديدةً قبل أيام.. وكان في تلك الليلة مع عروسه في قصره!.

وقف المجاهدون أمام القصر، وهتف به أبو نائلة: إنّا قد جئناك بناءً على الموعد، فانزل إلينا!.

سمع ابن الأشرف نداء أبي نائلة وهو في الفراش مع عروسه، فنهض من الفراش سريعاً، وكلُّه نشاطٌ وحيوية، لأنه ينفذ مخططه ـ حسب ظنِّه ـ في الكيد للإسلام والمسلمين، وما درى ما يخبئُهُ له القدر.. لقد مكر بالمسلمين، فمكر الله به، وانقلب المكرُ السيِّئ عليه، لأنه لا يحيق المكر السيِّئ إلاّ بأهله: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

تعجبت امرأتُه من عجلته وتسرُّعه وغفلته، فقالت له: إلى أين تذهب في هذه الساعة المتأخرة من الليل؟.

قال لها: إني على موعدٍ مع هؤلاء!.

قالت له: إنك رجلٌ محاربٌ ذكيّ، وهذا وقت خطر، ورجالُ الحرب لا ينزلون في مثل هذه الساعة، وأنا أخشى عليك، فلا تذهب!.

قال لها: إنه أخي أبو نائلة، فلا خطر منه، ولي موعدٌ معه، فلا بدَّ أن أنزل إليه! ولم يكشف لامرأته الأمر الذي بينه وبينه ابن مسلمة وأبي نائلة، وإنما عمل على طمأنتها. ولكنها لم تطمئن، وتوقعت بحدسها أن يصيبه مكروه.

وقالت له: أرجوك أن لا تنزل، وإني أشمُّ في صوتِ أبي نائلة الشر، وأخشى أن يمسَّك بسوء!.

لم يستمع ابن الأشرف لتحذير امرأتِه.. وهكذا ساقهُ الله إلى حتفه، وذهب عنه ذكاؤه.. وإذا وقع القدرُ عميَ البصر!.

ارتدى ملابسه بسرعة، وأخذ نصيبه من عطرٍ جيدٍ عنده، ونزل مسرعاً من قصره، وما درى المسكينُ أنه ذاهبٌ إلى حتفه، وأنه لن يعود، لأنها حانت ساعةُ انتقام الله منه، جزاء بغيه وغدره وعدوانه!!.

المجاهدون الخمسة يوقعون ابن الأشرف:

جلس ابن الأشرف مع رجال المجموعة بجانب القصر، واطمأنَّ إليهم، فها هم ينفذون ما اتفق معهم عليه، وها هم يحملون سلاحهم ليدفعوه له رهناً.. وتحدثوا ساعةً تحت ضوء القمر، وانبسط إليهم، ولم يداخله تجاههم شكٌّ ولا ريب!.

وكان المجاهدون قد اتفقوا فيما بينهم قبل مجيئهم على إشارةٍ خفيةٍ يقوم بها أبو نائلة، فإذا صدرت عنه هجموا على ابن الأشرف وتناولوه بسيوفهم.

تولّى أبو نائلة إدارة دفة الحديث في تلك الليلة المقمرة... ولما شعر بانبساط ابن الأشرف واطمئنانه، أراد أن يأخذه بعيداً عن قصره، ليُبعده عن رجاله وأعوانه وحراسه، فيسهل عليهم قتله.

قال له: انظر يا ابن الأشرف ما أجمل هذه الليلة! إنها ليلةٌ مقمرة، مؤنسةٌ طيبة، يحلو فيها الحديث والسمر، ويطيب فيها المشيُ والسير. فما رأيك أن

نذهب سوياً إلى (شرج العجوز) لنواصل سَمَرنا؟ .

و(شرج العجوز) منطقةٌ جميلة، أشبه ما تكون بمنتزه، واقعةٌ بين قصر ابن الأشرف ويهود بني النضير، وبين المدينة! .

وافق ابن الأشرف على ذلك. وسار مع المجاهدين الخمسة إلى تلك المنطقة، وهم يسمرون ويتحدثون، ويُنشدون الأشعار! .

وكان ابن الأشرف قد ضمَّخ رأسه بالطيب والمسك والعنبر، وتلبَّد العنبرُ مع شعره، وكان شعره طويلاً منسدلاً على كتفيه! .

المجاهدون الخمسة يستدرجون ابن الأشرف:

أراد أبو نائلة أن يقوم بالحركات المتفق عليها في الخطة، بدون أن يُثير شكوك ابن الأشرف، بحيث تكون تلك الحركات مقدمةً للحركة القاتلة!! .

فبينما كانوا سائرين أدخل أبو نائلة يده برفقٍ في شعر ابن الأشرف، ثم أخرجها بخفَّةٍ وسرعة، وشمَّها، وأبدى إعجابه بعطره، وقال له: ما أطيب عطرك يا ابن الأشرف، ما رأيت عطراً بجودته! .

انتعش ابن الأشرف بهذا الثناء، وشعر بزهوٍ وافتخار، فها هو عطرهُ يحظى بإعجابِ أبي نائلة وإخوانه، وها هم يُثنون على تنعُّمِه ورفاهيتِه! . . وما درى هذا الساذجُ اليهوديُّ أن هذا شَرَك، رسمه له المؤمنون الأذكياء! .

وساروا مسافةً أخرى يتحدثون. . ومدَّ أبو نائلة يده مرةً أخرى إلى رأس ابن الأشرف، وابن الأشرف مزهوٌّ بذلك! وبذلك اطمأنَّ ابن الأشرف إليهم اطمئناناً تاماً.

وكانت الإشارةُ الخفيةُ عند المجموعة المجاهدة، أنه إذا أدخل أبو نائلة يده في رأسِ ابن الأشرف في المرة الثالثة، فعليهم أن يهجموا عليه! .

المجاهدون الخمسة يقتلون ابن الأشرف:

وساروا مسافةً أخرى، ابتعدوا فيها عن قصر ابن الأشرف، وعن منازل يهود بني النضير وبني قريظة.

مدَّ أبو نائلة يده إلى شعر ابن الأشرف للمرة الثالثة، وهي القاتلة.. فأدخل يده في شعره بقوةٍ هذه المرة، وأمسك شعره بكلتي يديه، وهتف بإخوانه المجاهدين قائلاً: اقتلوا عدوَّ الله اليهوديَّ الغادر كعب بن الأشرف!.

وكانوا جاهزين بسيوفهم، فما أن رأوا أخاهم ممسكاً برأس الغادر عدوِّ الله، وما أن سمعوا صوته، حتى تناولوا ابن الأشرف بسيوفهم!.

أثَّرت سيوفهم فيه، وأصابته بجراحٍ بالغة، ولكنها لم تقضِ عليه.

ولما أحسَّ زعيم الغدر اليهودي بالسيوف في جسمه صاح صيحةً شديدةً عالية، وأطلق صوتاً مدوياً مجلجلاً، واخترق صوتُه جدرانَ بيوت اليهود، ووصل إلى آذانهم ومسامعهم.

وأُضيئت الأنوار في تلك البيوت اليهودية، وقام اليهود من نومهم مذعورين، وعرفوا أنها صيحة زعيمهم ابن الأشرف.. لكنهم كانوا عاجزين عن إنقاذه، لأنَّ سيوف المجاهدين كانت أسرع منهم إليه!!.

وحاول ابن الأشرف أن يفلت من بين أيدي المجاهدين، لكنهم استمروا بضربه بسيوفهم!.

وأصابت ضربةٌ من أحدهم الحارثَ بن أوس رضي الله عنه ـ أحد أفراد المجموعة ـ برجله، فنزفَ دمُه!.

قال محمد بن مسلمة رضي الله عنه: ضربنا عدوَّ الله كعب بن الأشرف بسيوفنا عدة ضربات، ولم نُجهز عليه، وهو يصيح.. فتذكَّرتُ (مِغْوَلاً) معي في سيفي ـ وهو حديدةٌ حادَّة ـ فاستخرجته، وغرزتُه في (سُرَّة) عدوِّ الله ابن الأشرف،

ثم تحاملت عليه، ثم سحبتُه من (سُرَتَّه) حتى انتهت إلى (عانته) وبذلك أجهزتُ عليه!!.

وهكذا نجحت هذه المجموعة المجاهدة في قتل زعيم الغدر اليهودي كعب بن الأشرف، في تلك الليلة الإيمانية القمراء!.. وتركوا جثتَهُ ملقاةً على الأرض، بين يهود بني قريظة وبين المدينة!.

وعادوا سالمين فائزين مفلحين إلى رسول الله ﷺ.

ويعودون سالمين لرسول الله ﷺ:

ولما علمَ اليهود في البيوت بمصرع زعيمهم خرجوا مسرعين ليلقوا القبض على المجاهدين.

ولكن الصحابة المجاهدين توجَّهوا مسرعين إلى المدينة.

وعجز الحارث بن أوس عن الجري بسبب الجرح الذي أصابه برجله، والدم الذي ينزف منه. فقال لإخوانه: اتركوني هنا، وانجوا أنتم بأنفسكم، فها هم اليهود متوجِّهون إليكم!.

فقال له الأمير ابن مسلمة: لن نتخلّى عنك، ولن نتركك هنا!!.

وحمل المجاهدون أخاهم الجريح، وأسرعوا في عَدْوِهم، ووصلوا المدينة سالمين.

انتهوا إلى البقيع قبل الفجر، ولم يكن رسول الله ﷺ نائماً في تلك الساعة، إنما كان قائماً يصلي، ويدعو الله لهم.

ولما صاروا في البقيع كبَّروا الله بصوتٍ مرتفع: الله أكبر، الله أكبر!.

وسمع رسول الله ﷺ تكبيرهم، وعرف أنَّ الله وفَّقهم لقتل الغادر ابن الأشرف، وأنهى صلاة القيام، ووقف ينتظرهم على باب المسجد ليستقبلهم!.

وجاء المجاهدون الأربعة إلى رسول الله ﷺ، هم يحملون أخاهم الخامس

الجريـح، وكانوا فرحين مستبشـرين شـاكرين لله، الذي وفَّقهم فـي مهمتهم الجهادية!!.

خاطبهم رسول الله ﷺ بقوله: أفلحت الوجوه.

وكانت هذه الجملة بشارةً عظيمةً من رسول الله ﷺ لهم، أخبرهم فيها أنهم مُفلحـون في جهادهم، مُبـاركون في أعمالهم، وأنَّ الله تقبَّـل منهم جهدهم وجهادهم. وأحبَّ رسـول الله ﷺ أن يبدأهم بهذه البشرى، لتسـمو أرواحُهم، وتشرف قلوبهم، وترتفع معنوياتُهم.. وأنستهم هذه البشارة ما أصابهم من تعبٍ ونصب، وسهرٍ وسعي، وعَدْوٍ وجري!!.

ردّوا على تحية رسول الله ﷺ قائلين: ووجهُك مفلحٌ يا رسول الله! ورأى رسول الله ﷺ الحارث بن أوس رضي الله عنه، ينزف الدم من جرحه، فتفل عليه من ريقه، ومسح عليه بيده الشريفة، ودعا الله له، فتوقف نزيف الدم، وعافاه الله، كأن لم يكن به جرح!!.

فرح المسلمين بقتل ابن الأشرف:

ولما صلّى المسلمون الفجر خلف رسول الله ﷺ، علموا بالخبر السارّ، والبشرى العظيمة: مقتل عدوٍّ الله ورسوله، وزعيم الغدراليهودي كعب بن الأشرف. فحمدوا الله على هذه النعمة، وأثنوا على محمد بن مسلمة وإخوانه المجاهدين.

وشعر محمد بن مسلمة رضي الله عنه براحةٍ وأُنس، لأنه وفّى بعهده مع رسول الله ﷺ بقتل الغادر ابن الأشرف، وبذلك صدق مع نفسه ومع الرسول عليه الصلاة والسلام!.

وهكذا نجحت مجموعة محمد بن مسلمة المجاهدة في (إرهاب) اليهود الكافرين، وبثِّ الخوف والفزع والهلع في نفوسـهم. فكعب بن الأشـرف دفع حياته ثمناً لغدره وعدوانه، وانقلب مكره عليه، لأنه لا يحيق المكر السيِّئ إلاّ

بأهله . . واليهود علموا هذا عن زعيمهم الغادر، وعلموا أنَّ كلَّ غادر متآمرٍ منهم يكون مصيرُه كمصير ابن الأشرف!.

لقد كان محمد بن مسلمة وإخوانه المجاهدون ـ رضي الله عنهم ـ يُطبقون عملياً قول الله سبحان وتعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

عباد بن بشر يؤرِّخ العملية شعراً:

وكان عبّاد بن بشرٍ رضي الله عنه ـ أحد أفراد المجموعة المجاهدة ـ شاعراً، وقد أثبت العملية الجهادية بشعره، ونظم أبياتاً تحدَّث فيها عما جرى. من ذلك قوله:

صَرَخْتُ به، فلم يَجْفلْ لصوتي ... وأوفى طالعاً من فوق قَصْرِ
فعُدتُ، فقال: من هذا المنادي؟ ... فقلت: أخوك عبّاد بن بشرِ
فقال محمدٌ: أسرع إلينا ... فقد جِئنا لِتُشكرَنا وتَقْري
وترفِدَنا، فقد جِئنا سِغاباً ... بنصف الوسق من حبٍّ وتمر
وهذي دِرعُنا رهناً، فخذها ... لشهرٍ إن وفى أو نصفِ شهر
فقال: معاشرٌ سغبوا وجاعوا ... لقد عدموا الغنى من غير فقرِ
وأقبل نحونا يهوي سريعاً ... وقال لنا: لقد جئتم لأمر
وفي أيْمانِنا بيضٌ حدادٌ ... مُجرَّبةٌ، بها الكفار نَفْري
فعانقه ابن مسلمة المرادي ... به الكفّان كالليث الهِزَبْرِ
وشدَّ بسيفه صَلْتاً عليه ... فقطَّرهُ أبو عبسِ بن جبر
وصلت وصاحباي، فكان لما ... قتلناه الخبيثُ: كذبح عِترِ
ومرَّ برأسه نفرُ كِرامٌ ... هُمُ ناهوك من صدقٍ وبرٍّ
وكان الله سادِسنا، فأُبنا ... بأفضلِ نعمةٍ وأعزِّ نصر

وتناقل المسلمون شعر عبّاد بن بشر رضي الله عنه، حامدين لله، معتزّين بنصره.

الرسول يهدد اليهود المشتكين إليه:

وبعد أيامٍ من قتل زعيم الغدر كعب بن الأشرف، جاء وفدٌ من اليهود إلى رسول الله ﷺ، يُقدمّون له الشكوى، ويعترضون على قتل زعيمهم.

قالوا: يا أبا القاسم: جاء رجالٌ من أصحابك، وقتلوا كعب بن الأشرف، وهو سيدٌ من ساداتنا، وزعيمٌ من زعمائنا، قتلوه غدراً وغيلةً وظلماً، مع أنه لم يقاتلكم، ولم يرتكب ذنباً!.

وكانوا كاذبين في كلامهم، فهم يعلمون تآمره على المسلمين، ولكنهم أرادوا أن يخدعوا رسول الله ﷺ، ليستنكر الحادثة، ويُدين أصحابه الذين فعلوها!.

ولكنَّ رسول الله ﷺ كان يدرك خداعَهم، ويعرف قصدهم، فأدَّبهم، وبيَّن لهم أنَّ ابن الأشرف كان ناقضاً للعهد، غداراً متآمراً!.

قال لهم: لم يكن ابن الأشرف مسالماً، ولو كان مسالماً لما قُتل، لقد آذانا، وهجانا بالشعر، وتآمر مع قريش علينا، لذلك قُتِل!.. وكلُّ من يفعل منكم مثل فعلِه، سيكون جزاؤه عندنا القتل بالسيف!!.

أدَّبهم رسول الله ﷺ، وأوقع الرعب والخوف في قلوبهم.. إنَّ ابن الأشرف خبيثٌ مجرمٌ غادرٌ متآمر، وقد دفع حياتَه ثمناً لذلك.. وإنَّ المسلمين لن يسكتوا على أيِّ غادرٍ متآمرٍ من اليهود، حيث سيُلحقونه بابن الأشرف!.

محيصة بن مسعود يقتل ابن سنينة اليهودي:

كانت المجموعة المجاهدة التي شكَّلها محمد بن مسلمة لتنفيذ حكم الله في ابن الأشرف من (الأوس).. ولهذا كان الأوس يفتخرون بما قامت به.

وكانت القبيلة الثانية (الخزرج) تغبطُ الأوس على هذا الشرف.. ومعلومٌ

أنَّ الأنصار في المدينة كانوا من الأوس والخزرج، وأنَّ القبيلتين كانتا تتنافسان وتتسابقان في الأعمال الصالحة.

وأراد رجالٌ من الخزرج، أن يقتدوا بإخوانهم من الأوس، وأن يتقربوا إلى الله، بقتل عدوٍّ من أعداء الله اليهـود، المشـهورين بالكيد والغدر والتآمر على المسلمين!.

سيطر هذا التفكير على أحد شباب الخزرج، هو (مُحيِّصةُ بن مسعود).. وفكَّر في يهوديٍّ متآمر، ووجده.. إنه (ابن سَنينَة)!.

كان (ابن سنينة) تاجراً من كبار تجار اليهود، له صِلاتٌ وارتباطاتٌ مع كثيرٍ من الزعماء اليهود وأعوانهم، ومع زعماء العرب المشركين. وكان يستغلُّ هذه الصِّلات والارتباطات في إيذاء المسلمين والتآمر عليهم.

وكان مُحيصة بن مسعود يعرف التاجر اليهودي المتآمر ابن سنينة عن قرب بسبب الصداقة العائلية بين العائلتين، تلك الصداقة التي عقدها أخوه الأكبر (حُويِّصَةُ بن مسعود)!.

كان حوُيّصة كافراً، رفض أن يدخل في الإسلام، رغم دعوة المسلمين له، ورغم دعوة أخيه الأصغر مُحيّصة له!.

كان الأخ الأكبر حُويّصة وثيق الصلة بالتاجر اليهودي، يدعوه كثيراً إلى بيته، يتحدثان ويأكلان ويشربان.. وكان ابن سنينة يُقدِّم للعائلة المال والطعام، ليضمن استمرار ارتباط حُويّصة به!.

واطَّلع الشابُّ المسلم (محيّصة) على خبث ولؤم وتآمر ابن سنينة!.. وكان يؤلمه الصلة العائلية الوثيقة به ـ عن طريق أخيه الأكبر ـ.

ولما قتلت مجموعة ابن مسلمة المجاهدة ابن الأشرف، فكَّر (مُحيصة) في قتل ابن سنينة، لأنه يسير على طريق ابن الأشرف في الغدر والكيد والتآمر.

وقبل أن يُنفذ الفكرة لجأ إلى رسول الله ﷺ، واستشارهُ في الأمر، وبيَّن له

عدواة ابن سنينة، وتأمره على المسلمين . . فأذن له رسول الله ﷺ بقتله، بسبب جرائمه ضد المسلمين ! .

خطَّط الشابُ المجاهد (محيصة بن مسعود) لقتل ابن سنينة وحده . . ثم عزم على تنفيذ خطَّتِه . . وتوجَّه في إحدى الليالي إلى ابن سنينة في بيته . ودخل عليه، وضربه بسيفه فقتله ! ! ونفَّذ حكم الله فيه .

حويِّصة يسلم على يد أخيه محيِّصة :

وفي اليوم التالي علم الأخ الأكبر، الكافر (حويِّصة بن مسعود) بمقتل صديقه وحليفه ابن سنينة، على يد أخيه الشاب . . فغضب غضباً شديداً، وقرَّر أن يؤدب أخاه على جريمتِه ! ! .

انتظر حُويصة قدوم أخيه البيت، وأعدَّ له عصا غليظة . . وما أن دخل البيت، حتى تناوله بالعصا، وضربه ضرباً متوالياً ! .

ولامه وعنَّفه، وسبَّه وشتمه . . وقال له : ويلك ! قتلت حليفنا وصديقنا ابنَ سنينة؟ أنسيتَ صلته بنا وإكرامه لنا؟ أنسيت ما قدَّمه لنا من مالٍ وطعام؟ إنَّ شحم بطنك من ماله ! ! .

فردَّ عليه أخوه المجاهد قائلاً : قتلتُه لأنه عدوُّ الله ورسوله، ولأنه آذى المسلمين، وتآمر عليهم .

ثم فاجأ أخاه بقوله : لقد أمرني رسول الله ﷺ بقتله، لغدره وخيانته، فنفَّذت أمره . ووالله لو أمرني رسول الله ﷺ بقتلك أنت لنفَّذت أمره وقتلتك ! ! .

فوجئ حويصة بكلام أخيه، وأصابته الدهشة، فقال له مستوضحاً : يا أخي : لو أمَرَكَ رسولُ الله بقتلي تقتلني ؟ .

قال له محيصة : نعم . والله لو أمرني رسول الله ﷺ بقتلك لقتلتُك بدونِ تردُّد ! .

راح حويّصة يفكر: كيف يفعلها أخي؟ كيف يقتلني لو أمره نبيُّه بقتلي؟ ما هذا الدين الذي اعتنقه؟ ما هذا الدين الذي دعاه إلى قتل حليف العائلة وصديقها ابن سنينة؟ والذي يدعوه إلى قتل عميد العائلة أخيه الأكبر إذا أُمر بذلك؟ .

ما درى هذا الكافر أنَّ الإسـلام هو الذي صاغَ شـخصية أخيه، وشكَّل له فكره، فصار تصنيفه للناس على أساسِ قُربهم من الإسلام أو بُعدهم عنه، من كان مسلماً فهو أخوه وحبيبه، يرتبط معه بالولاء والتحالف، ومن كان كافراً فهو بعيدٌ عنه، ومن عادى الإسلام والمسلمين فهو عدوُّه، ولو كان أقرب الناس إليه نسباً!! .

وبعد تفكيرٍ طويلٍ قال (حويّصة): والله إنَّ الإسلام دينٌ عظيم، حيث تمكَّن من تغيير تفكير وارتباطات وصلات وتحالفات أتباعه، وحوَّلها من كونها قائمةً على العشيرة أو القرابة أو المصلحة، إلى كونها قائمةً على أسس قيِّمة! .

واقتنع حويصة بالإسلام، وأنار الله قلبه بنور الإيمان، فذهب إلى رسول الله ﷺ وأسلم بين يديه، وشهد أن لا إلـه إلاّ الله، وأنَّ محمداً رسول الله ﷺ! .

ابن مسلمة يهدد ابن يامين اليهودي لحقده ولؤمه:

وبقيت في قصة قتل مجموعة محمد بن مسلمة رضي الله عنه لكعب بن الأشرف بقية. .

فقد أطال الله عمر أمير المجموعة محمد بن مسلمة، حيث عاش فترة الخلفاء الراشدين، وأدرك خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه! .

وفي عهد معاوية كان ابن مسلمة قد قارب الثمانين من عمره! .

وعيَّن معاوية رضي الله عنه مروان بن الحكم والياً على المدينة. . وكان محمد بن مسلمة مقبلاً على عبادة الله وذكره، وكان أهل المدينة يُقدِّرونه ويُكرمونه، ويعرفون فضله ومنزلته.

وفي يومٍ من الأيام توجَّه محمد بن مسلمة رضي الله عنه إلى أمير المدينة مروان بن الحكم لأمرٍ ما . . ولما دخل مجلس الأمير وجد عنده أحد أبناء اليهود، هو (ابن يامين النَّضري) من أبناء يهود بني النضير ! .

وكان الجالسون في مجلس الأمير يعرفون دور ابن مسلمة رضي الله عنه في قتل زعيم الغدر كعب بن الأشرف، كما كان ابن يامين النَّضري يعرف ذلك .

وجلس محمد بن مسلمة في المجلس، وصار الجالسون يتجاذبون أطراف الحديث، والحديث ذو شجون ! .

طرح الأمير ابن الحكم سؤالاً ـ بمناسبة حُضور ابن مسلمة ـ فقال : كيف كان قتل اليهوديِّ كعب بن الأشرف؟ .

استيقظت العصبية اليهودية الحاقدة في قلب اليهودي ابن يامين، وتكلَّم لسانه بحقدٍ على الإسلام والمسلمين، وسارع بالإجابة على سؤال الأمير قائلاً : كان قتلُ ابن الأشرف غدراً ! ! .

وأثار جواب ابن يامين الشيخ الجليل المهيب محمد بن مسلمة رضي الله عنه، لأنه هو الذي قام بقتله مع إخوانه المجاهدين، ويعلم تفاصيل العملية، وغضب من كلام ابن يامين غضباً شديداً، لأنَّ معناه اتهام رسول الله ﷺ وأصحابه بالغدر ونقضِ العهد . .

ووجَّه ابن مسلمة كلامه إلى الأمير ابن الحكم، وقال له : يا مروان : أيغدر رسول الله ﷺ؟ أيُتَّهم رسول الله ﷺ بالغدر في مجلسك؟ .

ثم وجَّه كلامه إلى الجالسين وقال لهم : أنا كنت ممن قام بقتل ابن الأشرف، ووالله ما قتلناه إلاّ بأمرٍ من رسول الله ﷺ. وما أمرنا بذلك إلاّ بعد غدر وخيانة ابن الأشرف وإيذائه للمسلمين ! .

ثم هدَّد ابن يامين بقوله : لله عليَّ يمين، لئن قابلتُك يا ابن اليهودي وبيدي سيفٌ لقتلتك به ! ! .

ابن مسلمة ينفذ تهديده في ابن يامين اللئيم :

خاف ابن يامين اليهودي من تهديد محمد بن مسلمة رضي الله عنه، لأنه يعلم أنه جادٌ في تهديده، وأنه قادرٌ على أن يُنفذه، ولهذا كان يتجنب مقابلة ابن مسلمة!!.

كان ابن يامين يسكن في منطقة بني قريظة، وكان محمد بن مسلمة رضي الله عنه يسكن قريباً من المسجد النبوي.. فكان ابن يامين إذا احتاج إلى القدوم إلى المدينة لبعض شأنه، يُرسل أحد الرجال لينظر أين محمد بن مسلمة! فإن كان ابن مسلمة في المدينة عدل عن القدوم، وإن كان خارج المدينة، قدم ابن يامين وقضى حاجته، وخرج مسرعاً قبل مجيء ابن مسلمة!!.

وفي أحد الأيام ماتت امرأةٌ مسلمةٌ في المدينة، وصلّى عليها المسلمون، ودفنوها في البقيع، وكان محمد بن مسلمة رضي الله عنه من المشاركين في جنازتها.

وبعد ما تمَّ دفنُها، التفت محمد بن مسلمة، فرأى ابن يامين اليهودي في المنطقة، وتذكَّر كلمته الفاجرة في مجلس مروان بن الحكم، وتذكَّر عهده وتهديده له بقتلِه إذا وجده في المدينة!.

تلفَّت حواليه فلم يجد شيئاً يضرب به ابن يامين!.. ورأى قبراً جديداً عليه جريدٌ من نخل.. فتوجَّه نحو القبر مسرعاً، وسط استغراب الناس، ونزع عنه جريد النخل، وهجم به على ابن يامين اليهودي، وانهال عليه ضرباً به، والمسلمون يتفرَّجون عليه، ويشتفون به، حتى كسر جريد النخل عليه!.

ترك ابن مسلمة ابن يامين المفتري صريعاً، والدم ينزف من جسمه، وقال له: والله لو كان سيفي معي لضربتُ عنقك!!.

* * *

المراجع :

١ ـ المغازي، لمحمد بن عمر الواقدي: ١/ ١٨٤ ـ ١٩٣ .

٢ ـ السيرة النبوية، لابن هشام: ٣/ ٥٤ ـ ٦٣ .

٣ ـ تاريخ الأمم والملوك، للطبري: ٢/ ٤٨٧ ـ ٤٩٢ .

٤ ـ دلائل النبوة، للبيهقي: ٣/ ١٨٧ ـ ٢٠٠ .

٥ ـ البداية والنهاية، لابن كثير: ٣/ ٥ ـ ٩ .

٦ ـ قادة النبي ﷺ، لمحمود شيت خطاب، ص١٢٧ ـ ١٢٩ .

٧ ـ قصص من حياة الرسول وأصحابه، لمحمد علي دولة، ص٤٧٩ ـ ٥٢١ .

* * *



(٣)
مجموعة عبد الله بن عتيك
تقتل زعيم يهود خيبر (سلاّمُ بنُ أبي الحُقيق)

تسابق الأوس والخزرج في الخير:

كان مقتل طاغوت اليهود كعب بن الأشرف بعد غزوة بدر، في مطلع السنة الثالثة من الهجرة، والمجموعة التي قتلته (أَوْسيّة) من الأوس.

ومعلومٌ أنَّ الأنصار كانوا من قبيلتين هما: الأوس والخزرج، وكان بينهما تنافسٌ وتسابقٌ في العمل الصالح، والعبادة والخير، والجهاد في سبيل الله.

فإذا فعل الأوس خيراً غبطهم عليه الخزرج، وبحثوا عن خيرٍ مثلِه يعملونه، ويُسابقونهم فيه، يتقربون بذلك إلى الله.. وإذا فعل الخزرج خيراً غبطهم عليه الأوس، وبحثوا عن خيرٍ مثله يفعلونه!!.

فلما نجحت مجموعة محمد بن مسلمة الأوسية في قتل كعب بن الأشرف، غبطهم على ذلك إخوانهم الخزرج، وأرادوا أنْ يقوموا بعملٍ مماثل، يُسابقون فيه الأوس، وينتقمون فيه من أعداء الله!.

فكّر الخزرج في الأمر، وبحثوا عن زعيمٍ من زعماء اليهود، مثل كعب بن الأشرف في غدره وخيانته وكيده وتآمره.

ووجدوه.. إنه أبو رافع.. سلاّم بن أبي الحُقيْق، زعيم يهود خيبر.

زعماء اليهود الثلاثة:

كان (سلاّم بن أبي الحُقيق) زعيم يهود خيبر، وإليه آلت زعامةُ اليهود بعد

مقتل الزعيمين اليهوديْن : كعب بن الأشرف ، وحُيَيِّ بن أخطب .

كانت الصلة وثيقةً بين الزعماء اليهود الثلاثة ، يلتقون فيما بينهم ، ويتدارسون محاربة المسلمين والتآمر عليهم ، فكانوا بذلك زعماء في الغدر والكيد والخيانة والأذى ! ! .

ذهب كعب بن الأشرف إلى قريش بعد غزوة بدر ، يهيِّجُهم ضدَّ المسلمين ، ولذلك أهدرَ رسول الله ﷺ دمه ، ونَفذَتْ حكم الله فيه ، مجموعة محمد بن مسلمة ! .

وبعد مقتل كعب بن الأشرف آلت زعامة اليهود إلى (حُيَيِّ بن أخطب) ، زعيم يهود بين النضير . . وبعد ما قام يهود بني النضير بغدرهم ونقضهم العهد مع رسول الله ﷺ ، أجلاهم رسول الله ﷺ عن المدينة ، فخرجوا إلى خيبر وتيماء ، وكان هذا بعد غزوة أُحُد في السنة الثالثة .

وانتقل زعيمهم حُييُّ بن أخطب إلى خيبر ، وصار ينسق مع زعيم يهود خيبر (أبي رافع) كيفية التآمر على المسلمين .

وذهب حييُّ بن أخطب إلى قريش في مكة ، لهيِّجهم ضدَّ المسلمين ، ويشجعهم على محاربتهم ، بينما ذهب أبو رافع إلى قبيلة (غطفان) العربية للغاية نفسها ! ونجحت جهود الزعيمين اليهوديين في حشد قريش وغطفان لحرب المسلمين ، وكانت غزوة الأحزاب ـ أو الخندق ـ في السنة الخامسة .

وتمكَّن (حييُّ بن أخطب) من إقناع يهود بني قريظة ، بنقض عهدهم مع رسول الله ﷺ ، وغدرهم بالمسلمين ، وانضمامهم إلى الأحزاب المشركة من قريش وغطفان .

ونصر الله المسلمين في غزوة الأحزاب ، وردَّ الذين كفروا من المشركين واليهود بغيظهم ، لم ينالوا خيراً ، وكفى الله المؤمنين القتال ! .

وكان حيي بن أخطب مع يهود بني قريظة ، لما حاصرهم رسول الله ﷺ ،

ولما استسلموا منهزمين، نزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه، وهو قتل رجالهم، وسبي نسائهم، وتملُّكُ أموالهم وأراضيهم.

وقتل المسلمون جميع رجال بني قريظة المحاربين، وكان بين القتلى حيي ابن أخطب زعيم يهود بني النضير، وكعب بن أسد زعيم يهود بني قريظة.

وبعد قتل الغادر حيي بن أخطب انتقلت زعامة اليهود إلى أبي رافع - سلاّم ابن أبي الحُقيق - في خيبر.

تآمر أبي رافع ضد المسلمين:

كان لسلاّم بن أبي الحُقيق حصنٌ منيعٌ في خيبر، وكان تاجراً من كبار تجار اليهود، كثير المال واسع الثراء، جمع بين الزعامة السياسية والاقتصادية لليهود.. وبسبب نشاطه التجاريِّ الواسع في المنطقة كان يُلَقَّبُ بلقب (تاجر الحجاز).

واستغلَّ أبو رافع صِلاتِه التجارية مع القبائل العربية في الحجاز لإيذاء رسول الله ﷺ، ومحاربة المسلمين، وكان مشهوراً بالغدر والخيانة، واللؤم والحقد!!. لم يتوقَّف عن هذه الجرائم اليهودية ضدَّ المسلمين، ولم يتعظ بما جرى لابن الأشرف وابن أخطب!.

وبعدما تجمَّع اليهود عنده في خيبر، قادمين من المدينة - بعد إجلاء الرسول ﷺ ليهود بني قينقاع وبني النضير - ضاعف أبو رافع من نشاطه المعادي ضدَّ المسلمين، وزياراته لزعماء المشركين واتصالاته بهم للتآمر على المسلمين!.

وبسبب هذه الجرائم استحقَّ أبو رافع القتل، كما استحقَّه الشيطانان من قبله: كعب بن الأشرف وحييُّ بن أخطب.

ابن عتيك يشكِّل مجموعة مجاهدة لقتله:

اجتمع نفرٌ من الخزرج، الذين كانوا يبحثون عن وسيلةٍ صالحة، يسابقون فيها إخوانهم الأوس، الذين قتلوا كعب بن الأشرف.

تدارسوا الأمر، وفكَّروا في الأعداء اليهود، فوجدوا أنَّ أبا رافع هو العدوُّ الأول للمسلمين الآن، لذلك لا بدَّ أن يُقتل لجرائمه.

وحتى يكون تصرُّفهم صحيحاً، وفعلهم صواباً، أتوا رسول الله ﷺ يسألونه عن صواب فعلهم، فإن كان صواباً أذن لهم بقتل أبي رافع.

عرض (عبد الله بن عَتيك) رضي الله عنه الأمر على رسول الله ﷺ، وذكر له عداوة زعيم يهود خيبر (أبي رافع) للإسلام والمسلمين، فأذن رسول الله ﷺ بقلته، بسبب جرائمه، وكلَّف عبد الله بن عتيك بذلك، وأشار عليه باختيار مجموعة من إخوانه لهذه الغاية.

فرح عبد الله بن عتيك رضي الله عنه بتكليف رسول الله ﷺ له بقتل أبي رافع، واعتبر هذا فضلاً من الله عليه، وجهاداً مبروراً صالحاً يقوم به، ويتقرب به إلى الله.

(شكَّل) ابن عتيك مجموعته المجاهدة، أربعةً من المجاهدين، هو خامسهم، وكلُّهم خَزْرَجيّون، في مقابل مجموعة ابن مسلمة الأوسية، التي قتلت ابن الأشرف!.

والأربعة الذين مع ابن عتيك هم: عبد الله بن أُنيس، ومسعود بن سنان، والحارث بن ربعي ـ أبو قتادة ـ والأسود بن خزاعى.

وأمَّرَ رسول الله ﷺ عبد الله بن عتيك رضي الله عنه على المجموعة. وكان اختيارُه أميراً عليها في مكانه، ومعلومٌ أنَّ رسول الله ﷺ كان خبيراً في الرجال، حكيماً في اختيار الأمراء، يضع الرَجل المناسب في المكان المناسب!.

لقد توفَّرت في عبد الله بن عتيك صفتان، أهَّلته ليكون أميراً لهذه المجموعة المجاهدة:

الأولى: أنه رضع وهو صغير من امرأةٍ يهودية، كانت في المدينة، وهذه

اليهودية موجودةٌ في خيبر الآن، وبما أنها أُمُّه في الرضاع، فلا بدَّ أن يستفيد منها في مهمته!.

الثانية: أنه كان يتقن اللغة العبرية التي يتكلم بها اليهود إتقاناً تاماً!! وهذا ضروريٌّ لتنفيذ هذه المهمة الجهادية، فعندما (يرطنون) بالعبرية يفهم عليهم، وإذا اضطرَّ إلى استخدامها استخدمها كأنه واحدٌ منهم.

المجموعة المجاهدة في خيبر:

في منتصف شهر ذي الحجة من السنة الخامسة للهجرة توجَّه المجاهدون الخمسة إلى خيبر، لتنفيذ تلك المهمة الجهادية.. وودَّعهم رسول الله ﷺ، ودعا لهم بالتوفيق.

ووصلوا إلى مشارف خيبر، وكانت خيبر قلعةً يهوديةً منيعة، فيها الكثير من الحصون والقلاع، ولها سورٌ يحيط بها، عليه حراسٌ من اليهود!.

توقَّف المجاهدون عند مشارف خيبر، وأرسل عبد الله بن عتيك إلى أمه بالرضاع قائلاً: إنني على مشارف خيبر، وأُريدُ منكِ أن تأتي إليّ!.

وهذا تصرُّفٌ ذكيٌّ من ابن عتيك، فلو دخل المجاهدون الخمسة جهاراً نهاراً فسيلفتون أنظار الحراس اليهود، وبذلك تفشل المهمة الجهادية!.

حملت المرأة اليهودية كيساً من تمر وخبز، وخرجت لملاقاة ابنها بالرضاع (عبد الله) ولعلها كانت في شوقٍ شديدٍ إليه!.

قابلتْ ابن عتيك وإخوانه، وقدمت لهم الكيس، فأكلوا من التمر والخبز.

كلَّمها ابن عتيك، وأخبرها بمهمته، وصارَحها بذلك، لأنه كان آمناً من جهتها، ويبدو أنها كانت غير راضيةٍ عن ممارسات أبي رافع زعيم خيبر، ولذلك لم تُمانع في قتله على يد ابنها (عبد الله)!.

ولكنَّ الأمر خطير، والحراسات على أبي رافع مشدَّدة، ولذلك خافت على

ابنها أن يُقتل، وحاولت أن تُثنيه عن ذلك.

قالت له: يا بني: كيف تدخل خيبر وفيها حراساتٌ مشددة؟ وكيف تستطيع قتل أبي رافع، وحولَه أربعةُ آلافِ مقاتل؟ إنني أخشى عليك يا بُني، وأخاف أن يقتلوك، فاصرف النظر عن ذلك، وَعُدْ سالماً!!.

لكنَّ ابن عتيك أخبرها عن تصميمه على ذلك، وقال لها: والله لأقتُلَنَّه! أو لأُقتَلَنَّ دونه، فإمّا أنا وإمّا هو!!!.

ثم قال لها: كلُّ ما نريده منكِ هو أن تعملي على إدخالنا داخل السور، بحيث لا يلتفتُ الحراسُ لنا!.

تعاونت معه في ذلك، ورسمت خطتها لإدخالهم خيبر.. انتظروا إلى أن حلَّ الظلام، عند ذلك دخلت من باب السور، ودخل معها عبد الله بن عتيك وإخوانه، ولم يُثيروا انتباه الحُرّاس اليهود. ويبدو أنَّ المرأة اليهودية كلمتهم بالعبرية، وأنَّ ابن عتيك (رَطَنَ) لهم بالعبرية أيضاً، فاعتبروا الجميع يهوداً، وأدخلوهم من باب السور!.

وهكذا نجحت الخطوة الأولى من خطة ابن عتيك الحكيمة، فها هم الآن داخل المدينة الحصينة!.

توجَّهوا إلى بيت المرأة اليهودية، وأقاموا عندها فترة من الزمن!.

الخطة المحكمة لقتل أبي رافع:

انتقل ابن عتيك إلى تنفيذ الخطوة الثانية من خُطته، وهي الوصول إلى قصر (سلاّم بن أبي الحُقيق).

ورغم أنَّ قصره كان وسط خيبر، داخل سورِها الخارجي إلاّ أنه كان حِصْناً حَصيناً أيضاً!.

كان الحصن مُحاطاً بسور، له بابٌ منيع، وعلى الباب حُرّاس، مكلَّفون

بإغلاقه عند المساء . . وكان مكوَّناً من طابقين : الطابق الأول يجلس فيه حُرَّاسه وخدمه ، والطابق الثاني له هو وزوجته . . وبجانب القصر مكانٌ خاصٌ للدواب ! .

قام ابن عتيك وإخوانه باستطلاعٍ دقيق للقصر ، من قاعدتِهم الآمنة في بيت أُمِّه من الرضاع ! .

عرفوا أنَّ للقصر بوّاباً ، وأنه مكلفٌ بإغلاق الباب عند المساء ، وأنه يعلِّق مفتاح الباب في (طاقةٍ) عند الباب ، وأنَّ رجالاً من زعماء خيبر يجلسون مع أبي رافع في الطابق الثاني ، ويسهرون معه إلى قريب منتصف الليل ، ثم يعودون إلى بيوتهم . .

وضع ابن عتيك وإخوانه الخطة المحكمة لتنفيذ ما عزموا عليه ، وكُلِّفوا به .

كانت الخطة تقوم على أن يتولّى عبد الله بن عتيك وعبد الله بن أُنيس مهمة قتل أبي رافع ، ويقوم إخوانهم المجاهدون الثلاثة بمغادرة القاعدة ـ بيت اليهودية ـ والخروج من سور المدينة الخارجيِّ قبيل التنفيذ ، وانتظار ابن عتيك وابن أُنيس على مشارف خيبر . وبعد ما يفرغان من مهمتِهما يلحقان بهم ! .

ابن عتيك وابن أنيس داخل قصر أبي رافع :

خرج المجاهدون الثلاثة من خيبر في النهار ، وكَمنُوا في مكانٍ خاص . . .

وقبيل غروب شمس ذلك اليوم توجَّه ابن عتيك وابن أُنيس نحو قصر أبي رافع . وكُلِّف ابن عتيك بالحديث مع الحراس اليهود ، لأنه يتقن التكلم بالعبرية ! .

وسهَّل الله لهما الأمر ، ورتَّب سبحانه الأحداث بحكمته وتوفيقه . .

فما أن وصلا باب السور مع الغروب ، حتى وجدا رجال القصر منتشرين خارج السور ، يبحثون عن (حمارٍ) مفقودٍ من حمير أبي رافع ! ! .

أوعز ابن عتيك لابن أُنيس بالسير مع رجال القصر وحُرّاسه ، والاشتراك

معهم في البحث عن الحمار المفقود! ليوهمَهم أنه واحدٌ منهم، وليدخل القصر معهم عندما يعودون، بدون أن يُلفت الأنظار إليه!!.

وطلب منه أن يذهب إلى مكان ربط الدوابّ بجانب القصر، وأن ينتظره هناك ريثما يلحق به!.

وجلس ابن عتيك ـ المتكلم بالعبرية ـ عند باب سور القصر، بانتظار عودة الحراس.

عاد الرجال مع الغروب، ومعهم الحمار المفقود، ودخلوا من باب السور ودخل معهم عبد الله بن أُنيس.. ولما وضعوا الحمار عند الدواب، تخلَّف ابن أُنيس عنهم، دون أن ينتبهوا له!!.

أمّا ابن عتيك فقد كان بجانب باب السور من الخارج.. ولاحظ دخول رجال القصر، فتقنَّع بثوبه، وغطّى رأسه به، وجلس القرفصاء، كأنما يقضي حاجته!!.

وكان البوّاب اليهوديُّ يريد أن يُغلق الباب، فرأى ابن عتيك بقرب الباب، فناداه: يا هذا: إن كنت تريد أن تدخل القصر فادخل، فإنّي أريد أن أُغلق باب السور!!.

وقال له هذا، وهو لا يشكُّ في أنه يهوديٌّ من رجال القصر!.

ودخل ابن عتيك، وأغلق البواب اليهوديُّ باب السور، ووضع المفاتيح في المكان المعروف. وتوجَّه ابن عتيك نحو أخيه ابن أُنيس، في بيت الدوابّ!.

وهكذا سارت الأمور كما رتَّبها ابن عتيك رضي الله عنه، بتوفيقِ الله الحكيم، ولم تبق إلاّ الخطوة التنفيذية!.

المجاهدان يصعدان لقتل أبي رافع:

انتظر ابن عتيك وابن أُنيس في مكمنهما فترة، لأنَّ مجموعةً من الرجال

اليهود كانوا يسمرون عند أبي رافع، وكان المجاهدان يُراقبانهم، وينتظران مغادرتهم وعودتهم إلى بيوتهم.

وعند منتصف الليل انتهى السَّمر، وغادر السامرون القصر، وكانت ليلةً قمراء، لأنها كانت من ليالي العشر الأواسط من ذي الحجة!.

وهدأ المكان.. فالحراس أوَوْا إإلى النوم، وأبو رافع في فراشه مع امرأته، ولم يبق أحدٌ مستيقظاً إلاّ المجاهدان ابن عتيك وابن أُنيس.

خرج المجاهدان من مكانهما، يحملان سلاحهما، وتوجَّها نحو قصر أبي رافع، ومدَّ ابن عتيك يده إلى المفاتيح في الطاقة.. وفتح باب القصر، ودخل مع ابن أُنيس داخله، وفتح أبوابه الأخرى!.

وكان كلَّما فتح باب ودخل، يغلقُه من الداخل بالمفتاح، وذلك ليسهل عليهما قتل أبي رافع، بحيث إذا شعر بهما الحرس أثناء العملية، يعجزون عن الصعود إليهما، لأنَّ الأبواب مغلقةٌ من الداخل!.

صعد المجاهدان إلى الطابق الثاني، حيث ينام أبو رافع! فأحست بهما امرأتُه، بينما كان هو يغطُّ في نومٍ عميق!.. فقامت من فراشها، وخرجت من الغرفة تستطلع الخبر!..

طلب ابن عتيك من ابن أُنيس التعامل معها.. وتوجَّه هو نحو أبي رافع في سريره لقتلِه!.

شاهدت المرأة اليهودية ابن أُنيس، فخافت خوفاً شديداً، ورفع سيفه عليها ليقتلها، لكنه أعاد السيف ولم يضربها به!.

لماذا لم يقتلها بالسيف؟.

لقد تذكَّر وصية رسول الله ﷺ لهم قبل توجُّهِهم إلى خيبر، لتنفيذ العملية الجهادية. لقد أوصاهم قائلاً: لا تقتلوا طفلاً ولا امرأة!!.

وهذا تأكيدٌ من رسول الله ﷺ على أخلاق الجهاد السامية، وآدابه العالية، فهؤلاء المجاهدون متوجِّهون إلى قتل أبي رافع، بسبب غدره وخيانته وعدوانه، أمّا الأطفال غير المقاتلين، والنساء غير المقاتلات، فلا داعيَ لقتلِهم، وإن كانوا كفاراً!!.

تذكَّر عبد الله بن أُنيس رضي الله عنه وصية رسول الله ﷺ، فلم يهوِ بالسيف على رأس المرأة اليهودية! واكتفى بحبسها واحتجازها داخل الغرفة، ومنعِها من الصراخ أو الاستنجاد!. فوقفت بجانب الغرفة مرعوبةً فزعة، ووقف ابن أُنيس أمامها يحرسها!.

تفاصيل قتل أبي رافع:

أمَّا عبد الله بن عتيك رضي الله عنه فقد تابع سيره.. ودخل غرفة نوم أبي رافع، وكانت الغرفة مظلمة.

نظر ابن عتيك وسط الغرفة المظلمة، فرأى أبا رافع نائماً على سريره، وكان أبيض اللون، وبياضُه الناصع مشاهدٌ وسط ظلام الغرفة..

ها هو عبد الله بن عتيك أمام خصمه! وها هي ساعة تنفيذِ حكمِ الله فيه قد حانت! وإنَّ الله ليُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلتْه!.

لقد كان مسلسلُ جرائِمه وخياناته طويلاً، وكان ملفُّ غدره وتآمرِه على المسلمين ضخماً، وها هي ساعة الجزاء والعقاب قد حلَّت!.

أراد ابن عتيك أن يوقظ أبا رافع النائم من نومه، لأنه رأى من غير المناسب قتله أثناء نومه.. ولعلَّه أراد أن يريه الموت قبل إزهاق روحه!.

وقف ابن عتيك وسط الغرفة، ونادى بالعبرية التي يتقنُها جيداً. أبا رافع!!.

سمع أبو رافع الصوت، فاستيقظ وفتح عينيه، وقال: من هذا؟.

أهوى عليه ابن عتيك بالسيف، وضربه ضربةً واحدة جرحته، لكنها لم

تقضِ عليه ولم تزهق روحَه! .

صاحَ أبو رافع صيحةً عظيمـة، شقَّت سـكون الليل، وسـمعها اليهود في منازلهم حول القصر، فهبّوا من نومِهم، وخرجوا من بيوتهم لِيُنجدوه!! .

توقَّف ابن عتيك قليلاً وسط الغرفة المظلمة، وأبو رافع لا يراه، وأراد أن يوجِّه له ضربةً أخرى.

وتصرَّف ابن عتيك بحكمة، حيث أوهم أبا رافع أنه يهودي، سمع صرخته واستغاثته، فجاء لنجدتِه! .

قال له بالعبرية: ما هذا الصوتُ يا أبا رافع؟ ما الذي جرى لك؟ .

وكان أبـو رافع على سـريره ينزف دمُه، وظنَّ أنه جاءه الغوث، فردَّ عليه قائلاً: الويلُ لك، في البيت رجلٌ غريب، ضربني بسيفه، فابحث عنه واقتُله! .

عند ذلك أهوى عليه بالسيف، فضربه ضربةً أُخرى، أشدُّ وأقوى من الضربة الأولى!! .

فصاح أبو رافع صيحةً أعلى وأشدَّ من الأولى.

وفي هذه اللحظةِ ترك عبد الله بن أُنيس المرأة التي كان يحتجزُها، وأراد أن ينال شرف الاشتراك في قتل عدوِّ الله. .

هجم ابن أُنيس على أبي رافع، الذي كان يتخبَّطُ بدمائه على فراشه، ووضع سـيفه في بطنِ عدوِّ الله، واتكأ عليـه بقوة، وجذَبه إليه جذبـاً قوياً، فقطع لحمَهُ ومعدتَه وأمعاءَه، وأوصله إلى عانتِه. . .

ذهبت امرأة أبي رافع المذعورة لإحضار المصباح، وتوافد رجال اليهود من المنازل المجاورة لإنقاذ زعيمهم، وإلقاء القبض على المعتدين.

وأوعز ابن عتيك لابن أُنيس بمغادرة القصر فوراً. قبل وصول النجدة. . ونزلا درج القصر مسرعين. . .

أمّا ابن أُنيس فقد اجتاز الدرج كلَّه بأمانٍ وسلام.

وأمّا ابن عتيك فقد أُصيب بحادث.. فلما كان على الدرجة قبل الأخيرة، ظنّ أنها الأخيرة، وأنَّ المسافة إلى الأرض قريبة، فنقل خطوتَه.. لكنه أخطأ تقدير المسافة، فسقط على الأرض، وانكسرت رجلُه!!.

تناول عمامتَه فوراً، وربط بها رجله، وتجلَّد على آلام الكسر، واستنجد بأخيه ابن أُنيس، فحمله، وخرج به بعيداً عن القصر...

نجاح العملية وعودة ابن أنيس لقوسه:

تابع المجاهدان سيرَهما في خيبر، ليلتحقا بالمجموعة خارجَها.. وعلمت خيبر بمصرع زعيمها أبي رافع.. فجاء اليهـود من مختلف المنـازل إلى قصره، وانطلق الرجال في طرق المدينة يبحثون عن القتلة! وأُوقدت المشاعلُ والمصابيح، وتحوَّل ليلُ خيبر في تلك الليلةِ إلى نهار!.

ووصل المجاهدان إلى المكان الذي ينتظرهم فيه إخوانُهم خارج السور، وكان مكاناً أميناً، بجانب عين ماءٍ كأنها نهر! وكان ابن عتيك يعاني آلام كسرِ رجله المبرحة!.

وهنا تذكَّر عبد الله بن أنيس شيئاً!! لما صعدَ الدرج مع ابن عتيك إلى الطابق الثاني لقتل أبي رافع، وضع قوسه تحت الدرج.. ولما نزلا مسرعين بعد مصرع أبي رافع نسيَ أن يتناول قوسَه من تحت الدرج!! والآن تذكَّرها!.

كيف يُبقي قوسه لليهود؟ إنها سلاحُه، فكيف يُمكِّنُ أعداءه من سلاحه؟ أراد أن يعود إلى القصر لإحضار قوسه من تحت الدرج!.

كلَّم إخوانه في ذلك، وطلب من أميره ابن عتيك أن يأذن له بالعودة إلى القصر لإحضار قوسِه!!.

تعجب إخوانه من جرأتِه وشجاعته وإقدامه وقوة قلبه، لكنهم خافوا عليه،

فاليهود الآن مستنفرون يبحثون عن القتلة . .

قالـوا له : كيف تغامر وتُخاطر بحيـاتك؟ اليهود الآن منتبهون مستنفرون، وزعيمهم قد قُتِل، وهم يملؤون القصر وممراتِـه، وإذا عدت إلى القصـر فقد يكتشفونك وسيقتلونك! فلا تذهب، ودعِ القوس!!.

ولكنه ردَّ عليهم قائلاً : كيف أتركُ لهم قوسي وهي سلاحي؟ لن أُعطيهم سلاحي، ولن أدعهم يستفيدون منه!.

واستأذن من الأمير بالعودة لإحضار القوس، فأذن له!.

عاد عبد الله بن أنيس إلى القصر، ودخل بين اليهود المنتشرين حول القصر وداخله، وتصرف كأنـه واحدٌ منهم، وتمتَّع بـأعصابٍ حديديـة، ونفسٍ قوية، وشجاعةٍ نادرة . . ودخل القصر، وصعد الدرج، وتوجَّه نحو المكان الذي وضع فيه القوس . . وأخذ قوسه، وخرج من بين اليهود سالماً، وعاد إلى إخوانه وقوسه معه، دون أن ينتبه له أحدٌ من اليهود!.

وانتشـر اليهود يبحثون عن المجاهدين خارج السـور، ومعهم المشـاعل المضيئة، يتحركون بها وسط الظلام الدامس! ووصلوا إلى النهر الصغير ـ عين الماء الغزيرة التي يكمنُ عندها المجاهدون ـ.

وقفوا بمشاعلهم يبحثون ويُفتشون، ولكنَّ الله أعمى أبصارهم عن عباده المجاهدين، فلم يشاهدوهم، مع أنهم كانوا قريبين جداً منهم!!.

رغبة المجاهدين في التأكد من قتل أبي رافع :

تدارس المجاهدون في مكمنهم الأمـر، فقد تلقّى أبو رافع ثلاث ضرباتٍ شديدة، ضربتين من سيف ابن عتيك، وضربةً من سيف ابن أُنيس، ولكنهم لم يعرفوا هل مات أم لا!!.

وهم سيذهبون إلى رسول الله ﷺ، ليقدِّموا له تقريراً عن عمليتِهم الجهادية

التي كلَّفهم بها. وهم لا يستطيعون أن يقولوا: لقد قتلنا أبا رافع. إلاّ إذا تأكَّدوا من موته!!.

ثم إنهم يتسابقون مع إخوانهم الأوس في العمليات الجهادية، ونجحت مجموعة ابن مسلمة في قتل ابن الأشرف، فمن غير اللائق بهم أن يُصيبوا أبا رافع بالجراح فقط!.

إذن لا بدَّ أن يتأكَّدوا من موتِ أبي رافع..

لكن ماذا يفعلون؟ وكيف يُخاطرون بأنفسهم ويعودون إلى القصر؟ واليهود مستنفرون في خيبر كلِّها، وقصره ممتلئٌ باليهود، فكيف يصلون إليه؟.

قرر المجاهدون أن يذهب واحدٌ منهم إلى القصر، وأن يدخل وسط اليهود، وأنْ يتأكد من موتِ أبي رافع!!.

إنها نفوسٌ كبار، نفوسٌ نشأت على الجهاد، ملأ الإيمان قلوب أصحابها، فلم تعرف الخوف، ويقتحم أصحابُها الأهوال والأخطار بجرأةٍ وشجاعة، يتقربون بذلك إلى الله!!.

عودة ابن خزاعى للتأكد من مقتله:

وقع الاختيار على (الأسود بن خزاعى).. واستعدَّ الأسود للقيام بالمهمة الصعبة، فليس سهلاً على رجلٍ واحد أن يخترق رجال الأعداء، وأن يسيرَ وحيداً وسط الآلاف منهم!.

لكنها قوة الإيمان بالله، وعظمة اليقين بالله، وإحسان التوكل على الله!!.

خرج الأسود من القاعدة، وتوجَّه نحو خيبر، وحمل مشعلاً مُضيئاً، كما يحمل اليهود، وسار في طرقات خيبر بمشعله كما يسير اليهود، وأظهر اهتمامه بالأمر وحرصه على البحث عن قتلة أبي رافع كما يفعل اليهود.. ولا تسل عن عظمة شجاعته، ورباطة جأشه، وهدوء أعصابه، وقوة إيمانه!!.

إنه الإيمان العميق، الذي يصنع هذه المواقف، ويدفع صاحبه إلى هذه القمم!!.

تابع ابن خزاعى رضي الله عنه سيره نحو قصر أبي رافع، فوجده ممتلئاً باليهود ومعهم مشاعلُهم، ودخل بينهم ومعه مشعلُه!.

وصعد للطابق الثاني، فرأى مجموعـةً من اليهود، فدخل بينهم، ورأى امرأة أبي رافع تحمل مشعلاً، وتتقدم نحو زوجها لتنظر إليه، وتعرف أحيٌّ هو أم ميت!.

نظرت إلى زوجها.. وفحصتـه.. وابن خزاعى ينظر إليها.. ورفعت يد أبي رافع، وتركتها، فسقطت، وحسَّتْه فلم تجد به عرقاً ينبض!!.

فقالت للواقفين حولها: لقد (فاظ) وإلـه موسى! لقد مات!!.

قال ابن خزاعى: والله ما سمعت كلمةً ألذَّ إلى نفسي من هذه الكلمة!!.

أي أنَّ ابن خزاعى فرح فرحاً شديداً، لأنَّ الله أعان مجموعته المجاهدة على قتل زعيم التآمر والخيانة..

ولما تأكد من موت أبي رافع (انسلَّ) من وسطِ اليهود المرتبكين، وذهب إلى إخوانه ليزفَّ لهم البشرى! فكبَّروا، وشكروا الله على هذه النعمة!.

ولما طلع الفجر أذاع اليهود النبأ المفجع، فقال ناعيهم: أنعى لكم تاجر الحجاز، وزعيم خيبر، سـلاّم بن أبي الحقيق، حيث قتلـه الليلـة رجالٌ مـن أصحاب محمد!!.

واستيقظ يهود خيبر في الصباح على مقتل زعيمهم، فسيطر عليهم الخوف والرعب.

وملأ الفزع قلوبهم. وبذلك (أرهبت) هذه المجموعة الخزرجية المجاهدة أعداء الله!!.

عودة المجاهدين سالمين إلى المدينة :

بقيَ المجاهدون الخمسة في قاعدتهم عند عينِ الماء يومين، بسبب استمرار اليهود في تفتيش المنطقة.

ولما هدأ الطلب، وخفَّ التفتيش، غادروا القاعدة، وعادوا إلى المدينة فائزين سالمين موفَّقين، وحملوا أميرهم ابن عتيك حملاً بسبب كسرِ رجله!.

دخل المجاهدون المسجد النبوي، وكان رسول الله ﷺ على المنبر يكلم المسلمين.

فلما رآهم ﷺ بشَّرهم بالفوزِ والفلاح، وقال لهم: أفلحت الوجوه!.

وكم كان سرورُهم عظيماً بهذه البشرى من رسول الله ﷺ، فها هم ينالون منه شهادةً بالفوزِ والفلاح والنجاح.. وهذه البشرى العظيمة أنستهم كلَّ ما أصابهم في عمليتهم الجهادية من تعبٍ وجهدٍ وآلام! واحتسبوا كلَّ ذلك عند الله!.

وردّوا على تحية رسول الله ﷺ بمثلها، فقالوا له: وأفلح وجهك يا رسول الله!.

فقال لهم: هل قتلتم عدوَّ الله؟.

قالوا: نعم. والحمد لله!.

ثناء الرسول على المجاهدين وشِعرُ حسان في ذلك :

نظر رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن عتيك، فوجد رجله معصوبة، ولما سأله أخبره بخبر كسرها لما هبط درج القصر!.

فمسح ﷺ عليها بيده الشريفة المباركة، ودعا الله له، فعافاهُ الله، وقام يمشي سليماً، كأن لم يكن برجله كسر!!.

وسألهم رسول الله ﷺ: من قتل ابن أبي الحُقيق؟.

فقال كلٌّ من عبد الله بن عتيك وعبد الله بن أنيس رضي الله عنهما: أنا قتلتُه يا رسول الله!.

فقال ﷺ: لِيُرِني كلٌّ منكم سيفه!.

فرأى ﷺ آثار الطعنِ في سيف ابن عتيك، ورأى آثار الطعام من معدة أبي رافع على سيف ابن أُنيس!!.

فقال ﷺ: كِلاكُما قتله!.

وهكذا قضت مجموعة ابن عتيك الخزرجية المجاهدة على عدوِّ الله الغادر سلاّم بن أبي الحُقيق، وبذلك أرهبت اليهود في خيبر، ليتوقَّفوا عن الغدر والخيانة والتآمر على المسلمين.

وكانت هذه المجموعة تُطبقُ عملياً قول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وخَلدَ شاعرُ رسول الله ﷺ، حسّان بن ثابت رضي الله عنه، العمليتين الجهاديتين العظيمتين: قَتْل كعب بن الأشرف على يد مجموعة ابن مسلمة الأوسية، وقَتْلُ سلاّم بن أبي الحقيق على يد مجموعة ابن عتيك الخزرجية، فقال:

لله درُّ عِصابةٍ لاقيتَهم	يا ابن الحُقيق، وأنت يا ابن الأشرفِ
يَسرون بالبيض الخفاف إليكم	مرحاً، كأُسدٍ في عرينٍ مُغرفِ
حتى أتوكم في محلِّ بلادِكم	فسقوكم حتفاً ببيضٍ ذُفَّفِ
مُستبصرين لنصر دين نبيّهم	مُستضعِفين لكلِّ أمرٍ مُجحفِ

* * *

المراجع :

١ ـ المغازي، لمحمد بن عمر الواقدي : ١/ ٣٩١ ـ ٣٩٥.

٢ ـ السيرة النبوية، لابن هشام : ٣/ ٢٨٦ ـ ٢٨٩ .

٣ ـ تاريخ الرسل والملوك، للطبري : ٢/ ٤٩٣ ـ ٤٩٩ .

٤ ـ دلائل النبوة، للبيهقي : ٤/ ٣٣ ـ ٣٩.

٥ ـ البداية والنهاية، لابن كثير : ٤/ ١٣٧ ـ ١٤٠ .

٦ ـ قادة النبي ﷺ، لمحمود شيت خطاب، ص ٣٠٠ ـ ٣٠٧ .

* * *

(٤)
مجموعة أبي عبيدة بن الجراح
وإكرام الله لها على (سيف البحر)

مهمة مجموعة أبي عبيدة على سيف البحر:

كان رسول الله ﷺ يرسل (السَّرايا) الجهادية للصحابة المجاهدين، ليتعرضوا لتجاراتِ قريش، يرصدوها، أو يُهاجموها، فيستولوا على ما فيها.

واستمرَّ هذا حتى صلح الحديبية في نهاية السنة السادسة من الهجرة، حيث تمَّ التوقيع فيه على هدنةٍ بينه وبين قريش لمدة عشر سنوات.

وهذا الفعل من رسول الله ﷺ جهاديٌّ مشروع، لأنه كان في حالة حربٍ مع المشركين في مكة، والحرب قد تكون عسكرية، وقد تكون اقتصادية، والهدف من الحرب الاقتصادية هو إنهاك العدو، وإضعاف اقتصاده، والسيطرة على أمواله وموارده، ليؤدّي هذا إلى هزيمته واستسلامه!.

وكانت (السرية) المجاهدة مكونةً من (مجموعة) من الصحابة المجاهدين، (يشكّلُها) رسول الله ﷺ، ويجعل أحد أصحابه أميراً عليها، ويأمره بالتوجه مع إخوانه إلى منطقةٍ معينة، يعينُها له، ويحدد له مهمةً جهاديةً لينفذها.

شكَّل رسول الله ﷺ بعد غزوة الأحزاب ـ وقبل صلح الحديبية ـ سريةً مجاهدة، وأمَّرَ عليها أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، أحد العشرة المبشرين بالجنة، ومن السابقين إلى الإسلام في مكة.

وكان عدد أفرادها يزيد على الثلاثمئة رجلٍ من المهاجرين والأنصار،

منهم عمر بن الخطاب، ومنهم قيس بن سعد بن عبادة، ومنهم جابر بن عبد الله، رضي الله عنهم.

وأمرهم رسول الله ﷺ بالتوجُهِ إلى منطقة (سيف البحر)، ليرصُدوا فيها (عيراً) لقريش. والعير قافلةٌ تجاريةٌ تخرج من مكة إلى الشام، أو تعود من الشام إلى مكة، محملةٌ بالبضائع والأموال والأمتعة، يحرسها مجموعةٌ من الرجال.

كما أمرهم ﷺ بتأديبِ أحياء من قبيلة (جُهيْنَة) مقيمين هناك، كي لا يتعرّضوا للمسلمين بالأذى!.

جُرابُ تَمرٍ لثلاثمئة مجاهد:

وكان تشكيل هذه المجموعة المجاهدة في ظرفٍ عصيب، مرَّ به المسلمون في المدينة، حيث كانوا يعيشون فترة فقرٍ شديد، لا يكادون يجدون ما يأكلون، ومع أنَّ حياتهم في المدينة كانت دائماً هكذا، يُعانون فيها من الفقرِ والجوع ما يُعانون، إلاّ أنهم في تلك الفترة كانوا أشدَّ فقراً!!.

ومع هذا فلا بدَّ أن تستمرَّ العمليات الجهادية، ومنذ متى كان فقر الصحابة وجوعُهم مانعاً لهم عن الجهاد؟ كانوا يستعلون على فقرهم وجوعهم، ويصبرون على فاقتِهم وحاجتِهم، ويُجاهدون بقوةٍ وشجاعة!.

بحث رسول الله ﷺ عن زادٍ وتموين يزوِّد فيه هذه المجموعة المجاهدة، حيث سيغيبون عن المدينة مدة، ولا بدَّ أن يكون معهم طعامٌ يأكلون منه في سيرهم الجهاديِّ الشاق!.

لكنَّ الرسول ﷺ لم يجد لهم إلاّ (جراباً) من التمر!.

والجراب وعاءٌ من الجلد أو غيره، يوضع فيه التمر، ليسهل حملُه ويتمَّ حفظه. وماذا يكفي جرابٌ من تمرٍ لأكثر من ثلاثمئة رجل، يقطعون مسافاتٍ طويلة، ويغيبون مدةً طويلةً، الله أعلم بها؟؟ وليس معهم طعامٌ غيرُه!!.

لكن ماذا يفعل ﷺ؟ لم يجدْ لهم من الطعام غير هذا. . فليأخذوا جرابَ التمر، وليخرجوا للجهاد في سبيل الله، متوكِّلين على الله، وإنَّ الله سيرزقُهم ولن يُضيعهم أبداً!!.

قبل أن يخرجوا من المدينة أوصاهم رسول الله ﷺ بوصاياه التي كان يُوصي المجاهدين بها، من تقوى وإخلاصٍ لله، وأُخوةٍ ومحبة بينهم، وطاعةٍ لأميرهم.

أبو عبيدة يقنن الطعام في تناقص متواصل:

خرج المجاهدون من المدينة، متوجِّهين إلى (سيف البحر)، وكان أميرهم أبو عبيدة رضي الله عنه يشرف على توزيع الطعام عليهم إشرافاً مباشراً، يوزعُه بيديه، لأنَّ الزاد قليل، وسفرَهم طويل، ولا بُدَّ أن (يُقنَّن) توزيع الطعام!.

في الأيام الأولى لمسيرهم كان يعطي كلَّ رجل (قبضةً) من التمر، لليوم كاملاً! وهذه القبضة قليلة، قد يأكلها الرجل في وجبةٍ واحدة ثم يطلب المزيد، فكيف تكفيه ليومٍ كامل؟.

وبعد أيامٍ من التوزيع على هذا الأساس تناقص التمر، فقلَّل أبو عبيدة الكمية، وصار يصرف للرجل الواحد ثلاث حبات من التمر لليوم الواحد! بحيث يأكل حبة تمرٍ واحدة في كلِّ وجبة!.

ثم تناقص التمر، فصار يصرف للرجل حبة تمرٍ واحدةٍ طيلة اليوم. وأوصى أبو عبيدة رضي الله عنه رجاله المجاهدين قائلاً: لا يأكل أحدكم تمرته، لأنه إن أكلها فلن يجد غيرها، وعليه أن يمصَّها مصّاً، ويشرب عليها ماء، ثم يخرجها من فمه، ويضعها في جيبه أو رحله، وفي الوجبة التالية يمصُّها مرةً ثانية، ويشرب عليها الماء، ثم يحتفظ بها للوجبة الثالثة!!.

وهكذا مضت أيامٌ عديدة، وزاد المجاهد منهم حبة تمرٍ واحدة لليوم كلِّه، يمصُّها كما يمصُّ الصبيُّ الصغير، ثلاث مرات في اليوم، ثم يأكلها ويمضغها في

المساء! هذا وهم يسيرون على أقدامهم، يقطعون الأراضي الشاسعة، ويبذلون فيه الكثير من الجهد والقوة والطاقة!.

حبة تمر لثلاثة رجال في اليوم:

واضطرَّ أبو عبيدة رضي الله عنه إلى (تخفيضٍ) كمية التمر! وهل هناك تخفيضٌ أقلُّ من حبة تمرٍ للرجل طيلة اليوم؟ نعم! إنَّ الضرورة لها أحكام!.

صار يشرك كلَّ ثلاثة رجال في حبةٍ واحدةٍ من التمر، بحيث يكون نصيب الواحد منهم (ثُلثَ) حبة تمر طيلة اليوم!! يمصُّ هذا الثلث من الحبة مصّاً ويشرب عليه الماء!!.

ولَمَّا روى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ـ أحد جنود هذه المجموعة ـ ذلك لأحد الرواة فيما بعد، استغرب الرجل وقال لجابر: ماذا ينفع للرجل منكم ثلث حبة تمر في اليوم؟.

قال جابر: كنا نجوع، ونستعين بالله.

ثم نَفَدَ ما معهم من التمر نهائياً، ولم يبقَ منه شيء.. وبنفادِ التمر وانتهائِه وصلوا إلى المكان الذي وجّهَهم له رسول الله ﷺ، فحطّوا رحالهم في منطقة (سيف البحر) وليس معهم شيءٌ من الزاد أو الطعام أو التمر!!.

هكذا إذن كان طعام هذا الجيش المجاهد: قبضةٌ من التمر في اليوم! ثم ثلاث حباتٍ من التمر في اليوم!! ثم حبةٌ واحدةٌ من التمر في اليوم!! ثم ثلث حبةٍ من التمر في اليوم!!! ثم لا شيءَ من الطعام، لا من التمر ولا غيره!!!.

عندما نتذكَّرُ هذا، نتذكَّرُ مقدار ما بذل الصحابة الكرام رضوان الله عليهم من الجهد والمشقة والتعب لنصرة هذا الدين، وجهاد أعداء الله الكافرين، وإلا فماذا نقول في هذه المجموعة المجاهدة، التي خرجت للجهاد، وابتعدت عن المدينة مسافة طويلة، والواحد من أفرادها لا يجد حبة تمرٍ يأكلها طيلة اليوم، فيسير يومه على رجليه، وهو جائعٌ جوعاً شديداً؟!.

نزلـوا في منطقة (سـيف البحر) يرصدون عير قريـش، وليس معهم شيءٌ يأكلونـه! ومن الممكن أن يهاجمهم الأعداء، وهم على هذه الحالـة من الجوع والضعف والإعياء! فكيف يقاتلونه، إنهم يخشون أن لا يقووا على الوقوف في الميدان لقتاله، لأنه لم يَعُدْ لهم طاقةٌ ولا قوة، وهذا هو الذي يُشغلُ بالهم! وليس عدم وجود طعام يأكلونه!.

المجاهدون يأكلون ورق الشجر:

كان في المنطقة بعض الأشجار الصحراوية، تسمّى (العضاه) ولها ورقٌ أخضرُ صغير، يكون حول شوكِ الشجر الصغير، وكانت الإبل ترعى ذلك الورق وتأكله!.

لم يجد المجاهدون في المنطقة شيئاً يأكلونه، وفكَّروا ماذا يفعلون؟ وإذا فاجأهم قومٌ من الأعداء فكيف يقاتلونهم؟.

نصحَهم واحدٌ منهم قـائلاً: يـا قوم: أنتم جائعـون، والجوع أجهدكم، ويُخشـى أن يفاجئكم الأعداء، فتعجزون عنهم، وليـس عندكم طعام، وها هو ورق (العضاه) الأخضر أمامكم، فاخبِطوه بعصيِّكم خَبْطاً، ثم كُلوه كما تأكُله الإبل!! ليمنحكم شيئاً من القوة والطاقة، تُقاتلون بها عدوَّكم!!.

وأقبل الصحابـة المجاهدون على شـجر (العضاه)، يضربـونه ضربـاً، ويخبطونه خبطاً بعصيِّهم! فيسقط الورق على الأرض، فيجمعون ذلك، الورق لأكلِه!.

منهم من كان يمضغ ذلك الورق مضغاً، ثم يمصُّ عليه الماء ليسهل ازدراده وبلعه! ومنهم مَن كان يبلُّه بالماء ليكون ليِّناً طرياً، ثم يأكُله! ومنهم من كان يجفف ذلك الورق، فإذا يبس دقَّه، فإذا كان كالطحين أكله وشرب عليه الماء!!.

وتأثَّرت أشداقُهم بهذا الورق الذي يمضغونه، ونزل منها الدم، وصارت لهم (مشافر) تكاد تشبه مشافر الإبل!.

واستمروا أياماً ليس لهم طعامٌ إلاّ هذا الورق الذي يخبطونه. . ولهذا سميت تلك السَّرية (سرية الخبط)!.

ولذلك قال جابر رضي الله عنهما لمحدِّثه: ثم كنا نخبط الخَبَط بقسِيِّنا، ثم نَسُفُّهُ ونشرب عليه من الماء، حتى سُمّينا (جيش الخبط)!.

فعلوا ذلك وهم صابرون محتسبون، يصبرون على آلام الجوع، وعلى آلام ورق الشجر الذي يأكلونه، يجرح أشداقهم، ويُؤثِّر في أمعائهم، ويحتسبون ذلك عند الله!.

قيس بن سعد يشتري لهم الجمال بالدين:

فكّر قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما ـ أحد أفراد المجموعة المجاهدة ـ في مخرج، يُريح به إخوانه، ويُقدم لهم بعض الطعام، وكان شابّاً جواداً كريماً. ورِث الكرم والجود عن جدِّه وأبيه.

وأبوه هو الصحابيُّ الجليل (سعد بن عبادة) رضي الله عنه، زعيم الخزرج، وسيد الأنصار!.

لم يكن مع قيس بن سعد مالٌ يحمله، ليشتري به ذبائح لإخوانه يطعمهم إياها، فبحث عن رجلٍ في المنطقة يشتري منه جِمالاً، على أن يُعطيه ثمنها تمراً، عندما يعودون إلى المدينة!.

بحث عن رجلٍ من قبيلة (جُهينة) المقيمين في تلك المنطقة، المسالمين للمسلمين، يشتري منه الجِمال بالديْن!.

كان يقول للجهنيّين: من يشتري منّي تمراً بِجِمال! يُعطيني الجِمال هنا، وأُعطيه التمر في المدينة بعد ذلك؟.

قيس بن سعد يستدين من أجل إخوانه! يريدُ أن يقدم لهم لحماً، إكراماً لهم! هذا هو الجودُ والكرم في أرفع صوره!.

ولما سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ وكان أحد جنود المجموعة ـ قال: عجباً لهذا الغلام! إنه لا مال له، وهو يستدين على مالِ أبيه!.

ولكنَّ الصحابة أكبروا من قيسٍ موقفه، وأثنوا عليه كثيراً!.

لقي قيس بن سعد رجلاً جُهنيّاً عنده إبلٌ كثيرة. فقال له: أتبيعُني جِمالاً الآن وأُعطيك ثمنها أو سِقةً من التمر في المدينة فيما بعد؟.

فقال له الجهني: أنا أفعل. لكن من أنت؟ إنني لا أعرفك!.

قال قيس: أنا قيس بن سعد بن عبادة بن دُليْم!.

عرف الجهنيُّ أباه، فهو زعيم الخزرج، مشهورٌ بالغنى والجود والكرم. فقال لقيس: إنَّ بيني وبين أبيك خلةٌ وصداقة، وهو سيد أهل يثرب ـ اسم المدينة قبل الإسلام ـ وأبيعُك ما تُريد، على أن يكون كلُّ بعيرٍ بوسقين من تمر المدينة، من أجود تمورِها، وهو تمر (آل دليم) أهلِك!.

واتفقا على ذلك، وأشهدا على البيع بعض الرجال المجاهدين. وطُلب من عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يشهد على البيع، فرفض أن يشهد. وقال: قيس ابن سعد لا مال له، وقد استدان على مال أبيه! فهل يفي أبوه ويدفع الثمن؟.

فغضب قيس، وجرى بينه وبين عمر كلام، وقال بعض الصحابة لعمر: ما كان لسعدِ بن عبادة أن يخفر ذمة ابنه قيس، ويرفض دفع ثمن الإبل، فهو كريمٌ معروف!.

اشترى قيس بن سعد من الجهنيِّ أحد عشر جملاً، كلُّ جملٍ بوسقين من تمر آل دُليم في المدينة، يدفعها له عندما يأتي الجهنيُّ إلى المدينة.

وينحر لهم تسعة جمال منها:

وساق قيس الجِمال، وأتى بها لإخوانه، يكرمهم بها ليأكلوا من لحمها!.

كانوا ثلاثمئة وبضعة عشر رجلاً، ومعلومٌ أنَّ الجمل يكفي مئة رجلٍ

يأكلونه، وهذا معناه أنه يحتاجون إلى ثلاثة جمال يذبحونها لتكفيهم!.

نحر قيسٌ لإخوانه في اليوم الأول ثلاثة جمال، وأكرمهم بها، فذبحوها وطبخوها وأكلوها، بعد انقطاعٍ عن اللحم والطعام أياماً عديدة! فشكروا الله على هذه النعمة! وأثنوا على قيس خيراً، لأنه استدان على مالِ أبيه ليكرمهم باللحم!.

وبعد أيامٍ نحر لهم ثلاثة جمالٍ أخرى.. وبعد ذلك بأيامٍ نحر لهم ثلاثة جِمالٍ أخرى.. فيكون بذلك قد قدَّم لإخوانه تسعة جِمال. وبقيَ عنده جَملان اثنان!.

ولما أراد أن ينحر الجملين الباقيين منعه الأمير أبو عبيدة رضي الله عنه. وقال له: عزمتُ عليك يا قيس ألاّ تنحر. أتريدُ أن تخفر ذمَّتك؟ ويُخشى أن لا يعترف أبوك بهذا الدَّين؟ وأن لا يدفع للجهيني ثمن جمالِه!.

فقال له قيس: أترى أبا ثابت (كنية أبيه سعد بن عبادة) يقضي ديون الناس، ويُطعم في المجاعة، ويحمل الكلَّ الضعيف، ولا يقضي ديناً استدنتُه لقومٍ مجاهدين في سبيل الله؟.

وبما أنَّ الأمير أبا عبيدة رضي الله عنه عزم على قيس أن لا ينحر الجملين الباقيين، فقد التزم قيسٌ رضي الله عنه، وأطاع أميره.. وبقي الجَمَلان مع المجموعة المجاهدة، ولما عادوا بعد ذلك إلى المدينة، كانوا يتعاقبون على ركوبهما!.

وعاد المجاهدون إلى شجر (العضاه) يخبطونه بعصيِّهم، ويأكلون ورقه الذي يتساقط، ذلك الورق الذي قرَّح أشداقهم، وآذى أمعاءهم..

واستمروا على ذلك أياماً، صابرين محتسبين، منتظرين الفرج من الله سبحانه...

الله يكرمهم بحوت العنبر العجيب:

وأخيراً جاءَهم الفرجُ من عندِ الله!

إنهم جنود الله وأولياؤه، وقد خرجوا مجاهدين في سبيله، ناصرين لدينه، مُواجهين لأعدائه، مُطعين لرسوله ﷺ، وعلم منهم الصدق والإخلاص والجدية، وابتلاهم بالجوع، فصبروا وثبتوا، وجاهدوا وصدقوا!. . .

إنهم يستحقون التكريم من الله سبحانه. . وهو على كلِّ شيء قدير، فعّالٌ لما يُريد. . يقول للشيء كُن فيكون، لا رادَّ لأمره، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء!.

ساق الله لهم رزقاً لم يكونوا يتوقعونه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣].

في صباح أحد الأيام، صلّى المجاهدون الفجر خلف أميرهم أبي عبيدة، وجلسوا يذكرون الله حتى طلعت الشمس، وكانوا على شاطئ البحر الأحمر. . .

ولما طلعت الشمس نظر أحدهم، فرأى منظراً عجيباً على شاطئ البحر. . رأى شيئاً كبيراً ضخماً، كأنه كثيبٌ من رمل، أو كأنه جبلٌ صغير على الشاطئ!.

ما هذا؟ هل هو جبل صغير؟ عهدُهُ بهذه المنطقة أنها سهلٌ منفسحٌ على الشاطئ، ليس فيها تلٌّ ولا جبل! فمن أين (نبت) فيها هذا الجبل فجأة؟.

نادى الرجل إخوانه قائلاً: يا قوم: انظروا. ألا ترون ما أرى على الشاطئ؟.

ونظروا نحو الجهة التي أشار أخوهم إليها، فرأوا ذلك المنظر العجيب، الذي فوجئوا به، وتوجّهوا إليه يتعرفون عليه!.

قال الذين سبقوا إخوانهم إليه: يا قوم: إنه (حوتُ العنبر). . قذفه البحر على الشاطئ!!.

واجتمع المجاهدون حول (حوت العنبر)، ينظرون إليه ويتفحّصونه، ويتعجَّبون من ضخامتِه! سبحان الله: حوتٌ عظيمٌ كبير، كأنه تلُّ رمل، أو كأنه جبلٌ صغير!! كم وزنُه؟ لعلَّه يزِنُ آلاف الأطنان؟ كم طولُه وعرضُه؟ لعلّه عدةُ أمتار!.

على كثرة ما رأوا من أسماك وحيتان ودوابِّ البحر، ما سبق أن رأوا حوتاً أو دابةً بحرية، بهذه الضخامة!! إنه خلقٌ عظيمٌ من خلقِ الله!.

أبو عبيدة يفتي لهم بالأكل منه بعد تردد:

وقفوا أمام حوت العنبر العجيب مفكِّرين متسائلين: إنه حوتٌ بحري، وقد أحلَّ الله للمسلمين صيد البحر، فحيتانُه وأسماكُه ودوابُّه حلالٌ للمسلمين!.

لكنه (حوتٌ ميت)! وقد حرم الله على المسلمين أكل الميتة!.

ومع أنه (ميتة) فإنَّ الله أباح أكل الميتة للمضطر.. فإذا فقد المسلمُ الطعام، ولم يجد ما يأكله، وأوشك عل الموت جوعاً، فإن الله أباح له أكل الميتة!.

حوت البحر حلال! لكنه ميّت، والميتةُ حرام! صحيح ولكنَّهم مضطرون، والميتة حلالٌ للمضطر، وهم مضطرون!!.

إنها أفكارٌ ترِدُ عليهم، فهل يأكلون من هذا الحوت الكبير الميت أم لا؟.

قال لهم أميرهم أبو عبيدة: لا تأكلوا منه، إنه ميتة!!.

فتوقَّفوا ولم يأكلوا، رغم حاجتهم الماسّة، وجوعِهم الشديد، التزاماً بنهي الأمير، وطاعةً له.

ثم فكَّر الأمير، وأعاد النظر في المسألة: إنَّ الحوت ميتة، لكنَّ المجاهدين مضطرون ومسافرون وجائعون، وليس عندهم ما يأكلون، ولو لم يأكُلوا لهلكوا وماتوا جوعاً، فشرح الله صدرَه للسماح لهم بالأكل، وأنه جائز للضرورة!..

فقال لهم: يا قوم: نحن رسلُ رسول الله ﷺ، وقد خرجنا مجاهدين في سبيل الله، وليس معنا ما نأكلُه، وقد اضطررتُم للأكل منه، فكُلوا باسم الله!.

أكلوا منه شهراً كاملاً حتى سمنوا:

فرح المجاهدون بإذن الأمير، وشكروا الله على ما أكرمهم به، وساقَه لهم،

وزال الحرجُ من نفوسهم، فأقبلوا على (حوت العنبر) العظيم العجيب، وصاروا يقتطعون منه اللحم ويأكلونه!.

إنه كبيرٌ كالتلِّ الكبير، أو الجبل الصغير، وسيكفيهم مدةً طويلة..

أخبر جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنهم كانوا يقتطعون منه قطع اللحم الكبيرة، القطعة الواحدة بحجم الثَّور! ثم يقطعونها إلى قطعٍ أصغر، فيطبخونها ويأكلونها!.

وكانوا يغترفون الدهن من (تجويف) عينه بالجِرارِ الكبيرة اغترافاً! فكم كان ذلك الدهن؟ وكم كانت كميتُه؟.

استمرّوا شهراً كاملاً، يأكلون من لحمه ودهنه.. ولْنتصوَّر مقدار وكمية لحمه، الذي كفى أكثر من ثلاثمئة رجل شهراً كاملاً، وبقي منه الكثير!!.

عادت إليهم قوَّتهم، وامتلأت أجسامُهم حيويةً وطاقة، وسمنت أبدانهم! كيف لا يحصل لهم ذلك، وهم جالسون أكثر من شهرٍ بجانب هذا الحوت العجيب، يأكلون منه كلَّ يومٍ ثلاث وجبات!!.

ضخامة الحوت من خلال وقب عينه وضلعه:

وبعدما اقتطعوا كثيراً من لحمه، وأخذوا كثيراً من دهنه، أرادوا أن يقفوا على مقدار ضخامتِه وكبرِ حجمه...

كانوا قد أفرغوا (وقبَ) عينه من الدُّهن، وهو ما في داخلِ عينه من تجويف، وأصبح وقبُ عينه فارغاً، فأرادوا أن يقفوا على ضخامته..

دعا أبو عبيدة رضي الله عنه ثلاثة عشر رجلاً منهم، فأجلسهم في وقب عينيه! فوسعهم واستوعبهم!! أمرٌ عجيبٌ حقاً، ثلاثة عشر رجلاً يجلسون في عين هذا الحوت! فما مساحتُها؟ وكأنَّ عينه بحجمِ سيارةٍ كبيرةٍ تتسعُ لهذا العدد من الرجال، وإذا كانت عينُه بهذه المساحة، فما مقدار حجمِ الحوتِ كله!.

وفي يومٍ آخر جاؤوا بضلعٍ من أضلاع الحوت، فإذا به كأنه قوسٌ كبير!.

نَصبوا هذا الضلع على شكل (قوسٍ).. وصاروا ينظرون إليه، متعجِّبين من ارتفاعه وعلوِّه!.

ودعا أبو عبيدة أطول رجلٍ فيهم، وهو قيس بن سعد بن عبادة.. ثم أمر بإحضار أعظم بعيرٍ عندهم، وأمر بوضع أكبر رحلٍ عليه.. ثم أمر قيس بن سعد أن يركب البعير، وأن يرفع رأسه، ثم يمرَّ من تحت ضلعِ الحوتِ المنصوب!.

وقام قيس بن سعدٍ بالعملية العجيبة المثيرة، ومرَّ من تحت الضلع ـ القوس ـ المنصوب، ولم يُصِبْ رأسه الضلع! فما مقدار طول الضلع؟ طولُه عدةُ أمتار!!.

إنَّ هاتين الحادثتين تشيران إلى ضخامة هذا الحوت! ثلاثة عشر رجلاً يجلسون في عينه فتسعُهم وتستوعبُهم! وأطول رجلٍ يركب أطول بعيرٍ ويمرُّ من تحتِ ضلعِه المنصوب!!.

إنه تكريمٌ من الله لهؤلاء الجنود الربانيين المجاهدين، فهو الذي أمر ماء البحر بحمل هذا الحوت العجيب الضخم، ولا ندري من أيِّ البحار والمحيطات جيء به، والله هو الذي أمر البحر بأن يقذف هذا الحوت على شاطئه، بجانب المجاهدين! فجعله رزقاً خاصاً، ساقَهُ لهم، ومكَّنهم منه!.

إنَّ الأمر ليس حادثاً عادياً، لكنَّه حادثٌ خاص، خارقٌ للعادة، إنه (كرامة) من كرامات أصحاب رسول الله ﷺ، أكرمهم الله بها.

ونعلم أن المعجزة والكرامة يلتقيان على أنَّ كُلاً منهما هو أمرٌ خارقٌ للعادة، لا يستطيع الإنسان فعلَه، وإنما هو من فعل الله وأمره.. ويفترقان في أنَّ المعجزة الخارقة هي التي يجُريها الله على يدِ الأنبياء، أمّا الكرامة في الأمر الخارق الذي يُجريه الله على يد الأولياء، فالمعجزة للنبي، والكرامة للولي!.

عودة المجاهدين ومعهم وشائق من لحم الحوت :

لقد كان حوت العنبر العجيب (كرامةً) من كراماتِ هؤلاء الصحابة المجاهدين ! .

وبعد ما أقاموا على الحوت شهراً كاملاً ، رأى الأمير أنَّ مهمتهم قد انتهت ، فقد وجَّهَهم رسول الله ﷺ إلى منطقة (سيف البحر) لرصدِ عير قريش ، وتأديبِ المشاغبين من قبيلة جُهينة .

ولما وصلوا المنطقة قبل أكثر من شهر هرب المشاغبون من أمام المجاهدين . . وانتظروا مرور قافلة قريش التجارية ، فلم تمُرَّ ! .

إذن انتهت مهمتُهم الجهادية في المنطقة . . وسلَّمهم الله ، فلم ينشب قتالٌ بينهم وبين أعدائِهم . . لذلك لا بدَّ من العودة إلى المدينة ! .

وأثناء إقامتهم في المنطقة ، وفي فترة ابتلائِهم بالجوع ، علمَ المسلمون في المدينة بما يعانيه هؤلاء المجاهدون من جوعٍ وحاجة ، ودعوا لهم بالفرج . .

وعلم بذلك سعدُ بن عبادة رضي الله عنه ، فتوقَّع أن يجتهد ابنه قيسٌ في إكرامهم ، وقال : إن يكنْ قيسٌ كما أعرفه وأعهدهُ من الجودِ والكرم ، فسوف ينحر لهم الجِمال ! .

وكان قيسٌ عند حسنِ ظنِّ أبيه سعد رضي الله عنهما ، فقد عرَفنا أنَّه (استدان) أحدَ عشر جَملاً ، ونحرَ لهم تسعةَ جِمالٍ منها ! ! .

أصدر أبو عبيدة رضي الله عنه أمره إلى إخوانه المجاهدين بالاستعداد للعودة إلى المدينة .

وقبل رحيلهم أحبّوا أن يتزوّدوا بشيء من لحم الحوت ، يأكلون منه في طريق العودة ، ويأخذون الباقي معهم إلى المدينة ! .

قَطعوا قِطعاً من لحم الحوت ، وسَلَقوها بالماء على النار سلقاً ، كي لا تفسد

أثناء الرحلة، وبعدما سَلَقوها صارت (وشائِق) وحملوها معهم، وفي الطريق كانوا يأخذون هذه الوشائق المسلوقة، فيُنضجونها إنضاجاً جيداً، ثم يأكلونها!.

وعاد المجاهدون إلى المدينة سالمين غانمين مُفلحين، كفاهم الله القتال، فلم يحاربوا هناك عدوّاً، ومنَّ الله عليهم بحوت العنبر، أكلوا منه حتى شبعوا وسمنوا، وعادوا إلى المدينة أحسن صحة، وأسمن أبداناً، وأكثر قوةً وحيوية وبهاءً وإشراقاً!! وعادوا حامدين شاكرين لله على ما أنعم عليهم به من النعم، وأكرمهم به من الكرامة!.

المجاهدون يطعمون الرسول من لحم الحوت:

قابلوا رسول الله ﷺ، ومعهم (وشائق) باقيةٌ من لحم الحوت.. وذكروا له قصتهم والأحداث التي مرَّت بهم بالتفصيل.

ثم ذكروا له أمرَ (الحوت العجيب)، وسألوه عن حكمِ أكلِهم منه! بعدما أكلوا منه!! وكان سؤالُهم بهدف طمأنينة قلوبهم، وإزالة ما قد يعلق ببعضها من التحرُّج، فهم يعتمدون على فتوى أميرهم أبي عبيدة رضي الله عنه، ويعلمون أنه عالمٌ من علماء الصحابة، قادرٌ على الحكم والاجتهاد والفتوى!! وقد أكلوا من الحوت ما أكلوا بناءً على فتواه! لكنهم سألوا رسول الله ﷺ لزيادة اليقين والطمأنينة!

فقال لهم رسول الله ﷺ: هو رزقٌ ساقَه الله إليكم! فهل معكم منه شيءٌ فتطعمونا؟!.

قالوا: نعم بقي معنا (وشائق).

قدَّموها لرسول الله ﷺ، فأكل منها!.

وبذلك أيقنوا أنَّ الأكل من ذلك الحوت مباح، وأنه حلالٌ طيب، وزال ما في قلوب بعضهم من التحرج.

واستخرجوا من ذلك حكماً شرعياً هو: إنَّ جميع ميتاتِ البحر حلال، وجميع أسماك وحيتان ودوابِّ البحر حلال! وإنَّ المسلم إذا وجد حيتاناً أو أسماكاً طافيـةً على وجه الماء ميتة، أو ألقاها البحر على الشـاطئ، فإنها حلال وليسـت حراماً، والدليلُ على ذلك فعل المجاهدين، وأكلُهم من لحمِ الحوت الميت على الشاطئ، وإِطعامُهم رسول الله ﷺ منه!.

سعد بن عبادة يثني على ابنه قيس لكرمه:

بعد ذلك ذهب قيس بن سعد بن عبادة إلى أبيه رضي الله عنهما، فقصَّ عليه ما جرى لهذه المجموعة المجاهدة من أحداث، وما أصابهم من جوعٍ شديد!!.

فقال له أبوه: ماذا فعلت لإخوانك حينما أصابهم الجوع؟.

قال قيس: نحرتُ ثلاثة جمال استدنتُها على تمرٍ أدفعه لصاحبها في المدينة!

قال له أبوه: أصبتَ وأحسنت. انحر! ثمَّ ماذا فعلت؟.

قال قيس: ثم نحرتُ بعد ذلك ثلاثة جِمال.

قال أبوه: أصبتَ وأحسنتَ. انحر! ثم ماذا فعلت؟.

قال قيس: ثم نحرتُ بعد ذلك ثلاثة جِمال.

قال أبوه: أصبتَ وأحسنتَ. انحر! ثم ماذا فعلت؟

قال قيس: بقيَ معي جَملان لم أنحرهما، لأني نُهيتُ عن ذلك!.

استغرب أبوه. وقال متسائلاً منكِراً: ومَن نَهاك؟.

قال قيس: نهاني أميري أبو عبيدة؟.

قال أبوه: ولماذا نَهاك أبو عبيدة؟.

قال قيس: قال لي أبو عبيدة: إنك يا قيسُ لا مال لك، والمالُ مالُ أبيك، وأنت استدنت ثمن الجِمال ديْناً على مال أبيك، وتخشى أن لا يدفع أبوك الدين!.

قال أبوه: ماذا قلت له؟.

قال قيس: قلت له: إنّ أبي كريم، يقضي عن الأباعد، ويحمل الكَلَّ الضعيف، ويُطعمُ في المجاعة، يفعل هذا مع الغريب، ألا يفعلُه مع ابنِه؟.

أُعجب سعد بن عبادة رضي الله عنه بموقف ابنِه قيس، وكلامِه مع الأمير، واستدانته على مالِ أبيه ليكرم إخوانه!.

ويمنحه أربعة بساتين مكافأة بشهادة أبي عبيدة:

وقرر سعد بن عبادة رضي الله عنه أن يُكرم ابنه، وأن يعطيه عطيةً ثمينةً لإكرامه إخوانه، فأَعطاه أربعة بساتين من النخيل! أقلُّ بستانٍ منها يؤخذ منه خمسون وَسَقاً من أجودِ أنواع التمر!.

وإنَّ قيساً رضي الله عنه يستحقُّ هذه الجائزة والمكافأة من أبيه، لأنَّ الجود والكرم متعمقٌ في شخصيته.

ولما أعطاه البساتين الأربعة، وكتب بذلك كتاباً، أراد الوالد أن يُشهد على ذلك بعض الصحابة.

اختار سعد بن عبادة أمير المجموعة المجاهدة أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، ليَشهد عليه! ويبدو أنَّ السبب في ذلك هو أنَّ أبا عبيدة نهى قيس بن سعد عن نحرِ باقي الجمال، وخشيَ أن لا يعترف أبوه بالدَّين، وأن لا يدفعه لصاحبه، بناءً على كلام عمر بن الخطاب لأبي عبيدة، رضي الله عنهما.

اختار سعدٌ أبا عبيدة رضي الله عنهما ليشهدَ على الكتاب، بأنه أعطى ابنه قيساً أربعة بساتين نخلٍ مثمرة، مكافأةً له على إكرامه المجاهدين، عندما نحر لهم تسعة جمال!! ليعرف أنَّ الأب رضي كرمَ الابن، ويريد منه الكثير من الكرم، فهو لم يكتفِ بالاعتراف بدَين ابنه، وسَدادِه عنه، وإنما كافأه على ذلك، بشهادةِ أمير المجاهدين أبي عبيدة!!.

ولما علم النبيُّ ﷺ بما فعلَه قيس بن سعد رضي الله عنهما، ونحرِه تسعة

جمالٍ إكراماً لإخوانه المجاهدين، وشرائها بالدَّين، أُعجب به، وأثنى عليه، وقال ﷺ: إنه جوادٌ، في بيت جود!!.

وبعد فترةٍ قصيرة جاء الأعرابيُّ الجهنيُّ إلى سعد بن عبادة رضي الله عنه في المدينة ليأخذ ثمن جمالِه الأحد عشر.. وقابل سعد بن عبادة ـ وكانت له به صلةٌ من قبل ـ فأخبره الخبر، وأثنى على ابنه قيس.

وقال الجهنيُّ لابن عبادة: يا أبا ثابت: إن ابنك قيساً سيدٌ من ساداتِ قومه، وهو كريمٌ من بيت كرم!.

فأعطاه ابنُ عباده أوسقة التمرِ التي اتفق عليها مع ابنه ثمناً لجِماله..

* * *

المراجع:

١ ـ صحيح البخاري، حديث رقم: ٤٣٦٠.

٢ ـ صحيح مسلم، حديث رقم: ١٩٣٥.

٣ ـ مغازي الواقدي: ٢/ ٧٧٤ ـ ٧٧٧.

٤ ـ دلائل النبوة، للبيهقي: ٤/ ٤٠٦ ـ ٤٠٩.

٥ ـ البداية والنهاية، لابن كثير: ٤/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧.

٦ ـ قصص من حياة الرسول، لمحمد علي دولة، ص١٩٣ ـ ١٩٩.

* * *

(٥)
عبد الله بن أُنيس الأنصاري
يقتل سفيان بن خالد الهذلي بأمر النبي ﷺ

سفيان بن خالد يجمع الجموع لغزو المدينة:

سفيان بن خالد[1] بن نُبَيْح الهُذلي، ثمَّ اللحياني، زعيمٌ من زعماء المشركين، شديد العداوة لرسول الله ﷺ، لم يكتف بكفره بالله وعبادتِه الأصنام، وتكذيبه للنبيِّ ﷺ، وكراهيته له، وهذه كلُّها جرائم كبيرة، لم يكتفِ بها، وإنما صار يتصل بالقبائل الكافرة حول مكة والطائف، ويُهيِّجهُا على حرب رسول الله ﷺ، ويُقنعُ زعماءها ورجالها بالاشتراك معه في جيش كبيرٍ كثيرِ العدد، يتوجَّهُ به إلى المدينة، للقضاء على الإسلام والمسلمين، وقتلِ رسول الله ﷺ.

وكان سفيان بن خالد مُقيماً في منطقة (نخلة) ـ بين مكة والطائف ـ يتصل من هناك بالقبائل المختلفة، ويدعو من استجاب له منهم إلى الالتحاق بجيشه، والانضمام إلى معسكره.

وكان ينوي أن (يُجيِّش) عدة آلافٍ من رجال القبائل، ثم يتوجَّه بهم إلى غزوِ المدينة، والقضاء على المسلمين. . .

وعلم رسول الله ﷺ بما يفعلُه سفيان الهُذليّ، وأنه على وشكِ التوجُّه إلى

---

(١) اختلف الإخباريون والمؤرخون في اسمه، فقال بعضهم: اسمه (سفيان بن خالد الهذلي). وهذا قول الواقدي في المغازي: ٢/ ٥٣١؛ والبيهقي في دلائل النبوة: ٤/ ٤٠ وغيرهما. وقال آخرون: اسمه (خالد بن سفيان الهذلي) وهذا قول ابن إسحاق: ٤/ ٢٦٧؛ وابن كثير في البداية والنهاية: ٤٠/ ١٤٠. وملتُ إلى ترجيح القول الأول. والله أعلم!.

المدينة: بما معه من آلاف القبائل العربية الكافرة. لتنفيذ ما يُريد!.

فهل ينتظرُ رسول الله ﷺ هذه الجموع، حتى تأتي إلى المدينة ويحاربُهم على مشارفها، أمْ يفاجئُهم مفاجأة حكيمةً مذهلة؟ يفرق بها جمعهم قبل أن يتحركوا؟!.

كان رسول الله ﷺ حكيماً، يتمتع ببعدِ النظر وحسنِ التصرف، وكان يفاجىءُ أعداءَه الكفار مفاجآتٍ مذهلة، يُضعفُ بها قوتهم، ويفِلُّ بها جموعهم، ويُحطِّم بها معنوياتهم، فلا يقفون أمامه!! وسيرتُه الجهادية العملية مليئةٌ بالأمثلة والشواهد والنماذج، التي تقررُ هذه الحقيقة وتؤكِّدُها!.

الرسول يكلف عبد الله بن أُنيس بقتله:

قررَ رسول الله ﷺ أن يُكلف أحد رجاله الأشداء، ليقوم وحده بعمليةٍ جهاديةٍ خاصة، يقتل سفيان الهُذليَّ في معسكره، وسط جنوده، لتتفرق الجموع الملتفة حولَه!.

إنها عمليةٌ خاصةٌ هامة، وهي خطيرةٌ ودقيقة، لا يصلحُ لها أيُّ رجلٍ شجاعٍ من أصحابه، وكلُّ أصحابه شجعان! إنها تحتاج إلى رجلٍ يتصف بشجاعةٍ نادرة، ذاتِ مستوى عال، لا يهابُ العدو، ولا يخشى الرجال، لأنه سيسيرُ وحدَه، ليس معه أخ ولا صديق، وسيدخل معسكرَ الكفار، الذي يعجُّ بآلاف الرجال، وسيتولّى قتل زعيمهم وسطهم!!.

إنَّ رسول الله ﷺ يعلمُ مواهب وقدرات وكفاءات أصحابه، ويضع الرجلَ المناسب منهم في مكانه المناسب، ويكلفُ الصحابيَّ الأكفأَ والأقدرَ على القيام بالمطلوب.

اختار رسول الله ﷺ عبد الله بن أُنيس رضي الله عنه للقيام بهذه المهمة الجهادية العظيمة.

هو (عبد الله بن أنيس الجُهنيُّ الخزرجيُّ الأنصاري) كان من السابقين إلى

الإسلام، أسلم قبل الهجرة، وشهد بيعة العقبة، وحضر المعارك والمشاهد مع رسول الله ﷺ.

وقد اشترك في عمليةٍ جهادية عظيمة، فكان أحد أفراد المجموعة الخزرجية المجاهدة، التي قتلت عدوَّ الله (أبا رافع) ـ سلاّم بن أبي الحُقيق ـ اليهوديَّ في خيبر، وكان أمير تلك المجموعة عبد الله بن عتيك رضي الله عنه. وقد تحدَّثنا عن تلك العملية الجهادية في ما سبق والحمد لله.

أراد رسول الله ﷺ أن يقوم عبد الله بن أُنيس بالعملية الجهادية وحده، لأنها لا تحتاج إلى جيش، ولا إلى مجموعةٍ صغيرة، إنما تحتاجُ إلى رجلٍ واحد، يجتازُ مواقع جيش الكفار، ليصل إلى قائدهم ابن نُبيح الهذلي، فيقوم بقتله.

ولا بدَّ أن يتمتع هذا المجاهد بصفاتٍ خاصة، من الشجاعة والجرأة، وهدوءِ الأعصاب، وحسنِ التصرف، والذكاء والفطنة، وهذه صفاتٌ متوفرةٌ في عبد الله بن أُنيس رضي الله عنه!.

دعا رسول الله ﷺ عبد الله بن أُنيس رضي الله عنه، وأخبره أنَّ سفيان بن خالد بن نُبيح الهذلي يجمع جموع القبائل الكافرة ليغزو المدينة، ويقضي على الإسلام والمسلمين، ومعسكرُه موجودٌ في منطقة مكة، يتحرك منه متَّصِلاً بالقبائل الكافرة، يعدُهم ويُمنّيهم، ومن استجاب له يلتحق بمعسكره ويقيم معه.. وقد جمع آلافاً من رجال القبائل، وهو على وشكِ التوجُّه إلى المدينة.

قال ابن أُنيس لرسول الله ﷺ: أين هو؟.

فأخبره رسول الله ﷺ أنَّ معسكره في (عُرَنَة) في منطقة (نَخْلَة). و(عُرنة): اسم الوادي المحاذي لعرفات. و(نخلة) اسمٌ لتلك المنطقة الواقعة بين عرفات ومكة، على طريق الطائف.

الرسول يذكر لابن أنيس علامة عجيبة للهذلي:

قال ابن أنيس: يا رسول الله: إني لا أعرف سفيان بن خالد الجهني، لأنّي

ما رأيتُه أو قابلتُه أو التقيتُ به من قبل، فصفه لي يا رسول الله حتى أعرفه!.

فأخبره رسول الله ﷺ أنَّ لابن نُبيح الهذلي هيبة، وأنَّ شخصيته كبيرةٌ مؤثرةٌ طاغية، وأنه عندما يراه عبد الله بن أُنيس فسوف يهابه ويفرقُ منه ويخاف!.

قال له رسول الله ﷺ: إنك إذا رأيته هبتَه، وفرِقتَ منه، وذكرتَ الشيطان.

إنَّ ابن نُبيح الهذلي شيطانٌ من شياطين الإنس، وهو يُذكِّرُ بالشيطان، فمن رآه. فإنه يتذكَّر الشيطان، والشيطان يلقي في نفسه المهابة والخوف منه، ولهذا يخاف الإنسان منه.. ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

استغرب عبد الله بن أُنيس رضي الله عنه مما يسمع من رسول الله ﷺ، فلماذا يخاف من ابن نُبيح؟ إنه شجاعٌ رابطُ الجأش، لم يسبقْ أن خاف من الرجال.

ولهذا قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله: إنني ما فرقتُ من شيء قط، وما خفتُ من أحد، وأنا لا أهابُ الرجال!!.

وصدق ابن أُنيس في ما قال عن نفسه، وإنَّ الرسول ﷺ يعرفُ هذه الصفات فيه، ولهذا كلَّفه باغتيالِ ابن نُبيح الهذلي! وهي صفاتٌ ساميةٌ عالية، لا تكون إلاّ في عظماء الرجال!!

ومع اتصاف ابن أنيس بهذه الصفات العالية، وتمتُّعه بهذا المستوى من الشجاعة، إلاّ أنه سيهاب ابن نُبيح ويفرق منه عندما يقابله! جزم له رسول الله ﷺ بهذا.

ولذلك قال له ﷺ: بلى، ستفرق منه! وآيةُ ما بينك وبينه أنك إذا رأيته أصابتك قشعريرةٌ ورعدةٌ من الخوف!!.

أي أنه عندما يرى سفيان ابن نُبيح فسوف يشعر بالخوف والفرق يدبُّ في كيانه، ويحسُّ برعدةٍ في مفاصله، وقشعريرةٍ تغشاه.. يشعر بهذا وهو البطل الشجاع الذي لم يسبق له أن خاف من أحدٍ، أو هاب أحداً!! فإذا كان هو سيشعر

بهذا وهو مَنْ هو، فكيف سيكون غيره؟ لقد كان الرسول ﷺ حكيماً في تكليفه هو بهذه المهمة الجهادية!!.

وهي علامةٌ عجيبة، يتعرف من خلالها ابن أنيس على سفيان بن خالد. إنه لن يخاف ولن يفرق إلاّ منه، ولهذا عندما يقابل رجلاً جباراً شيطاناً، فيشعر بالرعدة والقشعريرة في كيانه، فليعلمْ أنه أمام مطلوبه!!.

الرسول يأمر ابن أنيس أن ينتسب لخزاعه:

وأراد عبد الله بن أنيس رضي الله عنه أن يأخذ من رسول الله ﷺ إذناً بأن يقول لابن نُبيح بعض الكلام ليصل إليه.

فقال له: يا رسول الله، إنني لا بدَّ أن أقول شيئاً!.

فقال له رسول الله ﷺ: قل ما بدا لك!!.

أي أنه لا بدَّ أن يقول بعض الكلام عن رسول الله ﷺ، ليطمئنَّ إليه ابن نُبيح ويأنس به، ويكون هذا تمهيداً للتخلُّص منه. فأجاز له رسول الله ﷺ ذلك، لأنّ الحرب خُدعة!!.

ثم أمر رسول الله ﷺ ابن أُنيس أن ينتسب إلى قبيلة خُزاعة! إنَّ ابن أنيس أنصاريٌّ خزرجي، ولو انتسب إلى الأنصار فسوف يُكتشف أمره، ويفشل في تحقيق مهمته، فلا بدَّ أن ينتسب إلى قبيلةٍ أُخرى!!.

اختار له ﷺ أن ينتسب إلى قبيلة خُزاعة! فلماذا؟.

إنَّ خزاعة قبيلةٌ عربيةٌ كبيرة، تُقيم في تلك المنطقة الواسعة، على الطريق إلى مكة، وكان سفيان بن خالد يتصل بزعمائها لينضمَّ أفرادها إلى جيشه.. وهي قبيلةٌ كبيرة، يصعب حصرُ أفرادها، فإذا قال ابن أنيس: أنا خزاعي، فيصعب التأكُّد من ذلك، لأنَّ بُطون خزاعة عديدة، فمن أيِّ بطنٍ هو؟.

وبما أنَّ مهمَّته الجهادية لا تحتاج إلى سلاحٍ كثير، لأنها محصورةٌ في قتلِ

الشيطان ابن نُبيح، فلم يأخذ معه إلاّ السيف فقط.

في مطلع شهر المحرم من السنة السادسة من الهجرة، حمل عبد الله بن أنيس سيفه، وغادر المدينة وحده، متوجِّهاً إلى منطقة نخلة، لتنفيذ مهمته[1].

وكان كلَّما رأى قبيلة، ينتسب إلى خزاعة، ويقول أنا رجلٌ خزاعي.

ابن أنيس يصل معسكر الهذلي:

ومرَّ على منطقة (قُديد)، ووجد فيها تجمعاً كبيراً لخزاعة، فانتسب إلى خزاعة، فرحَّبوا به باعتباره واحداً من قبيلتِهم، وأخبرهم أنه متوجِّهٌ إلى مكة، فعرضوا عليه أن يُزَوِّدوه بالظَّهرِ ـ فرسٌ أو جمل ـ ليقطع به المسافة إلى منطقة مكة، فأبى، وعرضوا عليه أن يُرافِقهُ أفرادٌ منهم ليأنس بهم في الطريق، فأخبرهم أنه لا يحتاج إلى ذلك.

واصل عبد الله بن أنيس رضي الله عنه سيره وحيداً، وكلَّما قابل قبيلةً أو مجموعةً يُخبرهم أنه ذاهبٌ إلى سفيان بن خالد الهذلي للالتحاقِ بجشيه المتوجِّه إلى حرب المسلمين في المدينة!.

وأخيراً وصل ابن أنيس إلى منطقة (عُرنة) التي حددّها له رسول الله ﷺ. وهي مقرُّ قيادة الهذلي.

ولما وصل (عُرنة) وجد فيها معسكر الهذليِّ كبيراً، يضمُّ الكثير من أفراد القبائل الذين انضمّوا إليه، ويُعدّون بالمئات، وهم متفرقون في المنطقة، ينتظرون انضمام الآخرين إليهم، ليتوجَّهوا إلى غزو المدينة!.

---

(١) اختلف المؤرخون في تحديد الشهر والسنة لهذه العملية الجهادية الخاصة؛ فذهب بعضهم إلى أنها كانت في شهر محرم من السنة الرابعة من الهجرة، وهذا رأي ابن سعد في الطبقات. وذهب آخرون إلى أنها كانت في محرم من السنة السادسة من الهجرة، وهذا رأي الواقدي في المغازي. وقد ملتُ إلى ترجيح الرأي الثاني. انظر: قادة النبي لمحمود شيت خطاب، ص١٨٨. =

ودُهش ابن أنيس من الجموع الكثيرة التي يراها، وأدرك خطورة سفيان بن خالد على الإسلام والمسلمين، وأنه إن وصل بهذه الجموع إلى المدينة، فستكون المعركة عنيفة! وأدرك حكمة النبي ﷺ في تكليفه بقتل قائد هذه الجموع!.

تجوّل عبد الله بن أُنيس في معسكر ابن نُبيح يبحث عنه، وكان قد وصل المعسكر بعد أن صلّى صلاة الظهر.

ونظر إلى رجلٍ يمشي من بعيد، ومعه مجموعةٌ من النساء، يُريد أن يختار لهن موضعاً مناسباً ينزلن فيه..

ابن أُنَيْس يفرق من الهذلي:

ولما نظر إلى ذلك الرجل هابَهُ وخاف منهّ وأحسَّ بالقشعريرة والرعدة تسري في عروقه.. وتذكَّر ما قاله له رسول الله ﷺ! إذن هو الآن أمام سفيان بن خالد، وهذه العلامة التي ذكرها رسول الله ﷺ. قد تحققت.

فقال ابن أُنَيْس في نفسه: صدق رسول الله ﷺ فها هو ما أخبرني عنه يتحقق في كياني!.

كان الخوف الذي أصابه عرضاً زال سريعاً، والقشعريرة قصيرةً لم تستمر إلاّ لحظةً سريعة فزالت الرعدةُ والقشعريرة فوراً، ونتج عنها (عَرَقٌ) غزير، صار يقطر من جسمه!!.

وخروج العرقِ من جسمه بعد خوفه وقشعريرته علامةٌ على تجاوُزهِ هذا الخطر، واستردادِه لهدوئه ورباطة جأشه، وعودة شجاعته له، لقد تداركته رحمة الله، فأزال الله عنه لخوف والفَرق العرضيّ، وأحلَّ محلَّه الطمأنينة واليقين، وهدوء الأعصاب وسكينة النفس، وهذه أمورٌ ضروريةٌ لبطلٍ مجاهد، مقبلٍ على عملٍ كبير!.

ابن أنيس يصلي العصر ماشياً نحو الهذلي:

رأى ابن أنيس خصمه بعد دخول وقت العصر.. وهو على وضوء، وخشي أن تفوته صلاةِ العصر إذا التقى به، وحصلت مصاولةٌ ومجاولةٌ بينه وبينه! فماذا سيفعل؟.

هل يؤخِّر الصلاة إلى ما بعد اجتماعِه به؟ وكيف سيصلّي؟ إنه سيقدِّم نفسه له باعتباره كافراً منضمّاً إلى جيشه لغزو المسلمين! فكيف يُصلي أمامه صلاة المسلمين؟.

هل يصلّي الآن قبل أن يلتحق به؟ وكيف؟ لو أنه وقف واستقبل القبلة، وصلّى صلاةً عاديةً بقيامٍ وركوع وسجود، فسيراه جنود الهذلي، ويُلقون القبض عليه باعتباره مسلماً عيناً لرسول ﷺ.

هل يترك الصلاة؟ باعتباره مكلفاً بمهمةٍ جهادية؟ لا يجوز له ذلك، لأنَّ الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً!.

هداهُ الله إلى تصرفٍ رائع: يتوجَّه إلى سفيان بن خالد، الذي كان بعيداً عنه قليلاً، وفي أثناء سيره إليه يدخل في الصلاة، ينوي صلاة العصر، ويكبِّر تكبيرة الإحرام، وهو يمشي، فإذا أراد الركوع أو السجود أومأ برأسه إيماءً، وأحناه قليلاً وهو يمشي!!.

ما أجمل هذه الصلاة التي يؤدّيها هذا المجاهد! يصلّي وهو يمشي، ويركع ويسجد وهو يمشي، ينظر أثناء صلاتِه إلى (هدفِه) وقلبُه مشغولٌ بذكر الله، وكيانُه متصلٌ بالله، على هذه الصورة العالية من الاتصال!!.

قال عبد الله بن أنيس رضي الله عنه عن هذا المشهد من القصة: «.. ثم عدلتُ حتى خرجتُ على عُرَنة، وجعلت أُخبرُ من لقيت أني أريد سفيان بن خالد لأكون معه، حتى إذا كنت ببطن عُرنة، لقيتُه يمشي، ووراءه (الأحابيش)، ومن

انضمَّ وضوى إليـه . . ومعه (ظُعُنٌ) لـه، يرتاد لهنَّ منزلاً . . فلما رأيتُه هبتُه، ووجدت ما قال لي رسول الله ﷺ من القشعريرة، ورأيتني أقطر عرقاً! فقلت: صدق رسول الله ﷺ! ودخلت في وقت العصر حين رأيتُه، وخشيتُ أن تكون مجاولةٌ بيني وبينه تُشغلُني عن الصلاة . . فصلَّيت وأنا أمشي نحوه، أومئ برأسي!!».

ابن أنيس مع الهذلي:

ولما فرغ ابن أنيس من صلاتِه، توجَّه نحو (الهدف). ودنا من خصمه.

قال له سفيان بن خالد: مَن أنت؟.

قال له: أنا رجلٌ من خزاعة، سمعتُ بجمعِك لمحمد، واستعدادِك لقتاله، فجئتُ إليك، لأكون جندياً معك!!.

قال سفيان: أجل. أنا أجمع الجموع لغزوِ المدينة، وقتال محمد!.

بقي على ابن أنيس أن يتقرب إلى ابن نُبيح، وأن يحادثه ويكلِّمه، ليأنسَ الأخيرُ إليه، ويثق به، ليتمكَّن منه بعد ذلك.

مشى معه مسافة، وابن نُبيح يتجول وسط معسكره، بين مضارب جنوده، وابن أنيـس يحادثُه ويُسـلّيه، ويُنشده الأشعار المختلفة، ويقصُّ عليه القصص المسلية، ويُسمعه الأقوال الحكيمة.

أنـس ابن نُبيح إلى ابن أنيس، وأُعجب به وبكلامـه، واسـتمرَّ ابن أنيس يحدِّثه، إلى أن قال له: يا ابن نُبيح: عجباً لِما أحدث محمدٌ من هذا الدين المحدث، فارق الآباء، وسفَّه أحلامهم!!.

فردَّ عليه ابن نُبيح قائلاً: لقد حارب رجالٌ كثيرون محمداً، ولم ينتصروا عليه، وأنـا صمَّمتُ على حربـه وقتالِه والقضاء عليه! وأنـا الذي سـأقضي عليه، وأُريحُ الناس منه!.

واسـتمرّا يسيران، حتى ابتعدا على رجاله، وانتهى ابن نُبيح إلى خيمته،

وهي بعيدةٌ عن أصحابه.

دخل خيمته، ودخل ابن أنيس معه، فقال له: هلمَّ يا أخا خُزاعة!.

فجلس بجانبه، وحادثه، وانبسط ابن نُبيح معه، وتصرَّف على سجيته، ولاطفه وأكرمه، وبعد فترةٍ من جلوسهما معاً أمر ابن نُبيح جاريته أن تحلب له، ولما حلبت وناولته الحليب دفعه إلى ابن أُنيس فشرب منه قليلاً، ثم أعاده إلى ابن نُبيح، فعبَّ منه كما يعُبُّ الجمل، وشرب حتى ارتوى.

وغابت الشمس وهما جالسان يتحدثان، وحلَّ الظلام، ومرَّت ساعات الليل، وهما يسمران، ونام الناس في الخيام الأخرى..

ابن أُنيس يقتل الهذلي في خيمته:

وبدأ النعاس يدبُّ إلى سفيان بن خالد، وعبد الله بن أنيس يرقُبُه.. نعس الرجل واستأذن محدِّثَهُ لينام.. ونام الزعيم الذي يجمع الجموع للقضاء على رسول الله ﷺ، نام وهو يمنّي نفسه بذلك، ولعلَّه كان يحلم بهذا! وما درى هذا العدوُّ المغرور أنَّ الله له بالمرصاد، وأنَّ الله سيسخر جندياً من جنودِه ليهلكَه ويقضي عليه بعد قليل! وأنَّ هذا الجنديَّ الربانيَّ قريبٌ منه، وجالسٌ بجانبه!!.

نظر عبد الله بن أُنيس إلى سفيان بن خالد بن نُبيح الهذلي، فوجده نائماً يغطُّ في نومه، ونظر إلى نسائِه القريبات منه فوجدهنَّ نائمات. ونظر إلى جنوده ورجاله في الخيام فوجدهم نائمين...

نام جنود الباطل جميعاً.. وبقي جنديُّ الحقِّ متيقظاً، لينفذَ حكم الله في زعيم البغي والعدوان، وينصرَ دين الله...

وبعدما اطمأنَّ إلى الأمر، استلَّ سيفه، وأهوى به على سفيان بن خالد، وما هي إلاّ ضربةٌ أو ضربتان حتى قضى عليه، وخمدتْ أنفاسُه، وزهقتْ روحُه.

حَزَّ رأسه بالسيف، وفصله عن جسمه، وحمله بيده، وتهيأ للخروج من الخيمة!!.

وبينما كان يهمُّ بالخروج أحستْ إحدى نساء ابن نُبيح بالحركة، فاستيقظت، ونظرت إلى الزعيم، فإذا به جسمٌ بدون رأس، جثةٌ هامدة، فصاحت، واستيقظت النساء على صحيتها، وصرن يصرخن ويولولن، ويبكينَ رجلَهُنَّ القتيل . . .

وسمع الرجال الصراخ والعويل . . واستيقظوا . . ودبت الحركة في معسكر الكفار . . وفوجئوا بقائدِهم قتيلاً، جثةً بلا رأس!!.

وتوزّعوا في المناطق المجاورة للمعسكر يبحثون عن القاتل الذي حمل الرأس معه!.

ابن أنيس مختبئ في غار في الجبل:

أمّا عبد الله بن أنيس رضي الله عنه فإنه هربَ سريعاً لمّا شعر بحركة النساء، وكان يجري حافياً!! لأنَّه من سرعته لم يتمكَّن من لبسِ حذائه. . وكان معسكر ابن نُبيح في سفح جبل.

ارتقى ابن أنيس الجبل، ووجد فيه غاراً، فدخل الغار، ودعا الله مخلصاً، وطلب منه أن يحميه في الغار، وأن يعمي عنه عيون الكافرين!.

صعدَ الرجال المشاة والرجال الخيالة على خيولهم الجبل، يبحثون ويفتشون عن القاتل، وتوجَّه رجالٌ آخرون إلى مناطق أُخرى قريبةٍ من المعسكر يفتشون!.

وبينما كان ابن أنيس في الغار جاء رجلٌ من المشركين يبحث ويفتش، ووقف على باب الغار، ولكنَّ الله أعمى بصره، فلم ينظر داخل الغار! ولو نظر داخله لوجد ابن أنيس فيه! ولكنَّ الله حمى هذا الجنديَّ الربانيَّ المجاهد!.

كان مع الرجل الكافر (إداوةٌ) ضخمة، مملوءةٌ بالماء، ومعه نعلان يحملُهما بيديه ويمشي حافياً!.

نظر ابن أنيس إلى (إداوة) الماء والنعلين، فطمع فيهما! لأنَّه كان قد عطش عطشاً شديداً، بسبب جريه وصعوده الجبل، وهو بحاجةٍ ماسةٍ إلى شربة ماء. .

وهو حافي القدمين، وسفره طويلٌ إلى المدينة، وبحاجةٍ إلى النعلين. . فتمنّى لو يستطيع أن يشرب من الإداوة! وأن يأخذ النعلين.

ويسَّر الله له ذلك. فأقبل الرجل نحو الغار وسط الظلام، وقال لأصحابه: ليس في الغار أحد. . ثم شعر بالحاجة إلى قضاء الحاجة! فوضع الإداوة والحذاء جانبه وجلس يبول على باب الغار!!.

استغلَّ ابن أنيس قضاء الرجل للحاجة، وأخذ الإداوة وشرب ما فيها، ولبس الحذاء، وخرج من الغار تحت جنح الظلام. . .

وكتب الله له النجاة، فأَنجاهُ من جموعِ الجنود، الذين انطلقوا يفتِّشون عليه في كل مكان فحمد الله على ما أنعم به عليه من النجاح في تحقيق مهمته، وقتلِ زعيم معسكر الكفار المحاربين، ونجاتِه من بين جموعِهم الباحثة عنه!.

أمّا معسكر الكفار فقد انفضَّ بعد مقتلِ قائدهم سفيان بن خالد الهذلي، فإنهم كانوا متجمِّعين من قبائل شتى، لا يجمعُهم إلا الهذلي، فقد كان شخصيةً قيادية تجميعية، اجتمعت عليه القبائل، والتفَّ حوله الجنود.

وقد كان رسول الله ﷺ حكيماً عندما وجَّه الضربة إلى رأسِ هذا الجيش. وكلفَ ابن أُنيس بقتلِ الهذلي.

فما أن رأى رجالُ القبائل المجمَّعة في الصباح قائدهم قتيلاً، جثةً بلا رأس، حتى تفرقوا، وعاد كلٌّ منهم إلى قبيلته.

وبذلك انفضَّ ذلك الجمع الكافر، وأزال الله عن المسلمين الخطر، وكفاهم شرَّ القتال، وردَّ الذين كفروا بغيظهم، لم ينالوا خيراً.

ابن أنيس يصل المدينة سالماً وبشرى الرسول له:

وأمّا عبد الله بن أنيس رضي الله عنه فقد عاد إلى المدينة بعد نجاح مهمتِه الجهادية، وكان حذراً في عودته، حريصاً على أن لا يراه أحد من المشركين،

لأنه كان يحمل رأس سفيان بن خالد معه! . . لذلك كان يسير بالليل حيث لا يَراهُ أحد، ويكمن في النهار، متوارياً عن عيونِ المشركين، حتى لا يراه أحد! .

واصلَ عبد الله بن أنيس رضي الله عنه سيرَه على هذه الصورة الحذرة، واجتاز تجمعاتِ المشركين بين مكة والمدينة، بشجاعةٍ وفطنةٍ وحذر، وكتب الله له النجاة. . ووصلَ المدينة سالماً مفلحاً.

توجَّه إلى المسجد، فوجد رسول الله ﷺ في المسجد، فسلَّم عليه، فردَّ رسول الله ﷺ.

ثم بشَّره رسول الله ﷺ بما يسُرُّه، فقال له: أفلح الوجه.

فقال ابن أنيس: ووجهك المفلح يا رسول الله! .

وهذه البشـرى من الرسـول ﷺ لابن أنيس بشرى عظيمة، ملأَتْه سروراً وطمأنينةً وسعادة، وهذه معانٍ جليلة، لا تقف أمامها المشقات التي مرَّتْ به أثناء أداءِ مهمتـه الجهادية! لقد تضاءل ما مرَّ به من سـيرٍ وتعبٍ وإرهاق، ومن جوعٍ وعطش، ومن خوفٍ وقشعريرةٍ وفرَق، ومن جهدٍ وسهر، وتفكيرٍ وحذر. إنها مشقاتٌ كثيرة، لكنها هينةٌ أمام النتيجة: أن يكون مفلحاً.

إنَّها ضريبةُ الفلاح، والطريق الحتمية إليه، لا بدَّ أنْ يقطفها، وأن يتحمَّلها، وأن يصبر عليها، ويجاهد نفسه عليها، ويستعلي بهمتِه عليها. . ليصل إلى غايته، وهي أن يفلح وجهه، ويكون رجلاً مفلحاً من المفلحين! .

ولهذا سارع رسول الله ﷺ بتبشيره بالفلاح، جائزةً ومكافأةً له! .

بعد ذلك أخبر ابن أُنيس رسول الله ﷺ، فقال: لقد قتلتُ سفيان بن خالد الهذلي يا رسول الله! .

فقال له رسول الله ﷺ: صدقت! .

فأخرج رأس الهذلي، ووضعه أمام رسول الله ﷺ. . فكبَّر رسول الله ﷺ،

وشكر الله على فضله، بأن خلَّصه من عدوِّه، الذي كان يجمع الجموع لغزوه، وأراحه من شره!!.

ابن أُنيس يؤرخ للعملية الجهادية شعراً:

وجلس عبد الله بن أنيس مع أصحابه في المدينة، وأخبرهم بتفاصيل مهمته الجهادية الجليلة، منذ أن خرج من المدينة إلى أن عاد إليها، متحدثاً بنعمةِ الله.

وكان ابن أُنيس شاعراً، فسجَّل خلاصة عمليته الجهادية، وأثبتها في أبياتٍ من الشعر، تناقلها الرواةُ من بعده، وأثبتها الإخباريّون والمؤرخون.

ومما ورد فيها قوله:

تركتُ ابن ثورٍ كالحُوارِ وحولَهُ	نوائحُ تَفْري كُلَّ جيبٍ مُقدَّدِ
تناولتُهُ والظُّعن خلفي وخلفه	بأبيض من ماء الحديد مُهنَّدِ
عجُومٍ لِهامِ الدّارِعين كأنّه	شِهابُ غضاً من مُلهبٍ مُتوقِّدِ
أقول له والسَّيف يُعجم رأسه	أنا ابن أُنيسٍ فارساً غير مُعددِ
أنا ابنُ الذي لم يُنزل الدَّهر قدرهُ	رحيب فِناء الدّار غير مُزنَّد
وقلتُ له خُذها بضربة ماجدٍ	حنيفٍ على دين النَّبِيِّ مُحمَّدِ
وكنتُ إذا همَّ النَّبيُّ بكافرٍ	سبقت إليه باللِّسان وباليدِ

الرسول يخص ابن أُنيس بوسام عجيب:

ولما قدم عبد الله بن أنيس رضي الله عنه تقريره عن تفاصيل عمليتِه الجهادية إلى رسول الله ﷺ، أخذ رسولُ الله ﷺ بيده، وأدخله بيته.. وتناول من بيته عصا، ثم ناوله إياها، وقال له: امسك هذه العصا عندك يا عبد الله بن أنيس.

أمسكَ ابن أنيس بالعصا، وهو لا يعرف المراد بها، ولماذا أعطاه إياها ﷺ، وخرج بها على الناس.

ولما رآه الصحابة يحملها قالوا له: ما هذه العصا؟.

قال ابن أنيس: لا أدري. لقد أعطانيها رسول الله ﷺ، وأمرني أن أُمسكها عندي!.

قالوا له: أفلا ترجع إلى رسول الله ﷺ فتسألُه: لِمَ أعطاك العصا؟ فرجع إلى رسول الله ﷺ فسأله: يا رسول الله: لماذا أعطيتني هذه العصا؟.

فقال له ﷺ: احتفظ بهذه العصا، لتتخصَّر بها في الجنة، فإن المتخصِّرين في الجنة قليل.. وهي آيةٌ وعلامةٌ بيني وبينك يوم القيامة!.

والتخصُّرُ هو الاتكاءُ على العصا عند السير.

وهذه مزيةٌ لعبد الله بن أنيس رضي الله عنه ميَّزهُ بها رسول الله ﷺ، لأنه قام بعمليةٍ جهاديةٍ عظيمة. قضى فيها على عدوٍّ من أقوى الأعداء وأشدهم عداوة.

إنه يأتي يوم القيامة يتخصَّر بهذه العصا، ويمشي متوكِّئاً عليها، لا لحاجته إليها، ولكنها علامةٌ مميزةٌ له، يُعرف بها من بين باقي المسلمين، فإذا رآه رسول الله ﷺ عرفَه فأكرمه...

وعندما يدخل الجنة، يدخُلها ومعه تلك العصا، يتوكَّأُ عليها، لتكون وِساماً مميزاً له!.

وقد احتفظ عبد الله بن أنيس رضي الله عنه بتلك العصا، وقرَنَها بسيفِه، ولم تزل معه طيلة حياته.. ولما حضرتْه الوفاةُ أمرَ أن تُضمَّ العصا إلى كفنِه!! فضُمَّت معه في كفنه، ودُفِنت معه!! رضي الله عنه وأرضاه.

* * *

المراجع:

١ ـ المغازي، للواقدي: ٢/ ٥٣١ ـ ٥٣٣.

٢ ـ السيرة النبوية، لابن هشام: ٤/ ٢٦٧ ـ ٢٦٩.

٣ ـ دلائل النبوة، للبيهقي: ٤/ ٤٠ ـ ٤٣.

٤ ـ البداية والنهاية، لابن كثير: ٤/ ١٤٠ ـ ١٤١.

٥ ـ قادة النبي ﷺ، لمحمود شيت خطاب، ص٨٧ ـ ١٩٤.

* * *

(٦)

مجموعة محمد بن مسلمة الأنصاري

تأسر ثُمامة بن أُثال الحنفي سيد أهل اليمامة

ثمامة بن أثال يعد الجيش لغزو المدينة:

ثُمامةُ بنُ أُثالِ الحنفيُّ زعيمُ بني حنيفة، وبنو حنيفة أَشهرُ قبائلِ بني تميم الذين يقيمون في منطقةِ نجد، شرقَ الجزيرةِ العربية.

وكان بنو حنيفة يُقيمون في منطقةِ (اليَمامة) المعروفةِ في نجد. وكان ثُمامةُ ابن أُثال سيدَ أَهلِ اليمامة، يقرُّ له أهلُ اليمامة بالسيادةِ والقيادةِ والمنزلةِ والزعامة!

وكان ثُمامة بن أُثال كافراً معادياً لرسول الله ﷺ، شديدَ العداوةِ له، حريصاً على حربـه والقضاءِ عليه.. وكان متحالفاً في ذلـك مع زعماءِ قريـش في مكة، وصِلتُه وثيقةٌ بأَبي سفيان زعيم مكة.

وكان بنو حنيفة يزرعونَ أَرضهم في اليمامة قمحاً، وكان ثُمامةُ يزوِّدُ قريشاً بحاجتهم مـن القمحِ كلَّ عام! ولهذا كان تموينُ أَهلِ مكـة من الحَبِّ يـأْتيهم من بني حنيفة في اليمامة.

وكان ثُمامة بن أُثـال يتابعُ أَخبـارَ رسول الله ﷺ والمسـلمين في المدينة، وأَخبارَ المعارك التي تدورُ بينهم وبين قريش.. ويتألمُ لهزيمةِ حلفائه من قريش في معاركِ بدر وأُحد والخندق، وغيرها.. ويرى صعودَ أَمرِ رسول الله ﷺ، والتمكينَ للإِسلام والمسلمين، فيزعجُه ذلك، ويزدادُ بغضاً لرسول الله ﷺ، وكُرهاً للإِسلام والمسلمين، وحرصاً على قتالهم!

وبعدَ معركةِ (الأَحزاب) الفاصلة، التي أَدَّتْ إلى هزيمة قريش ومَنْ معها مِن الأَحزاب الكافرة، وانتصارِ المسلمين، ازدادَ ثُمامةُ بغضاً للنبي ﷺ، وكرهاً للإِسلام والمسلمين.

وخشيَ أَنْ يصلَ الإسلامُ إلى قبيلته بني حنيفة في اليمامة، وأَنْ يفكِّرَ رسولُ الله ﷺ بغزوِ بلاده وقتاله . .

لذلك صممَ هو على غزوِ المدينة، والقضاءِ على المسلمين فيها، وصارَ يعدُّ العدةَ لذلك، ويجهزُ جيشاً من بني حنيفة وغيرِهم لهذه الغاية!

وهذا معناه أَنَّ ثُمامةَ بنَ أُثال قد أَعلنَ الحربَ على المسلمين، وصار من أَعدائهم الذين يُظهرون عداوتَهم، ويُعلنون الحربَ عليهم! وعليه أَنْ يتحملَ نتائجَ ذلك، لأنَّ هذا معناه أنَّ المسلمين يُعلنون الحربَ عليه، ويُهدرونَ دمَه، وقد يُجَهزون جيشاً لقتاله في اليمامة، وقد يُرسلون مَن يقتلُه وسطَ قومه!

علمَ رسولُ الله ﷺ بما يفعلُه ثُمامة بن أُثال، وانحيازِه إلى جانبِ أَعدائه، وتجهيزِه الجيشَ لقتاله.

فدعا رسولُ الله ﷺ ربَّه أَنْ يمكِّنه منه، وأَنْ يريحَه من شره، وقال: اللهمَّ مكّنّي من ثُمامة بن أُثال!

ودعاءُ الرسولِ ﷺ مُجاب، وإِنَّ الله ناصرٌ دينَه وعاصمٌ رسولَه ﷺ، وسيمكِّنُ رسولَه من ثُمامة بحكمته سبحانه، وسيهيّئ الأَسبابَ لذلك!

توجه مجموعة ابن مسلمة لبني بكر ولثمامة:

في محرم من السنةِ السادسة للهجرة، كلَّفَ رسولُ الله ﷺ عبدَ الله بن أُنيس الأَنصاري بالتوجُّهِ إلى سفيان بن خالد الهُذَلي وقتْلِه، لأَنه كان يعدُّ العدةَ ويجهزُ الجيشَ لغزو المدينة، ونجحَ ابنُ أُنيس في ذلك على أَرفعِ مستوى . . كما مَرَّ معنا قبل قليل!!

وفي محرم من السنة نفسها وجَّهَ رسولُ الله ﷺ مجموعةً مجاهدةً من الصحابة نحو ثُمامة بن أُثـال . وذلك ليقضيَ على الخطريْن المحدقيْن بالمدينـة ، خطرِ ابن نُبَيْح في منطقةِ (نَخْلَة) عند مكة ، وخطرِ ابن أُثال في منطقةِ اليمامة ! ! .

(شَكَّلَ) رسولُ الله ﷺ مجموعةً مجاهدة ، مكوَّنةً من ثلاثين مجاهداً ، منهم : محمدُ بن مسلمة ، وعَبّادُ بن بشر ، وسلمةُ بنُ سلامة بن وقش ، رضي الله عنهم . وجعلَ محمدَ بن مسلمة أَميراً على المجموعة !

وأَمَرَ رسولُ الله ﷺ ابنَ مسلمة أَنْ يتوجَّهَ بإِخوانه جهةَ نجد ، وأَنْ يُؤَدِّبَ بني بكر بن كلاب ، الذين كانوا يُقيمون في المنطقةِ بين مكة ونجد ، وكانوا يُعلنون العداوةَ للمسلمين ، ويتعرضونَ إِليهم بالأَذى . . وأَنْ يصلوا إِلى ثُمامة بن أُثال ، ويُحاولوا التمكُّنَ منه وأَسْرَه وإِحضارَه إِلى المدينة ! ! .

وأَمر رسولُ الله ﷺ محمدَ بنَ مسلمة رضي الله عنه بأَنْ يأخذَ جانبَ الحذر ، ويَحرصَ على أَنْ لا يعلمَ الأَعداءُ بهم ، ولتحقيقِ ذلك أَمَرَهُ أَنْ يسيرَ في الليلِ حيثُ لا يراهمُ الناس ، وأَنْ يكْمُنَ بإِخوانه في النهار ، لئلا يراهم الناس !

وَدَّعَ رسـولُ الله ﷺ محمدَ بن مسـلمة وإِخـوانَه المجاهدين ، وأَوصاهم بتقوى الله . . وسار ابنُ مسلمة بإِخوانه جهةَ نجد ، قاصداً بني بكر بن كلاب !

وصلَ ابنُ مسلمة وإِخوانُه إِلى هدفهم . ولما أَشرفوا على مضارب بني بكر أَرسلَ ابنُ مسلمة عَبّاد بنَ بِشْر ليستطلعَ الأَمر ، ويتعرفَ على الوضع . .

راقبَ عَبّـاد بن بشـر رضي الله عنـه مضاربَ القوم ، ورآهم وقـد رَوَّحوا ماشيتَهم ، ورووا إِبلهم ، وأَووا إِلى خيامِهم يستريحون . . فعادَ عَبّادٌ مسرعاً إِلى ابن مسلمة رضي الله عنهما يخبرُه الخبر .

علمَ ابنُ مسلمة أَنَّ الفرصةَ مناسبةٌ لمهاجمة بني بكر بن كلاب . . فأَصدرَ أَمره لإِخوانه المجاهدين الثلاثين بمهاجمةِ القوم !

مجموعة ابن مسلمة تهزم بني بكر وتنتظر ثمامة :

وماهي إلاّ لحظات، حتى فوجئ بنو بكر بالمجاهدين ينقضّون عليهم مُهاجمين مُحاربين . . ونشبتْ معركةٌ قصيرةٌ سريعة، نتجَ عنها مقتلُ عشرةٍ من بني بكر، وهروب الباقين، مخلِّفين وراءهم ماشيتَهم وأنعامَهم ودوابَّهم . .

وأَمَرَ ابن مسلمة إخوانَه المجاهدين أَنْ يستاقوا أَمامهم الماشيةَ والأنعام، وأَنْ يتوجَّهوا بها غنيمة نحو المدينة!

وبعدَ أَنْ حققَ ابنُ مسلمة المرحلةَ الأُولى من مهمتِه الجهادية بنجاح وتوفيق من الله، بقيَ عليه أَنْ يحققَ المرحلةَ الثانية، وهي محاولةُ التمكُّن من ثُمامة بن أُثال .

كان ثُمامةُ وسطَ قومِه بني حنيفة في اليمامة، يمنّي نفسه بغزوِ المدينة، واليمامةُ ما زالتْ أَمامَ ابنِ مسلمة وإخوانِه! لأَنَّ بني بكر المهزومين على الطريقِ بين اليمامة ومكة!

فكيفَ يتصرفُ ابنُ مسلمة! لقد غنموا أَعداداً كثيرةً من ماشيةٍ وأَنعامِ بني بكر، وسوقُها معهم نحو اليمامة مستحيل، لأَنَّ الرسولَ ﷺ أَمرهم بالحذر، والسيرِ في الليلِ والكمونِ في النهار! وهذا لا يتحققُ مع وجود الماشية!!

هل يُبقـونَ الماشية في موقعِها لحين عـودتِهم من اليمامـة؟ هل يكلفُ مجموعةً من إخوانِه بسوقِ الماشية إلى المدينة، ويسيرُ هو بمجموعةٍ أُخرى نحو ثُمامة في اليمامة؟

وبينما كانَ ابنُ مسلمة يقلبُ وجوهَ النظر مع إخوانه، ساقَ الله لهم ما لم يكن لهم بالحسبان!! .

توجه ثمامة لأداء العمرة والتحالف مع قريش :

ساقَ لهم ثُمامةَ بن أُثال سَوْقاً، وأَحضره لهم إحضاراً، وأَتى به إليهم!

تـركَ ثُمامة بن أُثال رجالَه وجنودَه من بني حنيفـة وغيرهم في اليمامـة، يتأهَّبون لغزوِ المدينة، وطلبَ منهم أَنْ يتريثوا قليلاً، وأنْ ينتظروه لحينِ عودتِه من مكة . .

توجَّه ثُمامة بن أُثال وحدَه من اليمامة إلى مكة، بهدفِ أداءِ العمرة!!

ومعلومٌ أنَّ الكفارَ في الجاهلية كانوا يتوجَّهون إلى بيتِ الله الحرام حاجّين أَو معتمرين، وهذا ورثوهُ عن دينِ إبراهيم عليه السلام.

أَرادَ ثُمامة بن أُثال أَداءَ العمرة! ولعلَّ هدفَه من ذلك أَنْ ينالَ بركاتِ (الرّبّ)، وتوفيقَه فيما هو مقدِمٌ عليه، من غزو رسول الله ﷺ بعد الانتهاءِ من العمرة!! ولعلَّهُ أَرادَ الاجتماعَ بزعماءِ قريش بعد أَدائِه العمرة، وتنسيقَ الأَمرِ معهم، فيما هو مقدمٌ عليه من غزوِ المدينة!

المهمُّ أَنه غادرَ (اليمامة) وحيداً متوجِّهاً إلى مكة!

وهو سيمرُّ في طريقه على مضاربِ بني بكر بن كلاب، لأَنهم على الطريقِ بين اليمامة ومكة.

سـارَ ثُمامة بن أُثال في طريقه وحيداً، وهو لا يدري ما الذي ينتظره في الطريق!

لايدري ابن أُثال أَنَّ محمدَ بن مسلمة في الطريق، ومعه ثلاثون من إخوانِه المجاهدين! لا يدري أَنَّ المجاهدين قضوا على بني بكر، وأَقاموا مكانهم فترةً من الزمان قبلَ عودتِهم بالماشيةِ إلى المدينة!

ولعلَّ ثُمامة بن أُثال كان يفكِّرُ في المعركةِ القادمة التي ستكون بينه وبين الرسـول ﷺ بعد عودتِه من العمرة، وكان يُمَنِّي نفسَه بالانتصارِ فيها، ويتخيَّلُ انتصارَه وقتله للمسلمين، وأَخذه الأَسرى منهم . . .

ووصلَ إلى مضاربِ بني بكر بن كلاب! وفوجئ بما يَرى.

وجدَ نفسَه في قبضةِ ابنِ مسلمة وإِخوانِه المجاهدين!

مجموعة ابن مسلمة تأسر ثمامة وتأخذه إلى المدينة:

رأَوه قادماً من بعيد، ولما وصلَهم أَحاطوا به، وأَلقوا القبضَ عليه، ولما تحقَّقوا من هويته فوجئوا بذلك، وشكروا الله على تدبيرِه الأُمور.. إِنهم يبحثونَ عن ثُمامة، وهاهو يأتيهم الله به! إِنهم يفكرون في كيفيةِ الوصول إِليه في اليمامة، والتغلبِ على المعوِّقاتِ والعقبات، وهاهو يُحضره الله إِليهم بدون جهد!

سبحان الله! الذي يدبرُ الأُمور والأَحداث، وفقَ حكمتِه سبحانه، وليحققَ إِرادتَه عز وجل! وما سوقه ثُمامة بن أُثال إِليهم على هذه الصورة المفاجئة، وبهذه الكيفية العجيبة إلاّ دليلٌ على ذلك!

حمدوا الله وشكروه، على ما أَنعمَ به عليهم.

لقد أَمرهم رسولُ الله ﷺ بأَسْرِ ثُمامة بن أُثال إِنْ تمكَّنوا منه، وليس قتلَه، وهذه حكمةٌ تظهرُ لنا فيما بعد!

فوجئ ثُمامة بن أُثال بالرجالِ الغرباء يُحيطون به. وقالَ له ابنُ مسلمة: أَنت ثُمامة بن أُثال. الحمدُ لله الذي أَمكننا منك، وجعلَك بين أَيدينا بلا عقدٍ ولا عهدٍ ولا ذمة!!

قالَ لهم: مَن أَنتم؟

قالوا: نحنُ أَصحابُ رسول الله ﷺ! جئْنا هنا للقبضِ عليك! وها أَنتَ في قبضتنا!

لم يُصدقْ ثُمامةُ ما يَجري! أَهؤلاء هم أَصحابُ رسول الله ﷺ؟ أَنا أُعِدُّ الجيشَ لغزوِ المدينة وقتالِهم، وأُمَنّي نفسي بذلك بعد فترة؟ وها أَنا أَقعُ بين أَيديهم وحيداً، ليس معي جيش! أَينَ أَحلامي وخطَّتي ومواجهتي؟ أَينَ الجيشُ والمعركةُ القادمة الفاصلة؟ لقد تبددَ كلُّ هذا وتلاشى! وها أَنا أَسيرٌ بيدِ هؤلاء

الذين سيذهبون بي إلى نبيِّهم وسيقتُلُني! لقد انتهى كلُّ شيء!

أَخذت المجموعةُ المجاهدةُ ثُمامة بن أُثال أَسيراً، وساقوه معهم مخفوراً إِلى رسول الله ﷺ، واسْتاقوا معهم ما غنموه من ماشيةِ بني بكر بن كلاب. . وعادوا سالمين غانمين مفلحين إِلى المدينة!

ولما وَصلوا المدينة (خَمَّسَ) رسولُ الله ﷺ الغنائم، وقَسَّمَها كما أَمره الله سبحانه وتعالى.

ولما رأَى عدوَّه ثُمامةَ أَمامه موثوقاً أَسيراً حمدَ الله، الذي أَمكنه منه، وردَّ كيدَه إِلى نحره، وأَبطلَ خطته. .

الرسول يربط ثمامة في سارية المسجد النبوي:

أَمَرَ رسولُ الله ﷺ بربطِ ثُمامة بن أُثال في عمودٍ من أَعمدة المسجد، وحبسِه فيه!

ثُمامةُ كافرٌ مشرك، ومع هذا أَمَرَ ﷺ بربطه في المسجد! أَليس هذا الفعلُ دليلاً على أَنه يجوزُ للكافر أَنْ يدخلَ في المسجد ويكونَ فيه إِذا دعت الحاجة، أَو اقتضت المصلحةُ ذلك؟

ولعلَّ الرسولَ ﷺ أَرادَ أَنْ يؤثِّر في ثَمامة، وأَنْ يجعلَه قريباً من الإِسلام، ولذلك لم يُسارعْ إِلى قتله، ولو قتلَه لكانَ مُحِقّاً، لأَنَّ ثُمامة يُعِدُّ الجيشَ لقتاله، وقد أَوقعهُ الله بأيدي المجاهدين وهو محاربٌ مهدورُ الدم! ولكنَّ الرسولَ ﷺ لم يأْمر بقتله، كما أَمَرَ بقتلِ المحاربِ الآخر سفيانَ بن خالد الهذلي، ولعلَّه أَرادَ أَنْ يكسبَ قبيلةَ بني حنيفة الكبيرة القوية، أَو أَنْ يُحَيِّدَها على الأقل! ولذلك أمرَ بأَسرِ زعيمها ولم يقتلْه!!

ولماذا ربطَه في المسجد؟

إِنه يريدُ أَنْ يريه صلاةَ المسلمين الذين يُبغضُهم ويحاربُهم، ويُعَرِّفَه على

دينهم، إنه يعاديهم الآن لأَنه لا يعرفُ شيئاً عنهم! ومَنْ جهلَ شيئاً عاداه!! ولعلَّ وجودَه في المسجد أَسيراً مربوطاً يُقربُه من المسلمين!

وكأَنَّ ثُمامةَ كان يتوقعُ أَنْ يسارعَ الرسولُ بقتلِه، ولو فعلَ لحقَّ له ذلك، ولذلك فوجىءَ بربطه في عمودِ المسجد! فما معنى هذا؟ هل سيقتلُه رسولُ الله ﷺ بعدَ ذلك؟ أم سيعفو عنه؟ لا يدري ثُمامة شيئاً.

الرسول يأمر بالإحسان إلى ثمامة الأكول:

تعاملَ رسولُ الله ﷺ مع عدوِّه اللدود ثُمامة الأَسير بأَخلاقِ الإسلام، إنه الآن أَسيرٌ عاجزٌ عن التصرف، لا يملكُ لأَمرِ نفسه شيئاً، وإِنَّ الإسلامَ يدعو إِلى إِكرام الأَسيرِ والإحسان إِليه!

لذلك أَوصى رسولُ الله ﷺ أَصحابَه بالإحسانِ إِلى الأَسير، وقال لهم: هذا أَبو أُمامة، ثُمامةُ بنُ أُثال الحنفي، سيدُ بني حنيفة، فأَحْسِنوا إِسارَه وأَكرموه!

وتلقى الصحابةُ الأَمْرَ بالتنفيذِ الفوري، فأَحْسَنوا إِلى أَسيرِهم عدوِّهم اللَّدود، وأَكرموه غايةَ الإكرام، رغم علمِهم بعداوته! لأَنه الآن أَسيرٌ بين أَيديهم، لا قوةَ له ولا خطر منه!

كان ثُمامة (أَكولاً) يأكلُ كثيراً، لا تكفيه وجبةُ واحدِ ولا اثنين ولا أَكثر!!

أَمَرَ ﷺ أَهلَه أَنْ يجمعوا ما عندهم من طعام، وأَنْ يُقدموه للأَسير، فأَكله كُلَّه. فأَمَرَ الصحابةَ أَنْ يقدموا له طعاماً، فأَكَلَه.

فقالوا: إنه لا يكادُ يُبقي شيئاً، ولا يَشبع!

فقال: أَحْسِنوا إِلى أَسيركم!

فأَحْسَنوا إِليه، واستمرّوا يقدمونَ له الطعام، وهو يبتلعُ ما يُقَدَّمُ له، ولايكادُ يشبع! ومعلومٌ أَنَّ طعامَ الصحابة قليل، وهذا الأَسيرُ يحتاجُ إِلى طعامٍ كثير! لكنهم كانوا يُقدِّمون له حاجتَه من الطعام، لا يَبخلون عليه منه بشيءٍ!

وكان لرسول الله ﷺ ناقةٌ لَقْحَةٌ تَحْلِبُ الحليب، فأَمر رسولُ الله ﷺ بأَنْ يسقيَ أَهلُه ثُمامةَ حليبَ الناقة صباحاً ومساءً! وكان يشربُ ما يُقَدَّمُ له من الحليب!!.

الحوار بين الرسول وثمامة:

وفي اليومِ التالي مَرَّ رسولُ الله ﷺ بثمامة المقيَّدِ في المسجد، فقال له: ماذا عندَك يا ثُمامة؟

فوجىء ثُمامةُ بالسؤال! وهو ذكيٌّ فطنٌ وليس غبياً ساذجاً! لعلَّ توجيهَ هذا السؤالِ له دليلٌ على أَنَّ الرسولَ ﷺ ليس راغباً في قتله! وإِنما سيتصرفُ معه تصرُّفاً آخر.

أَجابَ ثُمامةُ على السؤال جواباً حكيماً، فقال: عندي خيرٌ يا محمد: إِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذا دَم! وإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ على شاكر! وإِنْ كنتَ تريدُ المالَ فَسَلْ، تُعْطَ منه ما تشاء!!

خَيَّرَ ثُمامةُ ـ بحكمة ـ رسولَ الله ﷺ في التصرفِ المناسب، وقَدَّمَ له ثلاثَ خصال، أَيَّ خصلةٍ يَختارُها يكونُ محقّاً:

إِنْ أَرادَ أَنْ يقتلَه فلْيقتلْه، ولا تثريبَ عليه في ذلك، فهو محقٌّ في قتْلِه، لأَنَّ ثُمامةَ هو الذي بدأَ بإِعلانِ الحربِ على الرسول ﷺ! ولو ظفرَ هو به لقتَلَه. إِنه يقتلُ ذا دمٍ لو أَراد ذلك، ويكون قتْلُه جزاء!!.

وإِنْ لم يردْ قتْلَه فهذا كرمٌ منه، وتنازلٌ عن حقِّه في قتله.

إِنْ مَنَّ عليه وأَطلقَ سراحَه، وأَعادَه إِلى قومِه، فهذا تفضُّلٌ وكرمٌ منه، وهو لن ينسى هذه اليدَ لرسولِ الله ﷺ، سيبقى يذكُرُها له بالثناء وسيشكره عليها، وهو شاكرٌ للفضلِ والكرمِ والمنَّة!

وإِنْ أَرادَ إِطلاقَ سراحِه مقابلَ مالٍ يدفعُه، وفديةٍ يفتدي نفسَه بها، فلْيطلبْ

من المالِ ما شاء، لأَنَّ ثُمامةَ غني، وعنده مال كثير، وأيُّ مبلغٍ من المالِ يطلبُه رسولُ الله ﷺ منه مقابلَ إِطلاقِ سراحه فسيأْخُذُه!!.

وتدلُّ هذه الخصالُ الثلاثةُ التي ذكرها ثُمامةُ على رجاحةِ عقله، وحسنِ تفكيره.

تركَهُ رسولُ الله ﷺ مقيّداً في المسجد، وهو يسرحُ مع أَفكاره وهواجسه..

تأثر ثمامة بإحسان المسلمين إليه:

وعادَ إِليه في اليومِ التالي، فسأَلَه نفسَ السؤال: ماذا عندَك يا ثمامة؟

أَجابَهُ ثُمامة قائلاً: ما قلتُ لك يا محمد: إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ على شاكر، وإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذا دَم، وإِنْ كنتِ تريدُ المالَ فَسَلْ، تُعْطَ منه ما تشاء!!

وكأَنَّ ثُمامة لاحظَ بذكائِه أَنَّ الرسولَ ﷺ لا يريدُ أَنْ يقتُلَه، إِذْ لو أَرادَ قتْلَه لقتَلَه بالأَمس! ولهذا قَدَّمَ المَنَّ في جوابه، بينما قَدَّمَ بالأمس القتل!

قالَ بالأَمس: إِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذا دَم، وإِنْ تَمْنُنْ تَمْنُنْ على شاكر!

بينما قال اليوم: إِنْ تَمْنُنْ تَمْنُنْ على شاكر، وإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذا دَم!!.

فتركَهُ رسولُ الله ﷺ. ودخلَ اليومَ الثالث!

واصَلَ الصحابةُ إِكرامَ الأَسير، وتقديمَ الطعامِ والشرابِ له، وهو يلتهمُ معظمَ ما يُقَدَّمُ له من الطعام، وهم يُقَدِّمونَه له، لم يَبخلوا عليه بشيء منه، حتى لو أَدّى إِلى نَقْصِ طعامِهم!

وأَثَّرَ هذا الإِكرامُ والإِحسانُ في نفسِ ثُمامة، فهاهم أَعداؤُه يُحسنون إِليه، ويُؤْثِرونَه على أَنفسهم، مع حاجتِهم وخصاصتِهم!! والذي دَعاهم إِلى هذا الإِحسانِ والإِكرام هو رسولُهم الكريم ﷺ، وأَخلاقُهم العالية التي التزمَتْ بدينهم!

كذلك تأثَّرَ ثُمامة بالصحابة وهم يأْتون إِلى المسجدِ لصلاة الجماعة، وتأثّرَ بصلاتِهم الخاشعة خلْفَ رسولِ الله ﷺ.

ولعلَّه راحَ يُسائِلُ نفسَه: هاهم مُحسنون كرماء! وهاهو رسولُهم كريمٌ معي! مع أَني عدوُّهم الذي يجمعُ لهم الجيشَ لقتالهم! وهاهي أَخلاقُهم وأَفعالُهم طيبة! فلماذا أُعاديهم؟ أَلا يمكنُ أَنْ يكونوا هم على صواب وأَنْ أَكونَ أنا على خطأ؟ أَلا يمكنُ أَنْ يكون دينُهم هو الصحيح؟.

وصارَ يفكرُ كثيراً في هذه المسائل، وهو يرى الصحابةَ أَمامه، ويأْسرُهُ كرمُهم وإِحسانُهم، أَكثر مما تأْسرُهُ حبالُهم التي تقيدُ يديْه!!

وفي اليومِ الثالث مَرَّ به رسولُ الله ﷺ، وأَعادَ طرحَ السؤالِ السابق عليه: ماذا عندك يا ثمامة؟

وأَعاد ثمامةُ الجوابَ نفسه: عندي خيرٌ يا محمد: إِنْ تَمْنُنْ تَمْنُنْ على شاكر، وإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذا دَم، وإِن كنتَ تريدُ المال فَسَلْ، تُعْطَ منه ما تشاء.

وكأَنَّ الرسولَ ﷺ لاحظَ علاماتِ التأثرِ على كيانِ ثُمامة، وأَنه لم يَعُدْ على عداوتهِ السابقة للمسلمين، وأَنه وعى هذا الدرسَ الذي مَرَّ به جيداً. . .

ولو أَمَرَ الرسولُ ﷺ بقتْلِ ثُمامة لكان محِقاً، لأَنه يستحقُّ القتل، بسببِ ما قامَ به من تجهيزِ الجيشِ لغزوِ المدينة، ولكنَّ الرسولَ ﷺ يريدُ أَنْ يُسامحَ ويتنازلَ عن هذا الحقِّ كَرَماً منه، ليكسبَه ويكسبَ قومَه بني حنيفة!

ولو أَرادَ الرسولُ ﷺ أَخْذَ الفداءِ منه، وإِطلاقَ سراحه مقابلَ مالٍ يدفعه، لكانَ على صواب، لأَنَّ الله أَذِنَ له أَنْ يأخذَ الفداءَ من الأَسرى، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ . . . ﴾ [محمد: ٤].

لكنه ما أَرادَ هذا، حتى لا يُساءَ فهمُ تصرُّفه.

الرسول يعفو عن ثمامة ويطلق سراحه :

اختارَ رسـولُ ﷺ الخيارَ الثالث : وهـو المَنُّ عليه وإِطلاقُ سراحه بدون مقابل !

وذلك ليؤلِّفَ قلْبَه ! ويؤلِّفَ بذلك قومه ، ويكسبَهم إِلى جانبه . . فقد وعدَهُ ثُمامة أَنْ يشكرَ له تفضُّلَه عليه بإِطلاقِ سراحه : «وإِنْ تَمْنُنْ تَمْنُنْ على شاكر» .

عندما يُطلقُ سراحُه مَنّاً بدون مقابل سيعودُ إِلى قومِه شاكراً شاعراً مادحاً ، سـيُثْني على رسـولِ الله ﷺ والمسـلمين ، وسيحدِّثُ قومَه عندما يعودُ إِليهم بما أَكرمه به المسلمون ، وسيؤثِّرُ هذا المدحُ والشكرُ منه في قومه ، وينحازونَ إِلى جانب المسلمين ! ، إِذنْ مصلحةُ المسلمين تقتضي أَنْ يطلقَ سراحُه بدون مقابل !

دخلَ رسولُ الله ﷺ المسجدَ ومعه أَصحابه ، وقال لثُمامة : لقد عفوتُ عنكَ يا ثُمامة !

ثم قالَ ﷺ لأَصحابه : أَطْلِقوا سراحَه ، ليعودَ إِلى قومِه سالماً !

وأَقبلَ الصحابةُ على قيودِ ثُمامة ففكّوها . . وأَطلقوا سراحَه ، ووقفَ يتحركُ بينهم حراً طليقاً ! ! .

شكرَ ثُمامةُ لرسول الله ﷺ فضْلَه وكَرَمَه ، وشكرَ للصحابة إِحسانَهم إِليه ، وأَخَذَ متاعَه ، وخرجَ من المسجد ، وودَّعَ الرسولَ ﷺ وأَصحابَه . . . وغادرَ المدينةَ حراً مختاراً .

عودة ثمامة إلى المسجد وإعلان إسلامه :

شَيَّعَ الصحابةُ ثُمامةَ بنَ أُثال بنظراتهم ، وهو يمشي وئيدَ الخُطى . . حتى غابَ في بساتين المدينة ، متوجِّهاً إِلى اليمامة .

وما هي إِلافترةٌ قصيرة . . حتى فوجئوا بثمامةَ نفسِه قادماً إِليهم ! ! .

ما الذي جاءَ بك يا ثُمامة؟ لقد كنتَ أَسيراً عند هؤلاء؟ وأَقصى ما يريدُه

الأَسيرُ هو المنُّ عليه بإطلاقِ سراحه دونَ مقابل! وهذا ما فَعلوه بك، وخرجْتَ من المدينة حراً مختاراً! فلماذا لم تتابعْ سيرَك إلى اليمامة؟ ولماذا رجعتَ إليهم؟

وإذا ثُمامةُ قد غَيَّرَ موقفَه.. فلمّا غادرَ بيوتَ المدينة، وصارَ بين البساتين، وأَيقنَ أَنه الآنَ حُرُّ التصرف، يفعلُ ما يشاء، ويختارُ ما يُريد، ولا يُكرهه أَحَدٌ على شيء.. وجدَها فرصةً مناسبة لإعلانِ إسلامه، ودخولِه في الدين الحق، الذي يدينُ به هؤلاء الرجالُ الكرماءُ المحسنون، واتِّباعِه هذا النبيَّ الكريمَ ﷺ.

لذلك بحثَ ثُمامةُ عن عينِ ماءٍ وسطَ النخيل، واغتسلَ وتطهر، وغَيَّرَ ملابسه، ولبسَ الملابسَ البيضاءَ الجميلة، وأَحسنَ هندامَه.. ورجعَ إلى المدينة ليلتقي برسول الله ﷺ...

دخلَ ثمامةُ المسجد، وكان فيه رسولُ الله ﷺ ومجموعةٌ من الصحابة.. فحيّاهم ثُمامةُ بإلقاءِ السلام عليهم.. وردوا تحيتَه بأَحسنَ منها..

ثم فوجئوا به، وهو يعلنُها عاليةً واضحةً صريحة: أَشهدُ أَنْ لا إِله إلاّ الله، وأَشهدُ أَنَّ محمداً رسول الله!!

كَبَّرَ الصحابة، حامِدين شاكرين الله.. فهاهو أَبو أُمامةَ ثُمامةُ بن أُثال أَمامهم، وهاهو مسلمٌ معهم، وهو مَنْ هو في قومه، زعيمُ بني حنيفة، وسيدُ أَهل اليمامة.. إنَّ إسلامَه انتصارٌ كبيرٌ للإسلام، ونفعٌ عظيمٌ للمسلمين.

وقامَ الصحابةُ إلى أَخيهم المسلم ثُمامةَ يعانقونه بحرارة، ويعاملونَه بأخوةٍ ومودةٍ ومحبة!

لماذا لم يعلن إسلامه أثناء حبسه؟:

وسأَله أَحدُ إخوانه: يا أَبا أُمامة: لقد كنتَ مربوطاً في المسجد، وبما أَنَّكَ كنتَ مقتنعاً بالإسلام وتريدُ أَنْ تسلم، فلماذا لم تُعلنْ إسلامَك وأَنتَ معنا في المسجد قبلَ إطلاقِ سراحك؟ ولماذا انتظرتَ حتى غادرْتَ المدينة؟

أَجابهم أَخوهم جواباً دالاً على فطنتِه وحكمتِه وبُعْدِ نظرِه: لو أَعلنتُ إسلامي وأَنا مقيَّدٌ أَسير فأَخشى أَنْ يُساءَ تفسيرُ إسلامي، فقد يذهبُ بعضُهم إِلى أَنَّ إِسلامي لم يكنْ عن قناعةٍ واختيار، وإِنما عن إِكراهٍ واضطرار، وقد يقولون: أَسلمَ ثُمامةُ لأَنه أَسيرٌ بين أَيدي المسلمين، خوفَ أَنْ يقتلوه، فإِسلامُه لينقذَ نفسه!

ولهذا أَخَّرْتُ إِسلامي إِلى حين إِطلاقِ سراحي، وتمتُّعي بكاملِ حريتي، ومغادرتي المدينةَ حراً مختاراً!

لقد تأَثرتُ بكم وبإِسلامكم منذُ اليومِ الأَولِ لسجني في المسجد، وأَيقنتُ أَنَّ محمداً ﷺ هو رسولُ الله فعلاً، وأَنَّ دينَكم هو الدينُ الحق.. وكنتُ أَتمنّى أَنْ يُطلقَ رسولُ الله ﷺ سراحي، لأُعلنَ إِسلامي، وكم كنتُ أَخشى أَنْ يقتلَني، وبذلك يحرمُني من هذه النعمة! ولكنَّ الله اختارَ لي الخير، والحمدُ لله رب العالمين!

وتحليلُ ثُمامة لطيف، وتبريرُه لتأْخيرِ إِسلامه إِلى حينِ نَيلِ حريته رائع، وهذا دليلُ صدقِه في إِسلامه، وحرصه على حسنِ تفسيرِ موقفه، وعلمِه بأَنَّ الإِسلام لا يكونُ بالإِكراه، وإِنما يكونُ بالاختيار والقناعة والرضا.. وصدق الله القائل: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ... ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

ثم وجَّهَ ثُمامةُ كلامَه إِلى رسول الله ﷺ قائلاً: يا رسولَ الله: والله ما كان على وجْهِ الأَرض وجْهٌ أَبغضُ إِلَيَّ من وجهك! وقد أَصبحَ وجْهُك أَحَبَّ الوجوهِ كلِّها إِليّ!

يا رسولَ الله: والله ما كان من دينٍ أَبغضَ إِلَيَّ من دينِك، وقد أَصبحَ دينُك أَحَبَّ الدينِ كلِّه إِليّ!!

يا رسولَ الله: والله ما كان من بلدٍ أَبغضَ إِلَيَّ من بلدِك، وقد أَصبحَ بلدُك أَحَبَّ البلادِ كلِّها إِلَيّ!!!.

يا سبحانَ الله كيف شرحَ صدرَ ثُمامة للإِسلام، وبذلك تحوَّل إِلى إِنسانٍ

جديد . . تحوَّلَ كرهُه إلى حبٍّ، وبغضُه إلى وُدّ، وعداوتُه إلى أُخوة! .

بالأَمسِ كانَ شـديدَ العداوةِ لرسـول الله ﷺ والمؤمنين، يجهزُ الجيوشَ للقضاءِ عليهم، واليومَ صارَ أَخاً محباً لهم، جندياً لهذا الدين مثلَهم . .

وصدقَ الله العظيمُ القائل: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ٧].

ثمامة يقلل طعامه بعد إسلامه:

أَنِسَ الصحابةُ بـأخيهم الجديد، وفرحـوا بإِسـلامه كثيراً، وجَلسوا معه يحدثونه بأُخوةٍ ومودة، ولما حانَ وقتُ الصلاة صلَّى معهم بخشوع.

وجاءَ وقْتُ الغداء، وهم الآن سيأكلون معه . . إِنهم يعرفونَ ثُمامة (أَكولاً) يقدَّمُ له الكثيرُ من الطعام فيأْكله!

وقد راعوا هذا عندما قَدَّموا له الطعام. فوضَعوا بين يديه الكثيرَ من الطعام، والكثيرَ من اللبن! وفي ظنِّهم أنه لن يُبقيَ منه شيئاً!! .

ولكن ثُمامةَ رضي الله عنه فاجأهم مفاجـأةً جديدة! قَدَّمَ يدَه إلى الطعام، وسَمّى الله، وأَكَلَ لُقيمات من الطعام، ثم مَدَّ يَدَه إلى اللبن وسَمّى الله، وشربَ منه قليلاً من الشراب . . ثم حمدَ الله، ورفعَ يده عن الطعام!! .

فوجِئ الصحابةُ بأكلِ ثُمامة، ونظروا إلى طعامه وكأَنه لم ينقصْ منه شيء! فاستغربوا، وأَخبروا رسولَ الله ﷺ بذلك! .

فقالَ ﷺ: مِمَّ تعجبون؟ تَعجبون من رجلٍ أَكَلَ في أَوَّلِ النهار في (مِعَى) كافر، وأَكَلَ في آخرِ النهار في (مِعى) مسلم؟ إِنَّ الكافرَ يأكلُ في سبعةِ أَمعاء، وإِنَّ المسلم يأكل في (مِعىً) واحد!! .

و(المِعَى) هو (المصْرانُ)، مفردُ الأَمعاءِ، وهي المصارين! .

ولا يُرادُ من هذا الحديث ظاهره، فلا يَملكُ المسلمُ معىً واحداً فقط، بينما يملكُ الكافرُ سبعةَ أَمعاء حقيقية!!.

إنَّ الجهازَ الهضميَّ واحدٌ لجميع البشر، لا فرْقَ في هذا بين مسلمٍ وكافر، لكلِّ إنسانٍ فمٌ ومريءٌ وبلعومٌ ومعدةٌ وأَمعاء.. وعددُ الأَمعاءِ الدقيقة والغليظة واحدٌ عند الجميع!.

إنَّ المرادَ من الحديث نَهَمُ الكافرِ للطعام في مقابلِ قناعةِ المسلم أَمامه. الكافرُ يعيش ليأكل!! ويلتهمُ الطعامَ بنهمٍ كبير، ويحرصُ على أَنْ يحتويَ على أَكبرِ كميةٍ ممكنة منه! لأنَّ الأكلَ عنده هدفٌ بحدِّ ذاته، ولا يؤمنُ بحياةٍ أُخرى غيرِ هذه الحياة، فليحصلْ على أَكبرِ كميةٍ ممكنة من طعامِها وشرابها وملَذَّاتها وشهواتها.. وعندما يأكُل الكافر فكأَنه يُدخلُ الطعامَ في سبعة أمعاء!.

أَما المسلمُ فإنه يتعاملُ مع الطعام بقناعةٍ واعتدال، يأخذُ منه حاجته، ويكفيه منه لقيماتٌ يقمْنَ صلْبَه، ولهذا يأكلُ ويشربُ بدونِ إسراف، وهو يطبقُ عملياً قولَ الله سبحانه: ﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[الأعراف: ٣١] وكأنه بهذه القناعة يأكل في معى واحد!!.

وهذا ما حصلَ من أَبي أُمامة ثُمامة بن أُثال رضي الله عنه!.

وبعد ما أَقامَ ثُمامةُ في المدينة أَياماً، آمناً مطمئناً بين إخوانِه المسلمين، حانَ موعدُ عودتِه إلى اليمامة!.

ثمامة يتوجه إلى العمرة ويجهر بالتلبية الإسلامية:

وقَبلَ أَنْ يُغادرَ المدينةَ استأْذنَ رسولَ الله ﷺ، واستشارَه قائلاً: يا رسولَ الله: إنَّ خيلَكَ أَخذتْني وأَنا أُريدُ العمرة، فماذا ترى؟ هل أَعتمرُ أَم لا؟

بشَّره رسولُ الله ﷺ بالخيرِ والفلاحِ والجنة، فقد آمنَ بالحق، ودخلَ في الإسلام، وحازَ بذلك خيرَ الدنيا والآخرة.. ثم أَذنَ له في أَداءِ العمرة!!

خرجَ ثُمامةُ بن أُثال رضي الله عنه من المدينة إلى مكة، مُحْرِماً بالعمرة. . ولا ننسى أَنَّ زعماءَ قريشٍ كانوا حلفاءَ له، يَزورونَه ويُحالفونه ويؤيِّدونه! . هذا كانَ في الماضي قبلَ أَنْ يُسلمَ ثُمامة! فماذا سيفعلُ معهم الآن بعدما أَسْلمَ! .

كان ثُمامةُ رضي الله عنه يُلبي طيلةَ سيرهِ من المدينة إلى مكة! .

ووصلَ مكـةَ وهو مُحرم، ولما دخلَها رفعَ صوتَه بالتلبية، ليَسمعَ مَنْ لم يكنْ قد سمع: لبيكَ اللهمَّ لبيك، لبيكَ لا شريكَ لك لبيك، إنَّ الحمدَ والنعمةَ لك والملك، لا شريكَ لك!

سـمعَ زعماءُ قريـش في مكة تلبيتَـه بصوتٍ مرتفع، وفكَّروا في مفرداتِ تلبيته، إنها ليستْ كتلبيتِهم الجاهلية: لبيك اللهمَّ لبيك، لبيكَ لا شريك لك، إلاّ شريكاً هو لك! تملكُه وما مَلَك!!

مَنْ هذا الذي يلبّي تلبيةً إسلامية؟ من هذا الذي يجهرُ بها بصوتٍ مرتفع، بغيرِ خوفٍ ولا مراعاة لهم؟ إنه حليفُهم بالأَمس ثُمامة بن أُثال الحنفي!! .

إذن: ثُمامـة قد أَسـلم، وهو الآنَ يـؤدي مناسـك العمرة، ويُسمعُهم ما يكرهون من التوحيدِ وذَمِّ الشرك.

ولهذا افتخرَ أَحَدُ شعراءِ بني حنيفة المسلمين بعدَ ذلك، مذكِّراً بهذا الموقفِ الإيمانيِّ من ثُمامة:

ومِنّـا الـذي لَبّـى بِمَكَّـةَ مُعْلِنـاً ... بِرَغْمِ أَبي سُفْيانَ في الأَشْهُرِ الحُرُمْ

وبعد ما أَدّى العمرةَ اجتمعَ عليه زعماءُ قريش، وقالوا له: يا أَبا أُمامة: لماذا صَبَوْتَ وغَيَّرْتَ دينَ آبائك الحق واتبعتَ دينَ محمدٍ الباطل؟

ثمامة يهدد قريشاً بمنع القمح عنهم:

فقالَ لهم: أَنا ما صبوتُ، ولكني أَسلمت، وصَدَّقْتُ محمداً ﷺ، وآمنتُ

به، لأَني رأيتُ أَني كنتُ على باطل، وأَنَّ الإسلام هو خيرُ دين. . فتركتُ ما كنتُ عليه من الباطل، واتبعتُ الحق!!.

غضبوا منه، وهَمّوا بقتله! وقالوا له: لقد اجترأْتَ علينا، وجهرتَ بالتلبية بيننا، ووالله ما فعلَها أَحَدٌ قبلَك! ولا اجترأَ علينا أَحدٌ غيرك!.

هَمّوا أَنْ يقتلوا حليفَهم بالأَمس! كانوا راضين عنه محبين له، لماكان مشركاً بالله عابداً للأَصنام، محارباً لرسول الله ﷺ! أَما الآنَ بعدما أَسلمَ واتبعَ الحقَّ فقد أَبغضوه وكرهوه، وأَرادوا قتْلَه!!. الذي حملَهم على هذا هو اتباعُهم للباطل وكراهيتُهم للحق!!.

ولكنَّ أَحدهم نصحهم بالكفِّ عن قتله، وعدمِ التعرضِ له، وقال لهم: يا قوم: كيف تقتلونَه وهو حليفُكم؟ سيدُ أهلِ اليمامة، وأَنتم تحتاجون إِليه في طعامكم! لأَنَّ القمحَ يأتيكم من قومِه بني حنيفة!.

فكَفّوا عنه مكرَهين، لئلا ينقطعَ مددُ الطعامِ عنهم من اليمامة!.

وبعدما أَدى مناسكَ العمرة، وفرغَ من زيارةِ البيت الحرام، وقبلَ أَنْ يغادرَ مكة، أَعلنَ لهم موقفَه الجديدَ منهم، ذلك الموقفَ المبنيَّ على الإسلام، فقالَ لهم: انتهى ما بيني وبينكم من تحالف! ووالله الذي نفسي بيده، لا تأتيكم من اليمامة حبةُ قمحٍ بعد اليوم، إلاّ بعدَ أَنْ يأذنَ فيها رسولُ الله، ﷺ!!.

الله أَكبر. إنَّ ثمامة ينطلقُ في ارتباطِه مع الآخرين من الإسلام، ويَجهرُ بالولاءِ والبراء على أَساسِ العقيدة. . بالأَمس كان حليفاً لقريش، يُحالفُهم في حربِ رسول الله ﷺ، ومِن أجلِ ذلك كان يُزودهم بقمحِ اليمامة، غذاءً وتمويناً لهم!.

أما الآنَ فقد أَسلم، والإسلامُ يطلبُ منه أَنْ يكونَ تحالفُه وولاؤُه لله سبحانه، وحبُّه لله، وبغضُه لله، فيُوالي مَنْ آمن بالله، ويُعادي مَنْ كفرَ بالله، ويتبرأُ من أَعداءِ الله، ولو كانوا أَولياءَه بالأَمس، ويحبُّ أَولياءَ الله، ولو كانوا أَعداءَه بالأَمس!!.

وهذا الموقفُ الإيمانيُّ الجديدُ في الولاءِ والبراء، دليلٌ على صدقِ إيمانِه، وحسْنِ فهمِه لهذا الدين!!

الرسول يأذن لثمامة بتزويد قريش بالقمح:

وغادرَ أَبو أُمامة ثُمامة بن أُثال الحنفي رضي الله عنه إلى قومِه بني حنيفة، ولما وصلَهم أَخبرهم بأَنه دخلَ في الإسلام، واتبعَ الحق، ودعاهم إلى الدخولِ في الإسلام، واستجابَ له كثيرٌ منهم، ودخلوا في الإسلام.

ونَفَّذَ تهديدَه ضدَّ قريش؛ فمنعَ توريدَ القمحِ إليهم، فاتَّصلوا به راجين راغبين، وطلبوا منه تزويدَهم بالطعام، فوجَّههم إلى رسول الله ﷺ، وقالَ لهم: لا تطلبوا ذلك مني، واطلبوهُ من رسول الله ﷺ، فما أَنا إلاّ جنديٌّ عنده، وإِنْ أَذِنَ بذلك فعلْتُ، ونَفَّذْتُ أَمره!.

فطلبَ منه رسولُ الله ﷺ أَنْ يُزوّدهم بالقمح! ففعل! رضي الله عنه وأَرضاه!.

* * *

المراجع:

١ ـ السيرة النبوية، لابن هشام: ٤/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

٢ ـ دلائل النبوة، للبيهقي: ٤/ ٧٨ ـ ٨١.

٣ ـ مغازي الواقدي: ٢/ ٥٣٤ ـ ٥٣٥.

٤ ـ الإصابة، لابن حجر: ١/ ٢٠١.

٥ ـ فتح الباري، لابن حجر: ٨/ ٨٧ ـ ٨٨.

٦ ـ أبطال عقيدة وجهاد، للدكتور أحمد الشرباصي، ص١٣ ـ ٢٤.

* * *

(٧)
عمرو بن أمية الضَّمْري
في مهمة لاغتيال أبي سفيان زعيم مكة

أبو سفيان يتآمر ضد الرسول ﷺ:

في الفترةِ الواقعةِ بين غزوةِ الأَحزاب في السنةِ الخامسة، وصلحِ الحديبية في نهايةِ السنةِ السادسة، تصاعَدَتْ المواجهةُ بينَ المسلمين وبين قريش، ووقعتْ حوادث كثيرةٌ في السنة السادسة، التي شهدتْ كثيراً من حوادثِ المواجهةِ بين المسلمين والمشركين، و(شَكَّلَ) فيها رسولُ الله ﷺ كثيراً من السرايا والمجموعاتِ الجهادية، لتقومَ بعملياتٍ جهاديةٍ جريئةٍ ضدَّ الكفار!

في مطلعِ السنةِ السادسة تمكَّنَ الصحابيُّ عبد الله بن أُنيس رضي الله عنه من قتلِ الزعيمِ الكافرِ سفيانَ بن خالد الهُذَلي، بالقربِ من مكة، لأنه كان يُعدُّ جيشاً كبيراً لغزو المدينة، وبذلك تفرقَ جيشُه! وكانَ الهُذلي حليفاً لزعيمِ مكة أَبي سفيان.. وبذلك خسرَ أَبو سفيان حليفاً قوياً له.

وفي نفسِ هذا الوقتِ من السنةِ السادسة تمكنَ الصحابيُّ محمدُ بن مسلمة وإخوانُه رضي الله عنهم من خطْفِ ثُمامة بن أُثال الحنفيِّ سيدِ أَهل اليمامة، الحليفِ القويِّ الثاني لأَبي سفيان، الذي كان يُعدُّ جيشاً آخرَ لغزو المدينة، وبذلك تفرقَ جيشُه.. وانتهت الأَحداثُ بإِسلام ثُمامة بن أُثال رضي الله عنه، ومحاربته قريشاً حرباً اقتصادية، منعَ فيها عنهم القمح! وبذلك فقدَ أَبو سفيان الحليفَ الثاني له!.

إِنَّ أَبا سفيان زعيمَ مكة يخسرُ أَمامَ رسول الله ﷺ الموقعَ تلوَ الآخر، والجولةَ تلوَ الأُخرى! لأَنَّ اللهَ مع رسوله ﷺ، بالتوفيقِ والنصرِ والتأْييد!!.

أبو سفيان يرسل رجلاً لاغتيال الرسول ﷺ:

ولم يجدْ أَبو سفيان أَمامَه أَخيراً إِلاّ العملَ على (اغتيالِ) رسول الله ﷺ! بهذا يضمنُ التخلصَ منه!!.

أَبدى أَبو سفيان هذه الرغبةَ لنفرٍ من المستشارين المقربين الخلَّص ممنْ هم حولَه، وقال لهم: أَلا يوجد رجلٌ نثقُ به يقومُ باغتيالِ محمد! فإنه يمشي في الأَسواق ويَدخلُ ويَخرج، واغتيالُه أَمر سهلٌ ميسور! وعندَ ذلك ندركُ ثأْرنا منه، ونستريحُ منه!.

قالوا له: سنعملُ على تحقيق ذلك، ونبحثُ عن رجلٍ ماهرٍ ذكِيٍّ خبيرٍ بذلك.

بَحثوا عن رجلٍ خبيرٍ بالاغتيالات، وأَتوا به إِلى أَبي سفيان!.

دخلَ الرجلُ على أَبي سفيان في منزله، وحرصَ على أَنْ لا يَراهُ أَحد، واجتمعَ به اجتماعاً سرياً مغلقاً.. وتحدَّثا في اغتيالِ رسول الله ﷺ.

قالَ الرجلُ لأَبي سفيان: أَنا مستعدٌّ لاغتيالِ محمد، وأَقدرُ على ذلك، وعلى معرفـةٍ تامةٍ بالطريقِ والكيفيـةِ وحسنِ التخطيط.. وعندي خنجرٌ حادّ، خاصٌّ بالاغتيال، أَستطيعُ إِخفاءَه في ملابسي، دون أَنْ يراهُ أَو يشعرَ به أَحد! فإِنْ كنتَ يا أَبا سفيان عازماً على ذلك، فما عليكَ إِلاّ أَنْ تكلِّفَني به! وأَنا له!!.

قالَ له أَبو سفيان: أَنتَ صاحبنا، وأَنا أكلفُكَ بذلك!

واتفقا في تلك الجلسةِ السريةِ المغلقة على ذلك، وأَعطى أَبو سفيان الرجلَ بعيراً ونفقةً ومالاً مقابلَ ذلك.. وقبلَ أَنْ يخرجَ من بيته أَوصاه أَبو سفيان قائلاً: عليك بالمزيدِ من الحذر، وأَخْفِ أَمرك عن الناس، ولا تُخبْر به أَحداً، حتى لو كان من أَقربِ الناسِ إِليك! فإِنْ علمَ أَحد بذلك، فقد يُشيعُه ويصلُ إِلى محمد أَو أَحدِ أَصحابه!!

قالَ له الأَعرابي: لن يعلمَ بذلك أَحَدٌ غيري وغيرك!

خرجَ الأَعرابيُّ من بيت أَبي سفيان، وجَهَّزَ خنجرَه الخاص، وركبَ بعيرَه الذي أَعطاه إِياه أَبو سفيان، وتوجَّه نحو المدينة!

سارَ خمسَ ليالٍ من مكـةَ إِلى المدينة، وفي صباحِ اليومِ السادس وصلَ المدينـة.. وصارَ يسـأَلُ عن رسـولِ الله ﷺ، على أَنه رجلٌ أَعرابيٌّ جاءَ ليسلمَ ويتعلمَ أُمورَ الإِسلام!

فشل عملية اغتيال رسول الله ﷺ:

دخلَ الأَعرابيُّ المسجدَ النبوي، فلم يجدْ فيه رسولَ الله ﷺ، ولما سأَلَ عنه قيلَ له: قد توجَّهَ رسولُ الله ﷺ إِلى بَني عبد الأَشهل يزورهم..

خرجَ الأَعرابيُّ المسلَّحُ بالخنجرِ الخفيِّ يُخفيه داخلَ ملابسِه إِلى دارِ بني عبد الأَشهل، فوجَدَ رسولَ الله ﷺ في مسجدِهم يحدثُهم!

عقلَ الأَعرابيُّ راحلتَه وتوجَّه نحوَ المسجد.. ورآهُ رسولُ الله ﷺ مقبلاً من بعيد، فـأَوحىٰ اللهُ إِليـه بهذا الرجلِ ومهمتِـه الخسيسـة، وما جـرى بينَـه وبيـن أَبي سفيان!!

لذلك قالَ رسولُ الله ﷺ لأَصحابه قبلَ أَنْ يصلَ الأَعرابي: إِنَّ هذا الرجلَ يريدُ غدراً، والله حائلٌ بينَه وبين ما يُريد!!

علمَ الصحابةُ بهدفِ الرجل، وأَخذوا حِذرهم منه، وكان في مقدمتِهم أُسَيْدُ بنُ حُضَيْر رضي الله عنه!!

وقفَ الأَعرابيُّ على الرجالِ الجالسين، فسأَلَهم: أَيكم ابنُ عبدِ المطلب؟

فقالَ له رسولُ الله ﷺ: أَنا ابنُ عبد المطلب!

كان الرسولُ ﷺ جالساً بين أَصحابه! فأَقَبلَ عليه الأَعرابي، وانحنى عليه، كأَنه يريدُ أَنْ يكلِّمَه كلاماً سرياً، وهدفُه هو أَنْ يتمكَّن منه، ليستلَّ خنجرَه بسرعةٍ ويقتلَه به!

لكنَّه يفعلُ ذلك أَمامَ مشـهدٍ من الصحابةِ المنتبهين، وهذا من سـذاجتِه وغفلتِه!! فالصحابةُ عَرفوا هدفَه الخبيث، وزادَتْ درجةُ انتباهِهم ويَقظتِهم.

ولذلك ما أَن انحنى على الرسولِ ﷺ، وقبلَ أَنْ يمدَّ يدَه إِلى خنجره، حتى سحبَه أُسَيْدُ بن حُضَيْر رضي الله عنه من ثيابِه، وجبذَه جبذَةً شديدةً قويةً عنيفة، وصرخَ فيه قائلاً: تَنَحَّ عن رسولِ الله ﷺ!!.

فَسـحبَه عنه، وأَتبعَ أُسَـيْدٌ هذه الحركـةَ بحركةٍ أُخرى، حيثُ سـحبَه من (داخلةِ) إزاره، فَحُلَّتْ عقدةُ الإِزار! ولما حُلَّتْ عقدةُ الإِزارِ ظهرَ سلاحُه الخفي، الذي أَعَدَّه لاغتيالِ رسول الله ﷺ! ظهرَ خنجرُه الذي كان يزهو ويُفاخرُ به، قبلَ أَنْ يتمكَّنَ من استعمالِه!.

عند ذلك قـالَ الرسـولُ ﷺ لأَصحابِه مرةً ثـانيةً لِيَسمعَ هو قولَه: هذا رجلٌ غادر!.

أَلقى الصحابةُ القبض عليه، وصادَروا سلاحَه الفتّاك، وبذلك حمى الله رسولَه ﷺ، وعصَمَه من أَعدائِه، فمكَروا ومكَرَ الله، والله خيرُ الماكرين!!.

أُسقطَ في يدِ الأَعرابي، فهاهي مؤامرتُه لاغتيالِ رسولِ الله ﷺ قد فَشلتْ وأُحبطَتْ، وهاهو مقبوضٌ عليه بين أَيدي المسلمين!.

سارَعَ بخطابِ رسولِ الله ﷺ قائلاً: دَمي، دَمي، يا محمد!.

أَيْ: أَرجو منكَ أَنْ لا تسفكَ دمي، مع أَني أستحقُّ القتل، لكني طامعٌ في عفوك!!.

وصارَ أُسَيْدُ بنُ حُضَيْر رضي الله عنه يلببه بثيابه، ويشدُّه منها، ويحاسبُه حساباً شديداً، ليملأَه خوفاً ورعباً، ويعترفَ بما عنده!.

رسول الله يعفو عن الأعرابي ويعرض عليه الإسلام:

قالَ رسـولُ الله ﷺ للأعرابي: اصدقني: ما أنت؟ وما أَقـدمك؟.. فإِنْ

صدقْتَني فقد نفعَك الصدق! وإِنْ كَذَبْتَني هلكت، فإِنَّ الله قد أَطلعني على ما هممتَ به!

إِذَنْ الرسولُ ﷺ على علمٍ بكلِّ ما جرى بينَه وبين أَبي سفيان! مع أَنَّ ماجرى بينهما كان سرياً، في بيت أبي سفيان في مكة، ولم يعلمْ به أَحدٌ من البشر! فمن أَدرى محمداً به وهو في المدينة؟ إِنه الله! وهذا معناهُ أَنَّ محمداً هو رسولُ الله ﷺ!

قالَ الأَعرابيُّ لرسول الله ﷺ: أَقولُ وأَنا آمِنْ؟

قالَ رسولُ الله ﷺ: قلْ وأنتَ آمِنْ!

فأَخبره الأَعرابيُّ بتفاصيلِ القصة، منذُ أَن الْتقى بأَبي سفيان في منزله، واتفقا على تفاصيلِ العملية، إِلى أَنْ جاءَ المدينة!

أَمرَ رسولُ الله ﷺ أُسَيْدَ بن حُضَيْر رضي الله عنه بحبسِ الرجل الأَعرابي.

وفي صباحِ اليوم التالي دعا رسولُ الله ﷺ الأَعرابي، وقال له: قد عفوتُ عنك، فاذهبْ حيثُ شئت!

عاملَ رسولُ الله ﷺ هذا الأَعرابيَّ الغادرَ بأَخلاقِه النبويةِ العالية، فمعَ أَنه جاءَ لقتله إِلاّ أَنه عفا عنه.

وقبلَ أَنْ يُغادرَ الأَعرابيُّ مجلسَ رسول الله ﷺ عرضَ عليه رسولُ الله ﷺ الإسلام، وقالَ له: ما رأْيُك فيما هو خيرٌ لك من ذلك؟

قالَ الأَعرابي: وما هو؟

قالَ ﷺ: أَنْ تشهدَ أَن لا إِلـه إِلا الله، وأَني رسولُ الله!.

فأَعلنَ الأَعرابيُّ إِسلامَه أَمام رسول الله ﷺ.

ثم صارحَه بأَمْرٍ عجيب، فقالَ له: يا رسولَ الله: أَنا رجلٌ شجاعٌ جريء، لا أَخافُ الرجال ولا أَهابُهم، مهما كانوا، إِلاّ أَنتَ يا رسولَ الله، فلا أَدري ما حصلَ لي لما رأَيتُك! فوالله ما أَنْ رأَيتك حتى ذهبَ عقلي، وضعفَتْ نفسي،

وامتلأْتُ منكَ خوفاً ورهبة! وقد أَخبرَكَ الله بما عزمْتُ أَنا عليه، مما لمْ يعلمه أَحد، غيري أَنا وأَبو سفيان، فعلمتُ أَنكَ معصومٌ ممنوع، وأَنَّ الله يحميك ويحفظك! وهذا معناهُ أَنك على حق، وأَنَّ حزبَ أَبي سفيان حزبُ الشيطان، على باطل!.

فجعلَ رسولُ الله ﷺ يتبسم مما قالَه الأَعرابيُّ المسلم..

وهكذا فشلتْ خطةُ أَبي سفيان زعيم مكة لاغتيالِ رسول الله ﷺ، وردَّ الله كيدَه إِلى نحره.. ولما علمَ أَبو سفيان بذلك زادَ إِحباطاً وحسرة، وصار يفكِّرُ في طريقةٍ أُخرى يواجهُ بها رسولَ الله ﷺ!

الرسول يكلف الضمري والأنصاري بمحاولة اغتيال أبي سفيان:

وهذه التصرفاتُ والمؤامراتُ من أَبي سفيان ضدَّ رسول الله ﷺ، جعلَتْ للرسول ﷺ الحقَّ في الردِّ على أَبي سفيان بالمثل.. إِنه في حالةِ حربٍ معه، ودمُ أَبي سفيان وغيره من كفارِ قريش هَدْر.

لذلك فكَّرَ رسولُ الله ﷺ في (اغتيالِ) أَبي سفيان زعيم مكة! وهو على صوابٍ فيما فكَّرَ فيه، وفيما عَزَمَ عليه!

كلفَ رسولُ الله ﷺ عمرو بنَ أُمية الضَّمْريَّ رضي الله عنه للقيامِ بهذه المهمةِ الخطيرةِ الدقيقة.

وعمرو بن أُمية الضَّمْري بطلٌ من كبارِ الأَبطال، مشهورٌ بالشجاعةِ والقوةِ والفطنة، وبُعدِ النظر وحُسنِ التخطيط وسرعةِ الحركة، وقد كانَ مع المشركين محارباً للمسلمين في غزوتي بدرٍ وأُحُد، ثم أَسلمَ بعد غزوةِ أُحد، وأَقامَ مع رسولِ الله ﷺ. وعرفَ له رسولُ الله ﷺ هذه المواهب والكفاءات، فكان يكلفُه بالمهماتِ الدقيقةِ الصعبة.

في شهرِ شوال من السنةِ السادسة للهجرة دعا رسولُ الله ﷺ عمرو بنَ أُميةَ الضَّمْرِيَّ وسَلَمَةَ بنَ أَسْلَمَ بنِ حُرَيْش الأَنصاري، رضي الله عنهما، وقالَ لهما:

اخْرُجا، حتى تأْتيا أَبا سفيان بن حرب، فإِنْ أَصبتُما منه غِرَّةً فاقْتُلاه!!.

أَي: عليهما أَنْ يَذْهبا إِلى مكة، وأَنْ يبذلا جهدَهما في اغتيالِ أَبي سفيان، فإِنْ عجزا عن ذلك فلا شيءَ عليهما.

والملاحظُ أَنَّ رسولَ الله ﷺ لم يكلفْهما باغتيالِ أَبي سفيان تكليفاً مطلقاً، وإِنما تكليفٌ مشروطٌ بقدرتِهما على ذلك: فإِنْ أَصبتُما منه غرةً فاقتلاه!

وكأَنَّ هذا الشرطَ إِشارةٌ إِلى أَنهما قد لا يتمكنان من ذلك!!

استعدَّ عمرُو بنُ أُمية وصاحبُه لهذه المهمةِ الخطيرةِ الدقيقة، وكان عمرٌو يملكُ سلاحاً قوياً خفيفاً، وهو خنجرٌ صغير، لكنه حادٌّ جداً، يمكنُه أَنْ يُخفيه بين ملابسه بدونِ أَنْ يراهُ أَحد، أَو أَنْ يَشعُرَ به أَحد!!

وهذا يذكِّرُنا بخنجرِ الأَعرابيِّ الصغير الذي جاءَ ليغتالَ به رسولَ الله ﷺ، لكنَّ الله فضحه وكشفَ أَمره!

ركبَ عمرٌو وسلمة بنُ أَسلم بعيرَهما، وتوجَّها نحو مكة، لتنفيذِ تلك العملية الجهادية!

الضمري والأنصاري في مكة:

وَصَلا إِلى منطقةٍ على مشارفِ مكة، تسمّى (بطن يَأْجَجْ)، على بُعد ثمانيةِ أَميالٍ من مكة! وعَقَلا البعيرَ هناك، في منطقةٍ خاصة في فناء شِعْبٍ هناك، ليكونَ بعيداً عن أَهلِ مكة، وليعودا إِليه عند انتهاءِ عمليتهما الجهادية! ولو ذَهبا بالبعير إِلى مكة، وأَناخاهُ فيها فسينكشفُ أَمرهما حتماً!!

وقبلَ أَنْ يُغادرا (بطن يَأْجَج) أَوصى عمرٌو أَخاه سلمة قائلاً: سننطلقُ الآنَ إِلى دارِ أَبي سفيان، وسأَقومُ أَنا بمجاولةِ ومصاولةِ أَبي سفيان لقتْلِه، وأَنت تقومُ بالمراقبة والمساعدة.. فإِنْ حصلَ شيء لم يكنْ بالحسبان، فعليكَ أَنْ تنجوَ بنفسك. وتأتي إِلى هنا، وتركبَ البعير، وتذهبَ إِلى رسول الله ﷺ وتخبره.

ولا تنتظْرني! ولا تَخَفْ عليّ، فإني رجلٌ عالمٌ بكلِّ مكانٍ في هذه المنطقة، وسأنجو بإذن الله من الأَعداء، كما أَنني نَجيبُ الساق، سريعُ العدو.

وتوجَّها نحو دارِ أَبي سفيان في مكة! وجَهَّزَ عمرُو بن أُمية خنجره الخفيَّ الصغير، وأَحكمَ وضعَه تحت ملابسه..

ولما غابت الشمسُ وحلَّ الظلام كان المجاهدان أَمامَ الكعبة، في طريقهما إلى دارِ أَبي سفيان!

وعندما وقعتْ عينا سلمةَ بن أَسلم الأنصاريِّ رضي الله عنه على الكعبة، لم يملكْ نفسَه، وهاجَتْ عاطفتُه للوصول إليها، والطواف بها..

إنه ما رأى الكعبةَ منذُ سنواتٍ عديدة، وإنه يحبها حباً عظيماً، فهي أولُ بيتٍ وُضعَ في الأَرضِ لعبادةِ الله، وهي التي بناها إبراهيمُ عليه السلام، وهي التي توارثَ العربُ تقديسَها وتعظيمَها والطوافَ بها والحجَّ إليها قروناً عديدة!!.. وكان في السنواتِ السابقةِ عاجزاً عن الوصول إليها، لأَنَّ قريشاً تمنعُ أَصحابَ رسول الله ﷺ من ذلك!

والآن هاهو أَمامَ الكعبة، يُمتعُ عينيه بالنظرِ إليها، وعلى بُعدِ مئات الأَمتارِ منها! فهل يمرُّ بجانبها ولا يأتيها ليطوفَ بها ويصلي عندها؟

أَنْسَتْهُ عاطفتُه الجياشةُ مهمتَه الجهاديةَ التي قَدِمَ من أجلها، وأَنها تتطلب مزيداً من الحذرِ والانتباهِ والسرية والتخفّي: إنهما قادمان لقتْلِ زعيم مكة!!..

الأنصاري يلح على الضمري البدء بالطواف:

لذلك عرضَ سلمةُ على عمرٍو عرضاً عاطفياً! فقالَ له: ما رأيكَ يا عمرو أَنْ نأتيَ الكعبةَ أَولاً، فنطوفُ بها سبعةَ أَشواط، ثم نصلّي عندها ركعتيْن؟

فوجئ عمرٌو بهذا العرضِ العاطفي من سلمة، لأَنه إنْ وافقَه عليه وأخذَ به فسوفَ يُفشلُ ما قَدِما من أَجله! لذلك قال له: أَنتَ لا يعرفكَ أَهلُ مكة! أَمّا أَنا

فإنّي أَعرفُ بمكةَ من الفَرَس الأَبْلَق، وإذا رآني أهلُ مكة فإنهم سيعرفونني.. ثم إنني أَعرفُ عادةَ أَهلِ مكة، إنهم ينتظرونَ حلولَ الظلام ليسمروا بالليل، حيث يرشُّون أَفنيةَ بيوتهم بالماء، ويفرشونها، ثم يَجلسون أَمامَ بيوتهم يسمرون..

فإذا قطعْنا بيوتَهم وتوجَّهْنا نحوَ الكعبة للطواف، رآنا القرشيون الجالسون أَمامَ بيوتهم، وإذا رأَوني عرفوني!! وبذلك نَفشلُ في تحقيقِ ما قَدِمْنا إليه!! وأَرى أَنه لا داعي لأَنْ نطوفَ بالكعبة، وعلينا التوجُّهُ إلى منزلِ أَبي سفيان لقتلهِ، تنفيذاً لما كلَّفَنا به رسولُ الله ﷺ!

كان كلامُ عمرِو بن أُمية منطقياً مقبولاً، وليس عاطفياً حماسياً!! ولكنَّ أَخاهُ سلمةَ لم يستمعْ له، وأَصَرَّ على الذهابِ إلى الكعبة أَولاً!

لم يشأْ عمرُو بن أُمية رضي الله عنه أَنْ يُنازعَ أَخاه ويُخالفه، لأَنه يعلمُ أَنَّ هذا يحرمُه الإسلام، ولذلك اضطرَّ إلى موافقته، مع علمِه بخطأ كلامِه وفعْلِه!!.

وتحوَّلَ المجاهدان نحوَ الكعبة ليطوفا بها أَولاً، ثم يقومابقتلِ أَبي سفيان بعد ذلك!

وَصَلا الكعبة بأَمان، وطافا بها سبعةَ أَشواط، ثم صَلَّيا بجانبها ركعتين، وذكَرا الله وحَمَداه.. وبذلك حقق الأَنصاريُّ رغبتَه، واستمتعَ بما كانَ يرجوه ويحركُ عواطفَه ومشاعره..

ثم غادرا البيتَ الحرام، متوجِّهيْن إلى دارِ أَبي سفيان لتنفيذِ عمليتهما الجهادية!

انكشاف أمرهما وفشل العملية:

مَرّا على مجموعةٍ من القرشيين جالسين بفناء أَحَدِ البيوت، فيهم معاويةُ بنُ أَبي سفيان.. ونظرَ معاويةُ إلى الرجلين، فعرفَ عمرَو بنَ أُمية، وكانَ به سابقُ معرفة!!.

صاحَ معاوية قائلاً : مَنْ؟ عمرُو بنُ أُمية الضمري ! واللهِ ما جئتَ بخيرٍ أَبداً!

وسمعَ القومُ الجالسون كلامَ معاوية ، وهم يعرفونَ عمرَو بنَ أُمية بقوَّتِه وفتكِه ، فقد كانَ فاتكاً خطيراً في الجاهلية ، الكلُّ يحذرُه ويخشاه ، ويتوقَّعُ منه السوءَ والأَذى ! فهبّوا قائمين للقبضِ على عمرٍو وصاحبه .

وهكذا وقعَ ما كانَ يخشـاهُ عمرُو بن أمية ، فهاهم أَهلُ مكـة يعرفونـه ، ويكتشفونَ أَمره ، وهاهم يتوجَّهون نحوه للقبضِ عليه ، كلُّ هذا بسببِ العاطفة الجياشة التي هاجَتْ في قلب أخيه ، ودفَعَتْه إِلى الطوافِ بالكعبة ! ! .

قالَ عمرٌو لسلمة : هلمَّ أُنْجُ بنفسِك ، فهذا واللهِ الذي كنتُ أَحذر ، ولا سبيلَ لنا للوصولِ إِلى أَبي سفيان ، فقد كُشفَ أَمرنا . . .

الضمري والأنصاري مختفيان في الغار :

هربَ عمرٌو وسلمة ، وجريا راكضيْن مسرعيْن ، وغادرا مكة ، ونجحا في الإِفلاتِ من القرشيين المطارِدين لهما . . وصَعدا في الجبل . .

يَعرفُ عمرُو بن أمية غاراً حصيناً في الجبل ، فتوجَّه هو وأَخوهُ إِليه في تلك الليلةِ المظلمة ، واختفيا داخلَه ! ووضعَ عمرٌو حجارةً على باب الغارِ لئلا يراهم المشركون .

علمَ أَبو سفيان من ابنه معاوية أَنَّ عمرَو بنَ أُمية الضمري في مكة ، وهو يعلمُ عمرَو بنَ أُميةَ فاتكاً خطيراً ، ولذلك لم يأتِ مكةَ لخير ، وإِنما جاءَ لأَمْرٍ ما ! لا يَعرفُ أَبو سفيان ما هو؟

استنفَرَ أَبو سفيان أَهلَ مكة ، وطلبَ منهم أَنْ يُفتشوا عن عمرٍو وصاحبِه في كل مكان ! بَحثوا عنهما في طُرُقاتِ مكة ، وتوجَّهَ فريقٌ إِلى الجبلِ يفتشُ عنهما . . ومضى الليلُ وطلعَ الفجر وهم يفتشونَ في الجبل ، فلم يَصِلوا إِلى الغار !

وأعمى الله أَبصارهم عن طريقِ المدينة ، فلم يَسيروا فيه باحثين مفتشين ،

ولو فعلوا ذلك لرأَوا البعيرَ المربوط في (بطنِ يَأْجَج) بطريقِ المدينة!

همسَ عمرٌو في أُذُنِ أَخيه وهما مختفيان في الغار: سنبقى هنا في الغار حتى يسكنَ الطلب، ويتوقَّفَ القرشيون عن البحثِ والتفتيش! إِنهم سيبقونَ مستنفرينَ جادّينَ في البحث طيلةَ هذه الليلة، وطيلةَ نهارِ الغد.. وسيخفُّ ذلك عند مساءِ الغد!.

أَمضيا ليلتَهما وصباحَ يومهما في الغار ذاكريْن لله، طالبيْن منه حمايتَهما وحفظَهما.

الضمري يقتل أحد المشركين على باب الغار:

وفي ضحى الغد كان القرشيون مازالوا جادّين في البحث عنهما، ونظرَ عمرٌو من بعيد فرأَى أَحَدَ القرشيين يتجوَّلُ قريباً من الغار. رأى (عثمانَ بنَ مالك التَّيمي) يقودُ فرساً له، ويجمعُ لها العشبَ من الجبل ـ وكان الوقتُ ربيعاً ـ ويشاركُ في البحثِ عن المجاهدَيْن!

فقالَ عمرٌو لسلمة: هذا ابنُ مالك يبحثُ عنا، وهو قادمٌ إِلى الغار، وواللهِ لو رآنا لنادى أهلَ مكة وأتوا ليقبضوا علينا. وسأَقتُلُه قبلَ أَنْ يرانا!

انتظرَ عمرٌو عثمانَ بنَ مالك حتى وقفَ قريباً من الغار، وأَوشكَ أَنْ يدخلَ الغار، فانقضَّ عليه عمرٌو مسرعاً، وأَخرجَ خنجرَه الحادَّ الصغير، وطعنَه طعنَةً واحدةً قويةً تحت ثَدْيه، واخترقت الضربةُ القويةُ صدرَه إِلى قلبه!!

صاحَ ابنُ مالك صيحةً قوية، وسقطَ على الأرضِ مغشياً عليه!

سمعَ القرشيّون الذينَ يُفتشون في الجبلِ صيحتَه، فأَقبلوا عليه يُنقذونه! ودخَلَ عمرٌو الغارَ مسرعاً، وقالَ لسلمةَ: لا تتحركْ فهاهم قادمون!

وصلَ القرشيون عثمانَ بنَ مالك، فوجدوه في آخرِ رَمَق، وسألوه: ويحك مَنْ ضَربك؟

فأَجابَ بصعوبةً شديدة: عمرُو بن أُمية!

فقال أبو سفيان معلقاً: قد علمْنا أَنه ما جاءَ عمرو لخير، وإِنما جاءَ لشر!

وحاوَلوا أَنْ يَستوضحوا منه عن مكانِ عمرو، ولكنه كانَ عاجزاً عن الكلام! وما هي إِلاّ لحظةٌ حتى مات.

وتجمعوا عليه، وشُغلوا به.. كلُّ هذا وَهُمْ على باب الغار، وعمرٌو وسلمةٌ ينظرانِ إِليهم، لكنَّ الله أَعمى أَبصارهم فلم ينظروا إِلى الغار، ولو نظرَ أَحدهم تحتَ قدميه وانحنى قليلاً لرآهُما داخله!

حملَ القرشيون قتيلهم عثمانَ بن مالك، ونزلوا عن الجبلِ متوجِّهين إِلى مكة، وحمدَ عمرٌو وسلمةُ الله على سلامتهما.. ومَكَثا في الغارِ مختفييْن يوميْن كاملين، حتى توقَّفَ بحثُ القرشيين عنهما.

الضمري والأنصاري أمام جثة خبيب بن عدي:

وبعدَ ثلاثةِ أَيام قضياها في الغار، وشعرا بتوقُّفِ قريشٍ عن التفتيشِ عليهما خرجا من الجبل، وتوجَّها إِلى (بَطْن يَأْجَجْ) حيثُ ربطا البعيرَ هناك، ليركباهُ ويَعودا إِلى المدينة.

وفي طريقِهما إِلى (يَأْجَج) مَرّا على منطقةِ (التنعيم)، وهي أَولُ منطقةِ الحِلّ، والحَدُّ الفاصلُ بين الحِلِّ والحرم.

وكانت قريشٌ قد صَلَبَتْ في (التنعيم) الصحابيَّ الشهيدَ (خُبَيْبَ بْنَ عَدِيّ) رضي الله عنه، عندما غدرَ به وبإخوانه بنو سليم (على ماءِ الرّجيع) واستشهدَ معظمُ إِخوانه، وأَخذوه أسيراً، وباعوهُ إِلى قريشٍ في مكة.

وبعد ما حُبسَ في مكةَ عدةَ شُهورٍ قررَ أَبو سفيان قتْلَه صَبْراً في منطقةِ التنعيم، ولما ماتَ مصلوباً على الخشبةِ أَبْقَتْهُ قريشٌ مصلوباً عليها، ووضعتْ عليه حُرّاساً، يَحرسونَ الجثةَ المصلوبة، لئلا يتمكنَ رجالُ رسول الله ﷺ من أَخْذِها.

فلما مَرَّ عمرٌو وسلمةُ بمنطقةِ التنعيم، شاهَدا خُبَيْبَ بنَ عَدِيّ رضي الله عنه مصلوباً على الخشبة، وشاهَدا مجموعةً من المشركين، بعيداً عن الجثةِ يَحرسونها!

قالَ سلمةُ لعمرٍو رضي الله عنهما: ما رأْيك في أنْ نُنزلَ خُبَيْباً عن خشبتِهِ، وأنْ نأخذَ جُثَّتَه معنا إلى المدينة!؟

قال له: نعم.

خشيَ عمرُو بنُ أُمية على أَخيه سلمة بنِ أَسلم، لأَنه لم يكنْ في مستواه، خِفَّةً وسرعةً وعَدْواً ولياقةً بدنية.

لذلك قالَ له: سأتولّى أَنا وحدي أَخْذَ جثةِ خُبَيْب، وأنتَ اذهب الآنَ إلى البعير في (يأْجَج)، واركَبْه، واذهبْ مسرعاً إلى المدينة، وأَخبر الرسولَ ﷺ. ولا تَخَفْ عَلَيّ، ولا تنتظرْني، فإني عالمٌ بالطريق، خبيرٌ بما فيها!

توجَّهَ سلمةُ بنُ أَسلم إلى البعير، وركبَه، وتوجَّهَ نحو المدينة، وسلمَ من مطاردة المشركين..

الضمري يعجز عن أخذ جثة خبيب بن عدي:

أمّا عمرُو بن أُمية رضي الله عنه فقد نظرَ إلى جثةِ خُبَيْب على الصليب، ونظرَ إلى حُرّاسه من المشركين... ولما غافَلَهم توجَّه نحو الجثة، وحَلَّ عنها الحِبال بخفَّة، ثم أنزلَها عن الخشبة، وحَمَلَها على ظهره.. وسارَ مسرعاً!!.

وهذه حركةٌ من عمرِو بن أُمية في غايةِ الجرأَةِ والشجاعة.. إنه مُطارَدٌ من قِبَلِ أَهْلِ مكة، لم يتوقَّف الطلبُ عنه، وهو يتحركُ في وسطِ أعداءٍ يبحثون عنه.. ولم ينجُ بنفسِه عَدْواً وجرياً، وإنما أضافَ إلى ذلك مشكلةً جديدة: يحملُ على ظهره جثـةَ أخيه الشـهيدِ خُبَيْبِ بي عَدِيّ، ومجموعـةٌ من الحراسِ المشـركين يحرسونها، هكذا فلتكن الجرأة!

سارَ عمرٌو نحو أربعين ذراعاً وهو يحملُ جثةَ خُبيب على ظهره.. فانتبَهَ

الحُرّاس المشركون . . لاحظوه يفرُّ بجثةِ خُبيب التي يحرسونها . . فلحقوا به . .

علمَ عمرٌو أنه لن ينجوَ منهم إنْ لم يتخلّصْ من الجثة ، فكيفَ سيَجري وهو حاملٌ لها ، لو بقيتْ على ظهره فسيُلْقونَ القبضَ عليه . . لذلك لابدَّ من التخلصِ منها !

أنزلَ الجثةَ عن ظهره بسرعة ، وحفَرَ لها برجلِه بسرعة ، ووضَعَها في الحفرةِ الصغيرة ، وأهالَ عليها التراب ، ودفنَها بسرعة ! ! وَوَلّى هارباً ! !

لحقَهُ الحراسُ المشركون ، ولكنه كان أَسرعَ منهم ، فلم يدركوه . . وهكذا كتبَ اللهُ له النجاةَ منهم .

توجَّهَ عمرو بن أُمية نحو المدينة ، وكان يسيرُ بحذرٍ شديد ، لأَنَّ المشركين أَرسلوا العيونَ يَبحثونَ عنه . .

سلكَ طريقَ (وادي الصَّفْراء) وهو وادٍ زراعي ، فيه نخلٌ وزرع ، بين مكة والمدينة ، ثم توجَّه نحو جبل (ضَجْنان) على الطريقِ ليستريحَ في مغاراته !

الضمري يقتل أحد المشركين المعادين :

دخلَ في غارٍ في الجبل ، ووضعَ خنجرَه وقوسَه وسهامه ، واضطجعَ فيه ليستريح ، فما استراحَ منذُ أنْ هبطَ من الجبلِ في مكة ! .

وبينما هو مضطجعٌ في الغارِ أقبلَ رجلٌ من بعيد ، من (بني الديْل بنِ بكر) يَسوقُ غنماً له ، ويُريدُ أَنْ يستريحَ في الغار !

دخلَ الغار ، فوجدَ عمرَو بن أُمية داخلَه . فسأله : مَن الرجل ؟

أَجابه عمرو : أَنا من بني بكر !

فقالَ له : وأَنا من بني بكر ، من بني الدَّيْل منهم !

وبعدما جلسا قليلاً تكلمَ الرجل ، فإذا به عدوٌّ للمسلمين ، شديدُ العداوةِ

لهم، وهو لا يدري أنَّ مُحَدِّثَه مسلم، فشتم المسلمين وهدَّدَهم وتوعَّدهم.

ثم رفع عقيرته، وتغنّى قائلاً:

فَلَسْتُ بِمُسْلِمٍ مادُمْتُ حَيّاً   وَلَسْتُ أَدينُ دينَ المُسْلِمينا

فغضبَ عمرٌو منه، ووقفَ على مقدارِ عداوتهِ، ولذلكَ قَرَّرَ قتْلَه، وقالَ في نفسه: واللهِ إني لأَرجو أَنْ أَقتلكَ!

وما هي إلا فترةٌ قصيرةٌ حتى نامَ الرجلُ في الغار. فقامَ إليه عمرُو بنُ أُمية فقتَلَه بسبب عداوته للمسلمين، وشتْمِه لرسول الله ﷺ!

ثم نزلَ عمرُو بنُ أُمية من الجبل، وتابعَ سيْرَه نحوَ المدينة...

الضمري أمام الجاسوسين على مشارف المدينة:

ووصلَ سلمةُ بنُ أَسلم المدينةَ قبلَ عمرِو بن أمية، لأَنه كانَ راكباً بعيره.. وأَخبرَ رسولَ الله ﷺ بتفاصيلِ ما جرى لهما، وعَجْزِهما عن اغتيالِ أَبي سفيان، وأَنه تركَ عمرَو بن أُمية الضَّمْرِيَّ في منطقة التنعيم!

أَما عمرٌو فقد قطعَ الوديانَ والشِّعابَ والجبال.. حتى صارَ على مشارفِ المدينة..

وهناكَ رأى رجلَيْن من المشركين القرشيين، بعثَتْهما قريشٌ يتحسَّسانِ الأَخبار، ويتجسّسانِ على المسلمين.. لما رآهما عرفَهما، وعرفَ مهمتَهما التجسسية. فتعاملَ معهما بحسٍّ (أَمني) عالٍ، دالٍّ على يقظتِه وحيويتِه وفطنتِه.

صاحَ فيهما قائلاً: اسْتَسْلِما واسْتَأْسِرا، خيرٌ لكما! وإلاّ قتلتكما!

نظرا إليه، وعرفاه.. فقد كان عمرُو بنُ أُمية معروفاً في مكة. لكنهما استخَفّا به، فكيف يستسلمانِ له وهما اثنان وهو بمفردِه؟

لهذا استهانا به قائليْن: أَنحنُ نستسلمُ لك؟ إننا أَقوى منك!

عند ذلك رمى أحدهما بسهمٍ واحد، فأصابه في مقتل، وخَرَّ صريعاً. . ولَمّا رأى الآخرُ مقتل صاحبه استسلم!

أَوثقَ عمرٌو أَسيره الجاسوسَ القرشي، وأَتى به يسوقُه إِلى رسولِ الله ﷺ.

الرسول يعجب بعمل الضمري ويثني عليه:

وبعدَ ثلاثةِ أَيام من وصولِ سلمةَ بن أَسلم، وصلَ عمرُو بن أُمية المدينة. . ودخلَها مع أَسيرِه الجاسوس بطريقةٍ طريفة: لقد ربطَ إِبهامَي الأَسير بوتْرِ قوسِه، وساقَهُ أَمامه بطريقةٍ مُذِلَّة مضحكة.

ولما رآهُ مجموعةٌ من الأَنصار قالوا: هذا والله عمرُو بن أمية الضَّمرِيُّ عادَ سالماً إِلى المدينة. . وحمدوا الله على سلامته!. . ولما سمعَ الصبيانُ قولَهم، أَسرعوا إِلى رسول الله ﷺ، يُبشرونَه بسلامةِ عمرِو بن أمية!

وأقبلَ عمرٌو على رسول الله ﷺ، وهو يسوقُ أَمامَه الجاسوسَ القرشي، على صورةٍ مضحكة. . فلما رآهُ الرسولُ ﷺ ضحكَ حتى بَدَتْ نواجذُه! وكان ضحكُه إِعجاباً بما فعلَه عمرو.

وأَخبرَ عمرُو بن أُمية رسولَ الله ﷺ بتفاصيلِ الأَحداث، منذُ أَنْ غادرَ المدينة، إِلى حينِ العودةِ لها. . فدعا له رسولُ الله ﷺ بخير!.

* * *

المراجع:

١ ـ السيرة النبوية، لابن هشام: ٤/ ٢٨٢ ـ ٢٨٤.

٢ ـ دلائل النبوة، للبيهقي: ٣/ ٣٣٣ ـ ٣٣٧.

٣ ـ تاريخ الطبري: ٢/ ٥٤٢ ـ ٥٤٥.

٤ ـ تاريخ ابن كثير: ٤/ ٦٩ ـ ٧١.

* * *

(٨)
سلمة بن الأكوع
يواجه فرسان المشركين بمفرده ويستخلص متاع المسلمين

غزوة ذي قرد بعد الحديبية :

هذه بطولةٌ فذة عجيبةٌ نادرةٌ من الصحابيِّ الجليل (سَلَمَةَ بنِ الأَكْوَع) رضي الله عنه . حيث أَغارتْ جموعٌ من المشركين من غَطَفَان بقيادةِ (عُيَيْنَة بنِ حِصْنٍ الفِزاري) على إبلٍ وماشيةٍ للمسلمين ، كانتْ في منطقةِ (الغابة) القريبةِ من المدينة ، واسْتاقوها أَمامهم ، وعلمَ بذلك سلمةُ بنُ الأَكوع رضي الله عنه ، فلحقَ بهم ، واستخلصَ منهم كلَّ ما نهبوه من إبلٍ وماشية ومتاع . وكان يتبعُهم بمفردِه ، وهو يمشي على قدمَيْه ! ! .

وتُسمّى هذه العمليةُ الجهاديةُ الفذَّةُ التي قامَ بها هذا الصحابيُّ بمفردِه (غزوةَ ذي قَرَد) . وسُميتْ بذلك ، لأنَّ الرسولَ ﷺ لما لحقَ بالجيش ، جلسَ مع أَصحابِه عندَ عينِ ماءٍ في المنطقة ، تسمّى (ذو قَرَد) . على مسافةِ يومٍ من المدينة مما يلي بلادَ غطفان .

وكانت هذه العمليةُ الجهاديةُ الجريئةُ بعد عودةِ الرسول ﷺ من صلحِ الحديبية ، في نهايةِ السنةِ السادسة من الهجرة ، وقُبيلَ خروجِه بالصحابةِ إلى غزوة خيبر . على الراجحِ عندَ علماءِ الحديثِ والسيرةِ والتاريخ . .

وقد حدَّثَ سلمةُ بنُ الأكوع نفسُهُ حديثَ هذه العمليةِ الجهادية ، ورواهُ عنه ابنهُ (إياس) . .

بدأ سلمةُ رضي الله عنه الحديثَ من خروجِه مع رسول الله ﷺ إلى الحديبية ،

ولَخَّصَ مجملَ أَحداثِ الحديبيـة، ثم فَصَّلَ أَحداثَ غزوةِ (ذي قَرَد). ثم تابعَ حديثَه مُحَدِّثاً عن خروجِه مع رسول الله ﷺ إلى غزوةِ خيبر، بعدَ غزوةِ ذي قَرَد مباشرة..

وأَحسنُ روايةٍ لأَحداثِ وتفاصيلِ غزوةِ ذي قَرَد تلك التي أَوردَها الإمامُ مسلمٌ في صحيحه، في باب (غزوة ذي قَرَد) من كتاب الجهادِ والسير من صحيحه.

وسنأخذُ روايةَ هذه الغزوةِ من صحيحِ مسلم، ونُضيفُ لذلك بعضَ الإضافات والتفصيلاتِ من السيرة النبوية لابن إسحاق، ودلائل النبوة للبيهقي.. ونتصرفُ في رواية الأَحداثِ وسردها، لتوضيحِ الأَمْرِ للقارئ، وإِحسانِ العرضِ الحيِّ المؤثر، كما فعلْنا في عرضِ العملياتِ الجهاديةِ في هذا الكتاب. والله المستعان!.

سلمة بن الأكوع مع رسول الله في الحديبية:

خرجَ سلمةُ بنُ الأَكْوَع مع رسول الله ﷺ إلى العمرة، وكان عددُ الصحابةِ الخارجين مع رسول الله ﷺ مُحْرِمين بالعمرة أَلفاً وأَربعمئة صحابي.

ولما وصلوا الحديبيةَ قريباً من مكة، عَلِموا أنَّ قريشاً اجتمعت في مكة، ومنعَتْهم من دخولها، فأَمر رسولُ الله ﷺ أَصحابَه أَنْ يَنزلوا في الحديبية، إلى أنْ يتمَّ بحثُ الأَمر مع قريش!

كان الماءُ في بئرِ الحديبية قليلاً، لا يكادُ يروي خمسينَ شاة، فكيفَ سيروي أَلفاً وأربعمئة صحابي مع إِبلهم وخيولهم ومواشيهم! ويَكفيهم لشربهم ووضوئِهم وغسلِهم؟

دعا الرسولُ ﷺ ربَّه، و(تَفِلَ) في بئرِ الحديبية، فأَجرى اللهُ فيها معجزةً باهرة، وأنبَع فيها الماءَ بقدرتِه سبحانه وتعالى، فامتلأَتْ وكَفَت المسلمين طيلةَ أيامِ إقامةِ المسلمين بالحديبية..

وجرت اتصالاتٌ عديـدةٌ بين رسـول الله ﷺ وقريـش . . يرسـلُ رسـولاً من طرفـه، ويُرسـلون هم رسـولاً من طرفهم، ولا يعنينـا هنـا ذكْرُ تفـاصيلِ تلـك الاتصالات[1] .

وأرسلَ رسولُ الله ﷺ عثمانَ بن عفان رضي الله عنه من طرفه موفداً إلى قريش، ليخبرهم بمهمتِه، ويُعَرِّفَهم على قصْدِه، وهو أنه جاءَ معتمراً، ولم يأْتِ مقاتلاً . فحبستْ قريشٌ عثمان! ووصلت الإشاعةُ إلى المسلمين أنَّ قريشاً قتلتْ عثمان رضي الله عنه!

عند ذلك قالَ رسولُ الله ﷺ : لن نبرحَ حتى نناجزَ القوم!

ودعا رسولُ الله ﷺ المسلمين إلى مبايعته، لحربِ قريش، أَخْذاً بثأْرِ عثمان رضي الله عنه . وكـان رسولُ الله ﷺ جالسـاً تحتَ الشـجرةِ الضخمة، فوقَ بئرِ الحديبيـة، فسُميتْ تلك البيعـةُ بيعةَ الرضوان، حيث رضيَ اللهُ عن الصحابـة المبايعين تحت الشجرة، وهذا في قوله تعالى : ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ . . . ﴾[الفتح : ١٨] .

كلُّ الصحابة الذين كانوا في الحديبية بايَعوا رسولَ الله ﷺ، ولم يتخلَّفْ إلاّ واحدٌ كان من المنافقين، هو (الجَدُّ بْنُ قَيْس) أخو بني سلمة! .

سلمة بن الأكوع يبايع الرسول ثلاث مرات :

الصحابيُّ الوحيدُ الذي بايعَ رسولَ الله ﷺ في الحديبية أَكثرَ من مرة هو سَلَمَةُ بن الأكوع، رضي الله عنه!

لما دعا رسولُ الله ﷺ أَصحابه إلى البيعةِ تحت الشجرة، وقفَ سلمةُ في مقدمةِ الصحابة، فكانَ أَوَّلَ صحابيٍّ يبايعُه .

---

(١) سـنذكر خلاصة تلك الاتصالات والمراسـلات عند حديثنـا عن (مجموعة أبي بصير) في المبحث التالي .

وسَبْقُ سلمةَ بن الأَكوع الصحابةَ إلى البيعةِ يدلُّ على طبيعتِه الجريئةِ القوية، حيث كان حريصاً على المبادرةِ إلى كلِّ خيرٍ وفضل، وسبْقِ إخوانه إلى الجهادِ والمواجهة!

وقفَ الصحابةُ مصطفّين يبايعون رسولَ الله ﷺ. . . ولما بايعوا، وقامَ رسولُ الله ﷺ لأَمر، وكان وسطَ الناس. . رأى سَلَمَةَ بنَ الأكوع، قال له: بايِعْ يا سلمة!

فقال سلمة: قد بايعْتُك يا رسولَ الله!!

قال: بايعْ أَيضاً!!

فمدَّ سلمةُ رضي الله عنه يدَه، وبايَع رسولَ الله ﷺ مرةً ثانية!

وذهبَ سلمةُ إلى بعض شأنه بين الصحابة. . ثم مَرَّ بالنبيِّ ﷺ، فرآه (عَزِلاً) ليسَ معه سلاح. فناوَلَه رسولُ الله ﷺ (تُرْساً) يتتَّرسُ به إذا نشبتْ معركةٌ مع المشركين!

سارَ سلمةُ بين الصحابة، ثم قابَله رسولُ الله ﷺ، فقال: أَلا تبايعني يا سلمة؟

فقالَ سلمة: قد بايعْتُك يا رسولَ الله في أَولِ الناس، وفي أَوسطِ الناس!

فقال له ﷺ: بايعْ أَيضاً.

فبايَعَه سلمةُ رضي الله عنه المرةِ الثالثة!

إنَّ الرسولَ ﷺ يَعلمُ أَنَّ سلمةَ بن الأَكوع رضي الله عنه قد بايَع، ومع هذا طلبَ منه البيعةَ مرةً ثانيةً وثالثة، وهو الصحابيُّ الوحيدُ الذي خصَّه بهذا، وهذا من مناقبِه وفضائله، التي اختصَّ وتميزَ بها عن باقي الصحابة!

ولعلَّ لهذه البيعة التي تكررتْ ثلاثَ مرات صلةً بعمليتِه الجهاديةِ الرائعة التي سيقومُ بها وحدَه ضدَّ المشركين، عند قدومهم المدينة!

وقابلَ رسولُ الله ﷺ سلمةَ رضي الله عنه مرةً أُخرى على أَرضِ الحديبية، فلم يجدْ معه الترسَ التي أَعطاهُ إِياها! وفوجئ بذلك، وقال له: يا سلمة: أينَ حَجَفَتُكَ أَو دَرَقَتُك التي أَعطيتُك؟

قالَ سلمة: يا رسولَ الله: لقيني عَمّي (عامِرُ بنُ الأَكوع) عَزِلاً ليسَ معه سلاح، فأَعطيتُه إياها!

أَيْ أَنَّ سلمةَ خَصَّ عَمَّه عامراً بتلك التُّرس، رغمَ حاجتِه إِليها، وهذا من محبتِه لعمِّه، وكرمِه وجودِه، حيث آثرهُ بالسلاحِ الذي أَعطاه إِيّاهُ رسولُ الله ﷺ!

أُعجبَ رسولُ الله ﷺ بتصرُّفِ سلمة، وإِيثارِه عَمَّه على نفسه، وضحكَ ﷺ مُظْهِراً رضاهُ بفعله، وقال له: إِنكَ يا سلمة كالذي قال: اللهمَّ أَبْغِني حَبيباً هو أَحَبَّ إِليَّ من نفسي!!.

وجرت المفاوضاتُ بين رسول الله ﷺ وبينِ مندوبِ قريش سُهَيْل بن عمرو، وانتهتْ بتوقيعِ صلحِ الحديبية.

ولما تم توقيعُ صلحِ الحديبية اختلطَ المسلمون بالمشركين في منطقةِ الحديبية، وذهبَ بعضُ المسلمين يَستريحون تحتَ الأَشجار!

ابن الأكوع يأسر أربعة من المشركين:

وذهب سلمةُ بن الأَكوع رضي الله عنه يَقيلُ تحتَ شجرة، وبعدَ أَنْ نظفَ تحتها وأَزالَ الشوكَ والأَذى اضطجع مستريحاً، وبعدَ قليلٍ أَتى أَربعةٌ من مشركي مكة فجلسوا في ظلِّ الشجرة، بجانب سلمة..

وصارَ الأَربعةُ يتحدثون فيما بينهم، وسلمةُ يسمعُ حديثَهم، فوقَعوا في رسول الله ﷺ، وتكلَّموا عنه بسوء، فتأذّى سلمةُ من كلامهم كثيراً، وأَبغضهم، لكنَّه لا يَقدرُ على أَنْ يُقاتِلهم أَو يقتلَهم، لأَنه وُقِّعَ صلحُ الحديبية مع المشركين!!

وبما أَنه لا يَقدرُ على قتالِهم بسبب الصلح فلا أَقَلَّ من أَنْ يُفارِقَهم ولا يجلسَ معهم!

غادرهم، وتوجَّهَ إِلى شجرةٍ أُخرى، اضطجعَ تحتها! أَما هُمْ فقد علَّقوا سلاحَهم على الشجرة، ثم ناموا..

وبعد فترةٍ قصيرة.. وبينما كان المسلمون يَستريحون تحتَ الأَشجار في المنطقة، اعتدَتْ مجموعةٌ من المشركين على أحدِ المسلمين، بينما كان مضطجعاً وحدَهُ تحت شجرة، فقتلوه!!

فنادى المنادي: يا للمهاجرين! لقد قَتَلَ المشركون (ابنَ زُنَيْم)!!.

ولما سمعَ سلمةُ المنادي، وعلمَ أَنَّ المشركين هم الذين بدؤوا بالاعتداءِ على المسلمين، تَحَرَّكَ فوراً، وقامَ مسرعاً، واستلَّ سيفَه، وتوجَّهَ نحو المشركين الأَربعةِ النائمين تحتَ شجرته الأُولى..

نظرَ إِليهم فوجَدهم مازالوا نائمين، ومازالَ سلاحُهم معلَّقاً على الشجرة.. فأخذ سلاحهم وجعلَ سلاحَه بإِحدى يديه، ثم شهرَ سيفَه بيده الأُخرى! ثم صاحَ بهم!!

استيقظَ المشركون الأَربعة، وفوجئوا بسلاحِهم بيدِ سلمة، وفوجئوا بسيفه صَلْتاً بيده، فلم يستطيعوا فعْل شيء!

صاحَ فيهم سلمةُ رضي الله عنه قائلاً: والذي كَرَّمَ وجْهَ محمدٍ رسولِ الله ﷺ، لا يَرفعُ أَحد منكم رأْسَه، إِلاّ ضربْتُ الذي فيه عيناه!! قوموا، سيروا أَمامي، وتعالوا إِلى رسول الله ﷺ ليحكمَ فيكم..

قامَ الأربعة، وساروا (رهائن) أَمامَ سلمة، وساقهم أَذلاءَ إِلى رسول الله ﷺ، وجعلَهم بين يديه!!

وبعدَ فترةٍ قصيرة جاءَ عامرُ بنُ الأَكوع ـ عم سلمة ـ رضي الله عنه يسوقُ

رجلاً مشركاً من قريش اسْمُه (مِكْرَزٌ)، وهو راكبٌ فرسَه، ويسوقُ معه سبعين رجلاً آخرين من المشركين، وسلَّمهم لرسولِ الله ﷺ!

وإذا بعمٍّ سلمةَ أكثر شجاعةً منه، فإذا كان سلمة قد أَتى بأَربعةِ مشركين رهائن، فإنَّ عَمّه عامراً قد أَتى بسبعين رجلاً ماشياً، ومعهم فارسٌ راكبٌ فرسَه!!.

وهربَ باقي المشركين من منطقةِ الحديبية، وأَسرَ المسلمون خمسةً وسبعين رجلاً مشركاً، أَسرهم سلمةُ وعَمُّه عامر وحدهما، رضي الله عنهما.

فعفا رسولُ الله ﷺ عن المشركين الرهائن، وأَطلقَ سراحَهم، وقال: دعوهم يكنْ عليهم بَدْءُ الفجور وثَناهُ، وعليهم إِثمُ أَوَّله وآخرِه، وابتدائهِ وانتهائِه!

وذلكَ لحرصِ رسولِ الله ﷺ على إنفاذِ صلح الحديبية، لأنَّ مصلحةَ المسلمين متحققةٌ في إنفاذه، وقد اعتبره الله فتحاً مبيناً!!

وأَنزلَ الله تعالى في هذه الحادثة قولَه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٤-٢٥].

وبعدَ ذلك عادَ رسولُ الله ﷺ بأَصحابه إلى المدينة، على أَنْ يُؤَدّوا (عمرةَ القضاء) في نفسِ هذا الموعدِ من العامِ التالي!.

ابن الأكوع في طريق العودة من الحديبية:

وفي طريقِ العودة نزلَ رسولُ الله ﷺ بأَصحابِه في أَسفلِ جبلٍ مرتفع، وخلْفَ الجبلِ منازلُ (بني لِحْيان)، وهم قبيلةٌ عربيةٌ كافرةٌ معاديةٌ للمسلمين!

وخشيَ رسولُ الله ﷺ أَنْ يهجمَ بنو لحيان على المسلمين ليلاً وهم نائمون، فندبَ بعضَ المسلمين أَنْ يصعدوا الجبل، ليحرسوا المسلمين. والجبلُ مرتفع، وصعودُه شاقٌ مرهقٌ!

استغفر رسولُ الله ﷺ لمن صعدَ الجبل، وأَثارَ هذا حماسةَ سَلَمَةَ بنِ الأَكوع رضي الله عنه، فصعدَ الجبلَ مرتين أَو ثلاثاً!!

وهذا من علوِّ همته، وقوةِ نشاطه، ولياقةِ بدنه.. رضي الله عنه..

ولما وصلَ الرسولُ ﷺ مشارفِ المدينة عائداً بأَصحابه من الحديبية، وقعتْ حادثةٌ خطيرةٌ مفاجئة، كان لسلمةَ بنِ الأَكوع رضي الله عنه بطولةٌ فذةٌ فيها!

كان لرسولِ الله ﷺ مجموعةٌ من الإِبلِ (لِقاحاً) - واللِّقاحُ هي الإِبلُ ذواتُ الأَلبان، التي يحلبُها المسلمون ويشربونَ أَلبانها - وكانت هذه اللِّقاحُ ترعى في منطقةٍ خضراءَ قريبةٍ من المدينة تسمى (الغابة)، وكانت كثيفةَ الأَشجار.

ولما وصلَ رسولُ الله ﷺ المدينة، كانت عشرون لَقْحَة - ناقة - لرسولِ الله ﷺ ترعى في منطقة الغابة.

الفزاري يغير على سرح المسلمين في الغابة:

وفي الليلِ أَغارَ (عبدُ الرحمنُ بن عُيَيْنَة بن حصن بن بدر الفِزاري) - ويُسمّى (حبيب) أَيضاً - بأَربعين فارساً من بني فزارة الكافرين على لِقاحِ رسول الله ﷺ في الغابة.

استاقوا اللِّقاحَ وكلَّ ما وجدوه أَمامَهم للمسلمين في (الغابة) من ماشيةٍ ومتاع، وعادوا بذلك كلِّه إلى (غَطفان) - القبيلةِ العربية الكبيرة الكافرة -!

ابن الأكوع يخبر المسلمين ويلحق بالمغيرين:

وفي الصباحِ خرجَ سَلَمةُ بنُ الأَكوع رضي الله عنه، ومعه فرسٌ لطلحةَ بن عبيد الله رضي الله عنه (يُنَدّيه) في الغابة. ومعه غلامٌ لرسول الله ﷺ اسمه (رباح)، ولم يكنْ قد علمَ بما جرى لِلِّقاحِ والماشية التي أَخذها الفزاريون الأَربعون!

و(تَنْدِيَةُ) الفرسِ أَنْ يوردَها الماء، فتشربَ قليلاً، ثم تُرْسَلُ في المرعى،

فترعى قليلاً، ثم تَـرِدُ الماءَ قليلاً لتشـرب، ثم تُـرَدُّ إِلى المرعى لترعى قليـلاً، وهكذا!!

ولما علمَ بسطْوِ الفزاريّين على اللِّقاح والماشيةِ قالَ لرباح: يا رَباح: خُذْ هذه الفرس، وأَعِدْها لطلحةَ بن عبيدِ الله رضي الله عنه، وأَخبرْ رسولَ الله ﷺ أَنَّ عبدَ الرحمن بن عيينة قد أَخذَ اللِّقاحَ معه وولّى هارباً، ومعه أَربعون فارساً من قومه.

ثم صعدَ سلمةُ بن الأَكوع رضي الله عنه على (ثَنِيَّةِ الوداع) ـ وهي مرتفعٌ صغيرٌ مشرفٌ على المدينة ـ ووجَّهَ وجْهَه نحوَ المدينة، ونادى بأَعلى صوته قائلاً: يا صباحاه. يا صباحاه. يا صباحاه!!.

وكان صوتُه عالياً وصلَ إِلى آذانِ أَهلِ المدينة، فسمعوا الصوت، وعَرفوا أَنه صوتُ سلمة، وأَنه ينذرُهم الخطر، ويُخبرُهم بما حدث لِلِقاحهم وماشيتهم، وَيطلبُ منهم الخروجَ في إِثْرِ الفزاريّين، وقتالِهم، واستردادِ ما نهبوهُ وسَطَوْا عليه!!

الرسول يشكّل طليعة مجاهدة ثم يلحق الجيش بها:

توافدَ الفرسانُ على رسول الله ﷺ، يُلبون نداءَ سلمة، ويضعونَ أَنفسهم تحتَ تصرفِ رسول الله ﷺ.

(شَكَّلَ) رسولُ الله ﷺ طليعةً مجاهدةً من ثمانيةٍ من الفرسان المجاهدين، وأَمرهم أَنْ يُسرعوا اللحاقَ بسلمةَ بن الأَكوع، ويقوموا بقتالِ ومواجهةِ الفزاريّين السارقين!

والفرسان الثمانية هم: المقدادُ بن عمرو الكندي، الذي يُقالُ له: المقدادُ ابن الأَسود، فارسُ رسول الله ﷺ، وأَبو قتادة الأَنصاري: الحارثُ بنُ ربعي، وعَبّادُ بن بشر الأَشهلي، وسعْدُ بنُ زيد الأَشهلي، وأُسَيْدُ بن حُضَيْر، وعُكّاشَةَ بن محصن، ومُحْرِزُ بنُ نَضْلَةَ الأَسدي، الذي يُقالُ له: الأَخرمُ الأَسَدي، ومعاذُ بن

ماعص. رضي الله عنهم. وأَمَّرَ عليهم سَعْدَ بنَ زيد الأَشهلي. وأَخبرهم أَنه سيلحقُ بهم في الجيش، فخرجوا مجاهدين في سبيل الله.

ونادى رسولُ الله ﷺ بالخروج لطلبِ القومِ السارقين، وتجمَّعَ الرجالُ الموجودون الجاهزون بين يديه، وأَمَّرَ على المدينة (عبدَ الله بن أُمِّ مكتوم) ـ الأعمى ـ رضي الله عنه. وخرجَ بالجيش لطلبِ الأعداء!

وهكذا صارَ المجاهدون ثلاثَ دفعات:

الدفعةُ الأُولى: سَلَمَةُ بنُ الأَكوع وحده رضي الله عنه، طليعةُ المجاهدين ومقدمتُهم، الذي لحقَ بالأعداء قبلَ أَنْ يصلَه المدد.

الدفعةُ الثانية: المجاهدونَ الفرسانُ الثمانية، كلٌّ على فرسه، بقيادةِ سعد ابن زيد رضي الله عنه. الذينَ لحقوا بسلمة، وجاؤوا مَدَداً له!

الدفعةُ الثالثة: الجيشُ المجاهدُ بقيادةِ رسول الله ﷺ، الذي خرجَ مَدَداً للفرسان الثمانية، وطالِباً للأَعداء!

ابن الأكوع يجري وحيداً خلف أربعين فارساً:

فلْننظرْ ما قامَ به سَلَمَةُ رضي الله عنه من بطولةٍ جهاديةٍ عالية:

بعد ما وقفَ على (ثَنِيَّةِ الوداع) وصاح: يا صباحاه.. لحقَ بالأعداء الفزاريين، وكان (راجِلاً) يعدو ويركض، وليسَ معه فرس! وكان (عَدّاءً) سريعاً، يُسابقُ الخيل!!

خرجَ يعدو في إِثْرِ الأَعداء كالسَّبع!.. فأَدركهم!

لقد أَخذوا اللِّقاحَ والماشيةَ في الليل، وقطعوا مسافةً طويلةً خلالَ الشِّعابِ والأَودية.. ولحقَ بهم سَلَمَةُ وحيداً في الصباح.. فأَدركهم.. كم كانتْ سرعتُه وهو يعدو ويركضُ على رجلَيْه؟!.

ماذا تقولُ في شجاعةِ وبطولةِ وجرأةِ هذا الصحابيِّ المجاهدِ رضي الله عنه؟

وكيفَ يشتبكُ مع أَربعين فارساً وحده؟

خرجَ سلمةُ بنُ الأَكوع رضي الله عنه في إِثرِ الفرسان الفزاريين الأَربعين في الصباح، يعدو على رجليه. . ورآهم من بعيد، وهم يسوقون اللِّقاحَ والماشية.

اشتبكَ معهم فوراً، ورَماهم بالنِّبال، وهو يرتجزُ ويقول:

أنـــا ابْـــنُ الأَكْـــوَعْ وَاليَـوْمَ يَـوْمُ الـرُّضَّـعْ

ومعنى (الرُّضَّع) اللئام. اللذين يَرضعونَ اللؤْمَ رضاعة. فاليومَ يومُ الانتقامِ منهم، والذي ينتقمُ منهم هو ابنُ الأَكوع!

لحقَ ابنُ الأَكوع رجلاً منهم ووَجَّهَ له سهمه ـ وكان سلمةُ رامياً ماهراً ـ ورماهُ به، فاخترقَ السهمُ رحلَه إِلى كتفه، ثم إِلى كبده، فصرَعَه. ولما رماهُ بالسهمِ ارتجزَ قائلاً:

خذْها وَأَنا ابْنُ الأَكْوَعْ وَاليَـوْمَ يَـوْمُ الـرُّضَّـعْ

ابن الأكوع يستخلص كل السرح من المغيرين:

فوجئَ الفرسانُ الأعداءُ برجلٍ يشتبكُ معهم، وهو وحيدٌ، وماشٍ على رجليه، لا يَرهبهم ولا يَخاف منهم!

استمرَّ سلمةُ يرميهم بسهامِه، يُصيبُ خيولَهم أَحياناً فيعقرُ بها ويقتلُها، ويُصيبُ فرسانَهم أَحياناً فيصرعُهم أَو يقتلُهم!

وإِذا رجعَ إِليه فارسٌ أَو فارسان منهم، (كَمَنُ) في أَصلِ شجرة، وأَمطرهم بوابلٍ من سهامِه، فيصرعُ مَنْ يصرع!! ويعقرُ مِن خيولِهم ما يعقر. .

واستمرّوا هكذا. . هم سائرونَ نحو بلادِ (غطفان) يريدون أَنْ ينجوا قبلَ أَنْ يلحقَ بهم جيشُ المسلمين، وسَلَمَةُ بن الأَكوع رضي الله عنه خلْفَهم وحده، يشتبكُ معهم في قتال، ويَرميهم بالسِّهام والنبال!!

وصاروا يتخلَّصون من الإبل والماشية، يتركونَها خلْفَهم، ويواصلون سيرَهم وهروبَهم!!

ومَرّوا بوادٍ ضيِّقٍ يلُفُّ جبلاً مرتفعاً! وصارتْ سهامُ سلمة لا تصلُ إليهم، بسببِ تعرُّجاتِ ومنحنياتِ الوادي الضيق!! فلم يتركْهم سَلَمَة، وإنما صعدَ على الجبل، وصارَ يُرديهم بالحجارة، يَرميهم بها فتصيبُهم، وتوقعُ بهم الجراح!

... ورأى الفرسانُ الأربعون أنفسهم عاجزين عن مواجهةِ سلمة!! هم فرسانٌ على خيولهم ومعهم أَسلحتُهم، وسلمةُ وحدَه يعدو خلْفَهم راجلاً، ويسابقُ خيلهم، ولا يملكُ إلاّ السهامَ والنبال، والحجارةَ يرميهم بها من أَعلى الجبل!!

اضطروا إلى التخلصِ من كلِّ ما سطوا عليه من الإبلِ والماشية، لينجوا بأنفسهم، وكلَّما تخلَّصوا من (لَقْحَة) يأخذُها سلمة، ويتركُها خلْفَه، ليأخذَها المسلمون الذين وراءه، وَيلحقُ بهم يرميهم بالسهام والنبال والحجارة.

استخلصَ سلمةُ منهم اللِّقاح العشرين التي أَخذوها، واستخلصَ منهم ثلاثين بُرْدَة، وثلاثين رُمْحاً، وأَمتعةً أُخرى كانوا نهبوها من (الغابة)!! وكلَّما طرحوا شيئاً من هذه الأَمتعة كان ابنُ الأَكوع يضعُ عليه (حجارة) لتكونَ علامةً للمسلمين الذين وراءَه، فيأْخذوه.

ولم يبقَ مع الفرسان الأَربعين شيءٌ مما أَخذوه من المسلمين، وساروا في طريقهم نحو بلادِ (غطفان)، ناجين بأنفسهم..

ابن الأكوع يتابع مواجهة الأعداء:

ولكنَّ ابنَ الأَكوع رضي الله عنه لم يتوقَّفْ عن متابعتِهم والاشتباكِ معهم، يَرميهم بالسهامِ والنبالِ والحجارة، فيصيبُ منهم مَنْ يُصيب، ويَصرعُ منهم مَنْ يَصرع، ويَعقرُ مِنْ خيولهم ما يعقر!!

كلُّ هذا يفعلُه وحده! لأنَّ الفرسانَ المجاهدين الثمانية مازالوا خلْفَه، لم يُدركوه، رغمَ سيرِهم نحوه!

سلمةُ بنُ الأَكوع وحدَه يقومُ بأَعمال عديدة تحتاجُ إلى مجموعةٍ من الرجال: يعدو خلفَ الأَعداء برجليه، ويمطرهم بسهامِه ونباله، يَجري خلفهم في الوادي، ويكمنُ منهم خلْفَ الأَشجار، ويصعدُ الجبلَ ليَرميهم بالحجارة، ثم ينزلُ عنه ويعدو خلْفَهم.. ثم يأخذُ الناقةَ التي يستخلصُها ويجعلُها خلفه في مأْمَن، ثم يأخذُ البردةَ التي يحررُها، ويضعُ عليها الحجرَ علامة!! وهكذا.. يفعلُ هذا بهمةٍ وقوةٍ وحيويةٍ وشجاعة! لا يتوقفُ ولا يملّ، ويَستعلي على ما يصيبُه من تعبٍ وجهدٍ ومشقة!!.

استمرَّ على هذا من الصباح إلى ما بعدَ انتصافِ النهار!!

أَتى الأَعداءُ على ممرٍّ ضيقٍ بين جبليْن، وهناك وجدوا مَدَداً لهم.. كانوا من قبلُ أَربعين فارساً يقودُهم عبدُ الرحمن ـ أَو حبيبُ ـ بن عيينة الفزاري.. ووجدوا هناك الأَبَ (عُيَيْنَةَ بن حصْنِ بنِ بَدْرِ الفزاري) بانتظارِهم مع عددٍ آخر من الرجال، فانضموا إليهم وصاروا مدداً لهم.

هل يُرهبُ هذا المددُ سلمةَ بن الأَكوع رضي الله عنه؟ وهل يتوقفُ عن متابعتهم؟ كَلاّ! إنَّ شجاعتَه وجرأَتَه تأْبى عليه الخوفَ منهم أَو التوقُّفَ عنهم! صحيحٌ أَنه استخلصَ منهم كلَّ ما سطَوْا عليه وأَخذوه من لِقاحٍ وماشيةٍ ومتاع، بحيثُ لم يَعُدْ بأَيديهم شيءٌ من ذلك! ولو توقَّف عن متابعتِهم لَمّا وجدَ المددَ بانتظارِهم لما لامَه على ذلك أحد!!

اجتمعَ الفزاريون معاً، وجلَسوا في مضيقِ الوادي بأَسفلِ الجبل يتغدَّوْن.

ابن الأكوع على قمة الجبل يهدد الأعداء:

وحتى يكونَ ابنُ الأكوع رضي الله عنه قريباً منهم نظرَ إلى جبلٍ صغير بجانبهم، فارتقاهُ وصعدَ إلى قمته، فجلسَ عليها!

نظرَ إليه زعيمُ المجموعة (عُيَيْنَةُ بن حصن الفزاري) فاستغرب، وقالَ لجماعته: ما هذا الذي أَرى على رأْسِ الجبل؟

قالوا له: هذا رجلٌ من أَصحابِ محمد، لَقينا منه البَرْحَ والشدة!. واللهِ ما فارقَنا منذُ الغَلَس، حيثُ لحقَ بنا من قُبيلِ شروقِ الشمس، ومازالَ يَرمينا بالسِّهامِ والنبالِ والحجارة، حتى انتزعَ منّا كُلَّ شيء كانَ بأيدينا، مما أَخذناه من لقاحٍ وماشية وأَمتعةِ المسلمين!!!.

فوجئ عيينةُ بهذا الكلام، فكيفَ يواجِهُ رجلٌ واحدٌ يعدو على رجليه أربعين فارساً مسلَّحاً على خيولهم؟ وكيفَ يغلبهُم وينتزعُ كلَّ ما بأيديهم، وهو بمفرده؟!

قالَ لهم عيينة: لِيَقُمْ إِليه أَربعةٌ منكم!!

نَفَّذَ رجالٌ أَربعةٌ أَمْرَ زعيمِهم، وصعدوا الجبل، يطلبونَ ابنَ الأكوع.. ولما كانوا قريبين منه، بحيثُ يَسمعونَ صوتَه ويفهمونَ كلامَه صاحَ فيهم، فتوقَّفوا:

قالَ لهم: هل تعرفوني مَنْ أَنا؟

قالوا: لا مَنْ أَنت؟

قال: أَنا سَلَمَةُ بنُ الأَكوع أَحَدُ المسلمين المتبعين لرسولِ الله ﷺ! والذي كَرَّمَ وجْهَ محمد ﷺ، لا أَطلبُ رجلاً منكم إِلاّ أَدركْتُه وأَخَذْتُه، ولا يستطيعُ أَحَدٌ منكم أَنْ يدركَني!! فلا تحاولوا أَنْ تصعدوا إِليّ، وعودوا منْ حيثُ جئتم!!

فقالَ أحدهم: أَنا أَظنُّ ذلك، وأَنَّ كلامَك صحيح، وقد جَرَّبْنا هذا منك!

فعادوا من حيثُ أَتوا، وأَخبروا زعيمَهم عيينةَ أَنه لا قدرةَ لهم عليه!

وبقيَ سلمةُ بن الأَكوع رضي الله عنه في موقعِه الاستراتيجي على قمةِ الجبل، يراقبُ الموقفَ عن كثب، وبقيَ الفُرسانُ الفزاريون في أَسفلِ الوادي...

استشهاد الأخرم الأسدي:

وبعدَ فترةٍ قصيرة رأَى ابنُ الأَكوع رضي الله عنه فوارسَ رسول الله ﷺ الثمانية قادمين من بعيد، تَسيرُ خيولُهم وسْطَ الشجر.

كان في مقدمتِهم الأَخْرَمُ الأَسَدي ـ مُحْرِزُ بنُ نَضْلَةَ الأَسَديّ ـ يَليه أَبو قتادة الأَنصاري ـ الحارثُ بن ربعي ـ ثم المقدادُ بن عمرو الكندي ـ المقدادُ بن الأَسود ـ رضي الله عنهم، ثم باقي الفرسانُ الخمسة.

وكانَ الأَخرمُ الأَسديُّ متقدِّماً على إِخوانِه بمسافة، مستعدّاً للمعركة، جاهزاً للاشتباكِ مع الأَعداء.

وخشيَ عليه سَلَمَةُ أَنْ يبدأَ القتالَ مع الأَعداءِ قبلَ وصولِ إِخوانه الفرسان، وأَنْ يتمكَّنَ الأَعداءُ من قتله.

فأَتاه، وأَمسكَ بِعِنانِ فرسه، وقال له: يا أَخْرَم: احذر الأَعداء، ولا تُقاتلْهم الآن، وانتظرْ حتى يلحقَ بك إِخوانُك، فإِني أَخشى أَنْ يقتلوك!

وكان الأَخرمُ حريصاً على البدءِ بالمعركة، والهجومِ على الأَعداء، ولو تأَخَّرَ وصولُ إِخوانه الفرسان، لأَنه كان راغباً في الشهادة، طالِباً لها، حريصاً عليها!!

وكان قبلَ يومٍ قد رأى رؤيا سارّة، استبشرَ بها خيراً، وفرحَ لها كثيراً: رأى أَنَّ السماءَ فُرجَتْ وفُتحتْ له، ودخلَ السماءَ الدنيا، حتى انتهى إِلى السماءِ السابعة، ثمَّ انتهى إِلى سدرةِ المنتهى! وهناك قيلَ له: هذا منزلُك!

ولما استيقظَ عرضَ رُؤْياه على أَبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكانَ من أَحسنِ الصحابة تعبيراً للرؤيا. فقالَ له أَبو بكر: أَبْشِرْ بالشهادةِ في سبيل الله! تَنالُها إِنْ شاءَ الله!

ومنذُ تلك الرؤيا والأَخرمُ يفكرُ بالشهادةِ ويحرصُ عليها.. وهاهي الفرصةُ مناسبةٌ الآن، فالأَعداءُ أَمامه. والاشتباكُ معهم وشيك!

ولذلك لم يستمع الأَخرمُ لتحذيرِ سلمة، وقال له: يا سلمة: إِن كنتَ تؤمنُ بالله واليوم الآخر، وتعلمُ أَنَّ الجنةَ حق، وأَنَّ النارَ حق، فلا تَحُلْ بيني وبين الشهادة!!!.

استجابَ سلمةُ لرغبةِ الأَخرم، لأَنه لاحظَ أَنَّ الشهادةَ مسيطرةٌ على نفسِه وشعوره وكيانه، وخلّى بينَه وبين الاشتباكِ مع الأَعداء!

رأى عيينةُ بنُ حصن زعيمُ الأَعداء الأَخرمَ الأَسديَّ قادماً على فرسِه من بعيد، فكلَّفَ ابنَه عبدَ الرحمن ـ اسمه الآخر حبيب ـ أَنْ يقومَ له ويقاتلَه!

اشتبكَ الأَخرم وعبدُ الرحمن، ووجَّهَ الأَخرمُ ضربةً قوية أَصابتْ فرسَ عبدِ الرحمن فعقرَتْها وصرعَتْها وقضَتْ عليها!

تركَ عبدُ الرحمن فرسه، ووجَّهَ ضربةً قويةً سريعةً للأَخرم! فأَصابَتْه في مقتل! فصُرع الأَخرمُ وسقطَ عن ظهر فرسه، ولقيَ الله شهيداً، رضي الله عنه.

وهكذا تحققتْ رؤياهُ التي رآها قبلَ يوم، ونالَ ما كانَ يتمناه..

تحولَ عبدُ الرحمن إِلى فرسِ الأَخرم بعدَ استشهاده، لأَنَّ فرسَه عُقِرَتْ وماتت.

أبو قتادة الأنصاري يقتل قاتل الأسدي:

وما أَنْ ركبَ عبدُ الرحمن الفزاري فرسَ الشهيدِ الأَخرمِ حتى أَدركَه أَبو قتادة ـ الحارثُ بن ربعي ـ رضي الله عنه، فاشتبكَ معه فوراً، ووجَّه له طعنةً شديدة، أَصابَتْه في مقتل! فسقطَ عبدُ الرحمن الفزاري عن الفرس قتيلاً! وهكذا أَخَذَ أَبو قتادة بثأرِ أَخيه الشهيدِ الأخرم، فقَتَلَ قاتِلَه فوراً.

ونزلَ أَبو قتادة عن فرسه، إِلى جثةِ القتيل عبدِ الرحمن الفزاري، فغطّاهُ ببُرْدِه، ليَعلَمَ المسلمون أَنه هو الذي قتَلَه، فيأخذُ سلبه..

ودارتْ معركةٌ بين الفرسانِ المجاهدين السبعة ـ كانوا ثمانيةً قبل استشهادِ الأَخرم الأسدي ـ وبين الأَعداءِ الفزاريين..

واشتبكَ أَبو قتادة رضي الله عنه مع أَحدهم ـ هو مَسْعَدَةُ بنُ حَكَمَة ـ فضربَ مَسْعَدَةُ أَبا قتادة، ووقعَتْ ضربتُه على وجهه، فشَجَّه، وسالَ دَمُه غزيراً، لكنَّ الله

أَمكن أَبا قتادة من قتْلِه، فضربَهُ ضربةً شديدة أَصابَتْه في مقتل، فقضى عليه..

ورأى عُكّاشَةُ بن مِحْصَن رضي الله عنه عمروَ بن أَوبارٍ وأَباه، راكبيْن على بعير، فهجمَ عليهما، وقتلَهما معاً!!

وهكذا قُتِلَ للمشركين أَربعة: عبدُ الرحمن بن عيينة، ومَسْعَدَةُ بن حَكَمَة، قتلَهما أَبو قتادة رضي الله عنه، وعمروُ بن أَوبار وأُبوه، قتلهما عُكاشَةُ بن محصن، رضي الله عنه. بينما استُشهد من المسلمين مُحْرِزُ بن نَضْلَةَ ـ الأَخرم الأسدي ـ رضي الله عنه!

ولما رأى الأَعداءُ قتلاهم في أَرضِ المعركة وَلَّوْا هاربين! أَكثرُ من خمسين فارساً من المشركين يفرّون من سبعةٍ من فرسانِ الصحابة المجاهدين!!.

ابن الأكوع يلحق بالمغيرين عند ذي قرد:

ولَمّا ولّى فرسانُ المشركين هاربين على خيولِهم، لحقَ بهم سلمةُ بن الأَكوع رضي الله عنه، يَعْدو على رجليه.. وساروا مسرعين.. ولحقَ بهم سَلَمَةُ مسرعاً، وقَطعوا شِعاباً ووِدياناً.. وابتعدوا كثيراً عن الصحابةِ المجاهدين، وعن جيشِ رسول الله ﷺ.

ونظرَ سلمةُ خَلْفَه فلم يَرَ أَحداً من أَصحابِ رسـول الله ﷺ، و لا شيئاً من غُبارهم!! فعلم أَنه ابتعدَ عنهم كثيراً!

ومع ذلك لم يَخَفْ، واستمرَّ يلاحقُ الفرسانَ الفزاريين المنهزمين!

وعندَ غروبِ الشمس، وَصَلوا إِلى شِعْب، فيه ماءٌ، يقال له: (ذا قَرَد) ـ وباسمه سُميت الغزوةُ (غزوةُ ذي قَرَد) ـ وكانوا عِطاشاً من السيرِ والجري، فأَرادوا أَنْ يَنزلوا على الماءِ لِيَشربوا منه، ويَسقوا خيولَهم!

ولكنْ أَنّى لسلمةَ بن الأكوع رضي الله عنه أنْ يمكّنهم من ذلك؟! هم على خيولهم يُريدونَ النزولَ على الماء، وسلمةُ يَعدو خلْفَهم على رجليه!! فلما رآهم

كذلك أمطرهم بوابلٍ من سِهامِه ونِباله!! فولّوا منهزمين! ولم يذوقوا من الماءِ قطرةً واحدة!!

مَرّوا على (ثَنِيَّةٍ) في الوادي ضيقة، فأدركهم سَلَمَة وهو يعدو خلْفَهم كالسَّبُع. واقتربَ مِن رجلٍ منهم على فرسِه، فرماهُ بسهمٍ رميةً مُحْكَمة، فوقعَ السهمُ في طرفِ كتفه، فآذاه وآلَمَه ألماً شديداً، ونزفَ دمُه.

ولما رماهُ ابنُ الأكْوَع بالسهمِ صاحَ فيه قائلاً:

خُـذْهـا وَ أنـا ابْـنُ الأكْـوَعْ   وَاليَـــوْمَ يَـــوْمُ الـــرُّضَّـــعْ

فصاحِ الرجلُ الفزاريُّ قائلاً: وا ثكل أُمّي! وليتَ أُمّي تعدمُني! أَنْتَ الأكوع الذي يطردُنا ويلاحقُنا منذُ الصباحِ الباكر مع طلوعِ الشمس؟

قال له سَلَمةَ: نعم، يا عدوَّ نفسِه! أنا هو!!

أيْ أنَّ سلمةَ رضي الله عنه أمضى يوماً كاملاً من طلوعِ الشمس إلى غروبها، وهو يلاحقُ ويطاردُ الأعداء، واستخلصَ منهم جميعَ ما سَطَوْا عليه من اللقاح والماشية والأمتعة! ومع ذلك لم يكفّ عنهم.

واضطرَّ الأعداءُ إلى أنْ يتخلَّصوا من فرسين، يبدو أنَّ الجريَ أتعبهما وأنهكَهما، فصارَتا عبئاً عليهم، ولذلك تخلَّصوا منهما، وولّوا هاربين.

انتهاء مطاردة ابن الأكوع للأعداء عند المساء:

وبذلك خرجَ هؤلاء الفرسانُ الأعداءُ الفزاريون إلى أرض (غطفان) وابتعدوا عن المدينة كثيراً، وزالَ خطرُهم عن المدينة.

وعندها أدركَ سلمةُ بنُ الأكوع رضي الله عنه أنه لا داعيَ لأَنْ يُلاحقَهم في أرض (غطفان). وهي أرضٌ واسعةٌ فسيحة، مليئةٌ بالكافرين المعادين.

لا داعيَ لأنْ يـلاحقَهم ويطـاردَهم لأنـه استردَّ واستخلصَ منهم جميـعَ

ما نَهَبوهُ من اللِّقاح والماشيةِ والأمتعة التي للمسلمين! ولأنه أعطاهم درساً بليغاً لن يَنْسوه، لا همْ ولا غيرُهم! وسيفكِّرون كثيراً قبلَ أنْ يُحاولوا مهاجمةَ المدينةِ مرةً ثانية!

فإذا كان رجلٌ واحدٌ يعدو خلْفَهم على رجليه فعلَ بهم هذا الفعل فكيفَ لو واجههم المسلمونَ كلُّهم؟

أَخَذَ الفرسيْن اللتيْن تركَهما الفزاريون، وجلسَ على مرتفعٍ في تلك المنطقة ليستريح، وكانت الشمسُ قد غابت!

ابن الأكوع يعود للرسول عند ذي قرد:

وفي هذه الأثناء كان رسولُ الله ﷺ قد وصلَ بالجيشِ إلى عين الماء (ذي قرَد)، التي مَنَعَ ابنُ الأكوع الأعداءَ من الشربِ منها.. ونزلَ الجيشُ المجاهدُ على عينِ الماء يَشربون ويتوضؤون..

وبين (ذي قَرَد) والمنطقةِ التي فيها ابنُ الأكوع رضي الله عنه مسافة، فكلَّفَ رسولُ الله ﷺ (عامِرَ بنَ الأكوع) ـ عمَّ سلمة ـ رضي الله عنه أنْ يلحقَ بابنِ أخيه، ويقدِّمَ له شيئاً يشرَبُه!

أَخَذَ عامرٌ (سَطيحةً) ـ وعاء من جلد ـ فيها لبن، وسطيحةً أُخرى فيها ماء، فشربَ سلمةُ من اللبن، وتوضأَ من الماء. وساقَ الفرسيْن اللتيْن أخذهما من الفزاريين، وأتى إلى رسولِ الله ﷺ. وهو على الماء، جالساً بين أصحابِه!

وجدَ سلمةُ أنَّ المسلمين قد جمعوا كلَّ ما استنقذه واستخلَصه من الأعداء، من لِقاحٍ وماشيةٍ وأمتعة.

ووجدَ بلالَ بنَ أبي رباح رضي الله عنه قد نحرَ ناقةً للرسول ﷺ، وصارَ يشوي له من كبدِها وسنامِها.

سلَّمَ سلمةُ على رسول الله ﷺ، وأَخبره بتفاصيلِ ما جرى، منذُ الصباحِ

الباكر، وكيف هَزَمَ الله الأعداءَ الكافرين، وكيفَ أَعانه الله على استخلاصِ كلِّ ما نهبوه من أَنعامٍ ومواشي وأَمتعةِ المسلمين، وحمدَ الله على هذه النعمة.

وعرضَ سلمةُ رضي الله عنه على رسولِ الله عَرْضاً جريئاً عجيباً، فقالَ له: إِنَّ الفرسانَ الفزاريين توجَّهوا نحو أَرض (غطفان)، فَدَعْني يا رسولَ الله أَنتخبْ وأَخْتَـرْ من أَصحابك مئـةَ رجل، فأَلحقَ بالأَعداء أَينمـا كانوا، فأَقضيَ عليهم، ولا أترك منهم أَحداً!!

أُعجبَ رسولُ الله ﷺ بهذا العرضِ الجهاديِّ العجيبِ من سلمةَ رضي الله عنه، إنه لا يتوقفُ عن الجهاد، ولا يتعبُ ولا يَمَلُّ منه! ولا يكفيهِ أَنه جاهدَ الأَعداءَ يوماً كاملاً، من طلوعِ الشمس إِلى غروبها، واستخلصَ ما بأَيديهم! إنما يريدُ أَنْ يلحقَ بهم في بلادهم، ويغزوهم في عقرِ دارهم! فقطْ يريدُ مئةَ مجاهدٍ لهذه الغاية!

فضحكَ رسولُ الله ﷺ، حتى بَدَتْ نواجذُه، في ضوءِ النار، التي يشوونَ عليها لحمَ الناقة، وقالَ: يا سلمة: أَتراكَ كنتَ فاعلاً؟

قال سلمة: نعم، والذي أَكرمَكَ يا رسولَ الله!

فضحكَ رسولُ الله ﷺ مرةً ثانية حتى بدتْ نواجذُه، من إِعجابِه بشجاعةِ وهمةِ سلمةَ رضي الله عنه.

وقالَ لسلمة: إِنهم الآنَ لَيُقْرَوْن ويُضافون في أَرضِ غطفان!

أَيْ أَنَّ الرجالَ الفزاريين وصَلوا إِلى أَرض غطفان، ورجالُ غطفان يقدِّمون لهم طعامَ القِرى والضيافة، بعدَ يومٍ طويلة من السيرِ والجريِ والتعب!

وأَقامَ رسولُ الله ﷺ على (ذي قَرَد) يوماً وليلة، يتحسَّسُ الأَخبارَ عن حركاتِ الأَعداء في غطفان.

الأعداء يخافون من المسلمين في ديارِهم:

وجـاءَ رجلٌ من غطفان فـأَخبرَ رسـولَ الله ﷺ عن أَمـرٍ عجيبٍ للرجـالِ

الفزاريين، الذين طردَهم سلمةُ وحده . .

أَخبره أَنَّ أَحَدَ رجالِ غطفان نَحَرَ لهم جزوراً ليأكلوا اللَّحم، ويستريحوا من عَناءِ اليوم الطويل، الذي رأَوا فيه من سلمة ما رأوا . .

وبينما كانوا جالسين مستريحين، وكان أَحَدَ الرجالِ يسلخُ الجزور، رأَوا غباراً من بعيد.

فقاموا مسرعين، وركبوا خيولَهم، وولّوا هاربين، وتركوا اللحمَ وراءَهم، وقالوا: هذا غبارُ خيلِ جيشِ محمد، هاجمةً عليكم، فاهْرُبوا وانجوا بأَنفسكم؟

ألا ما أَبلغَ الدرسَ الذي لَقَّنَهُ سلمةُ بن الأكوع وإِخوانُه المجاهدون رضي الله عنهم، لهؤلاءِ القومِ الكافرين، الذين تجرَّؤوا وسطَوْا على لِقاحِ وماشيةِ المسلمين! لقد أَثَرَّ هذا الدرسُ الجهاديُّ فيهم، وملأَ قلوبَهم خوفاً وفزعاً ورعْباً من المسلمين، بحيثُ إِذا رأَوْا خيلاً أَو غُباراً ظنوها للمسلمين، فولّوا هاربين!! .

ثناء الرسول على ابن الأكوع وإكرامه له:

وأَثناءَ إِقامةِ الرسول ﷺ بأصحابه على ماءِ (ذي قَرَد) قَسَّمَ الغنائمَ على المجاهدين، وخَصَّ سلمةَ بن الأَكوع رضي الله عنه بنصيبٍ كبيرٍ منها، للدورِ الجهاديِّ البطوليِّ العظيم الذي قامَ به . .

أَعطاهُ ثلاثةَ أَسهمٍ من الغنائم: سهمُ الراجل الذي يجاهدُ على رجليْه، وسهمانِ للفارس، الذي يجاهدُ على فرسه. لأَنه من المعلومِ أَنَّ تقسيمَ الغنائم على أساس: سهمٌ للراجل، وسهمان للفارس!!

لقد قامَ سلمةُ بنُ الأَكوع رضي الله عنه بدورِ الراجلِ الذي يجاهدُ على رجليه، ودورِ الفارس الذي يجاهدُ على فرسِه، وهزمَ وحده فرسانَ الأَعداء، ولهذا استحقَّ نصيبَ الراجلِ والفارس معاً!

وأَعطى رسولُ الله ﷺ شهادةً لخيرِ فارسٍ وخيرِ راجل. فقال: كان خيرُ

فرسانِنا اليومَ أَبو قتادة. وخيرُ رَجَّالَتِنا سلمة!

أَبو قتادة ـ الحارث بن ربعي ـ رضي الله عنه، هو خيرُ فرسانِ المسلمين في غزوةِ ذي قَرَد، لأَنه قتلَ رجلين من قادةِ فرسان الكافرين: عبدَ الرحمن بن عيينة، ومَسْعَدَة بن حكمة!!

وخيرُ رَجّالةِ المسلمين في هذه الغزوة هو سلمةُ بنُ الأَكوع رضي الله عنه، لأَنه كانَ يحاربُ راجلاً، ويَصولُ ويجول، ويعدو ويَجري على رجليه!

وبعد ما انتهتْ مهمةُ جيشِ المسلمين على ماء (ذي قَرَد) نادى منادي رسول الله ﷺ بالعودة إلى المدينة.

وأرادَ رسولُ الله ﷺ أَنْ يُكرمَ سلمةَ بنَ الأَكوع رضي الله عنه إكراماً خاصاً، لِما قامَ به من جهادٍ كبير! فأَردفَه خلْفَه على ناقتِه (العَضْباء)!

كانت (العَضْباء) ناقةً لرسول الله ﷺ، أَثيرةً عنده، وكانت مشهورةً بقوتِها وسرعتِها.. يركبُها رسولُ الله ﷺ في أَسفارِه وحروبه!

وكان سلمةُ بنُ الأَكوع رضي الله عنه في غايةِ السعادةِ والسرورِ والانشراح، وهو يَرى إخوانَه المسلمين، كلٌّ منهم يركبُ فرسَه أَو ناقتَه، أَو يركبُ خلْفَ أَخيه.. إلاّ هو فإنه كانَ يركبُ ناقةَ رسول الله ﷺ، والرسول ﷺ أَمامَه على ظهرِ الناقة!!.

ابن الأكوع يفوز في سباق الجري في طريق العودة:

وفي طريقِ العودةِ إلى المدينة قَدَّمَ سلمةُ رضي الله عنه لإخوانه موهبةً جديدةً من مواهبه، الدالةِ على قوتِه وحيويتِه و(لَياقَتِه) البدنيةِ العالية:

فبينما كان سلمةُ راكباً (العَضْباء) خلْفَ رسول الله ﷺ، وبينما كان الجميعُ يَسيرون عائدين، نادى رجلٌ من الأَنصار: مَنْ يسابقُني إلى المدينة؟

وكان هذا الأَنصاريُّ مشهوراً بالجرْيِ والعدو، يُسابقُ إخوانَه ولايكادُ يسبقُه أَحد.

وبدا لهذا الأَنصاريِّ أَنْ يُسابقَ إِخوانَه، بل أَنْ يتحداهم: مَنْ يُسابقُ إِلى المدينة؟ ومَنْ يقدرُ على أَنْ يسبقَني؟

أعادَ القولَ أكثرَ من مرة! وأعلنَ التحدي أكثرَ من مرة، فلم يردَّ عليه أحد من إخوانه! يبدو أنه لعلْمِهم بأنَّ أخاهم المتحديَ بطلٌ في الجريِ والسبق، وأنه لا يسبقَه أحد، فالتحدي محسومٌ مسبقاً بفوزِه وسبقه!

وسمعَ سلمةُ بنُ الأكوع التحدي، ولم يشأْ أنْ يسكتَ كما سكتَ إخوانُه، ولم يرضَ أنْ يُقال: خشيَ سلمةُ من مسابقةِ أخيه مسابقةً ودية! فقالَ لأَخيه المتحدي: أما تكرمُ كريماً، ولا تهابُ شريفاً؟

أي: أتقصدُ بكلامِك جميعَ إخوانك المسلمين؟ ولا تستثني أحداً كريماً ولا شريفاً؟ وهل يشمُلني كلامُك وتحدِّيك؟

فأجابهُ أخوه الأنصاري: لا أستثني منكم أحداً، إلاّ أنْ يكونَ رسولَ الله ﷺ!.

واستثارَ هذا الجوابُ سلمةَ رضي الله عنه، ودفعَهُ إلى قبول التحدي، وتَعَجَّبَ كيف يتحداه أخوه الأنصاريُّ في الجري والسباق! ألا يعلمُ موهبته ومهارتَه في ذلك؟ ألم يسمعْ شهادةَ الرسولِ ﷺ عندما قال: (وخيرُ رَجَّالَتِنا سلمة)؟ ألمْ يقفْ على ما قام به سلمةُ في الغزوة، عندما سابقَ خيلَ الأعداء، وهو يعدو على رجليه؟.

وقَبِلَ سلمةُ تحدي أخيه، واستأذنَ رسولَ الله ﷺ بذلك، أدَباً واحتراماً له، فقد كان رديفاً له على الناقة!

قال: يا رسولَ الله: بأبي أنتَ وأمّي، ذرْني أسابق الرجل!

فقال له ﷺ: افعل، إنْ شئت!

نادى سلمةُ أخاه الأنصاريَّ قائلاً: استعدَّ للسباق، فأنا آتيك الآن!

وبدأت المسابقةُ بين الرجلين، وقامَ الصحابةُ بمشاهدتها ومراقبتِها باستمتاع!

ثَنى سلمةُ بنُ الأكوع رضي الله عنه رجليْه وهو على الناقة، خلفَ رسولِ الله ﷺ، وقفزَ عن الناقةَ بمنتهى المهارةِ واللياقة، وجاءَ واقفاً على الأرضِ ثابتاً، وطلبَ من أخيه أنْ يجري. . وجريا معاً!!

بدأَ أخوه الأنصاريُّ بالجريِ السريع، وبذلَ أقصى طاقتِه وسرعتِه في ذلك. وسبقَ سَلَمةَ بشوطٍ أو شوطين، وقطعَ مسافةً في ذلك!

لماذا تأخَّرَ سلمةُ عنه؟ وأينَ سرعتُه الفائقةُ المعهودة؟

إنَّ سلمةَ رضي الله عنه حكيمٌ خبير في (فَنِّ السباق)، يعرفُ كيفَ يسابقُ الرجال، وكيفَ يسبقُهم!

لقد تعمَّدَ أن لا يبدأَ التسابقَ بالعدوِ السريع، وبذْلِ أقصى طاقتِه وسرعتِه في ذلك! كما فعلَ الأنصاري، لأنَّ عاقبةَ ذلك وخيمة، تنقلبُ عليه، حيثُ تستنفَدُ طاقتهُ وقوتُه وسرعتُه، ويَنقطعُ نَفَسُه، فيعجزُ عن الاستمرارِ في التسابق!

يَعرفُ سلمةُ هذا، ولهذا بدأ الجريَ بالتدريج، ليحافظَ على طاقتِه ونَفَسه، ولَمّا تجاوَبَ جسْمُه معه، ووازنَ نَفَسَهُ موازنةً دقيقة، نظرَ إلى أخيه فإذا هو متقدمٌ عليه بشَرَفٍ أو شَرَفَيْن - بشوطٍ أو شوطين -، فبذلَ ابنُ الأكوع طاقته المذخورةَ المرصودة، وجرى جرياً سريعاً. . .

وما هي إلاّ لحظاتٌ حتى لحقَ بأخيه الأنصاري. . وأدْرَكَه. . وصَكَّهُ بكَفَّيْه بين كتفيه، وقال له: قد سبقْتُك!!

فوجئ الأنصاريُّ بابن الأكوع يدركُه ويصكُّه بيديه، وقال له: نعم أنْتَ سبقتني!

ورأى الصحابةُ مباراةَ التسابق، وحكموا لسلمةَ بالفوزِ على أخيه. .

وبعدما وصلَ رسولُ الله ﷺ المدينة، أقامَ بها مع أصحابه ثلاث ليالٍ فقط. . ثم نادى أصحابَه الذين شهدوا معه صَلْحَ الحديبيةِ بالخروج إلى خيبرِ، لقتالِ اليهود.

وكان سلمةُ بنُ الأكوع رضي الله عنه في مقدمةِ الذين خَرجوا إلى غزوةِ خيبر، هو وعَمُّه (عامر)، وكان لسلمةَ حديثٌ عجيبٌ في غزوة خيبر، حيث لقيَ عَمُّه عامرٌ وجْهَ اللهِ شهيداً فيها!! . . . .

وهكذا رأيْنا سلمةَ بن الأكوع رضي الله عنه حالاً مرتحلاً مجاهداً، ما إنْ يخرجَ من غزوةٍ حتى يدخل في غزوةٍ أُخرى. وما إنْ ينتهيَ من معركة حتى يبدأَ معركةً أُخرى!! . .

* * *

المراجع:

١ ـ صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة ذي قرد، حديث رقم: ١٨٠٧.

٢ ـ مغازي الواقدي: ٢/ ٥٣٧ ـ ٥٤٩.

٣ ـ السيرة النبوية، لابن هشام: ٣/ ٢٩٧ ـ ٣٠١.

٤ ـ دلائل النبوة، للبيهقي: ٤/ ١٧٨ ـ ١٩٣.

٥ ـ البداية والنهاية، لابن كثير: ٤/ ١٥٠ ـ ١٥٥.

* * *

(٩)
مجموعة أبي بصير
تُرهبُ كفارَ قريش في مكة

الرسول مع أصحابه المعتمرين في الحديبية:

في شهرِ ذي الحجة، من السنةِ السادسة للهجرة، توجّهَ رسولُ الله ﷺ لأَداءِ العمرة، وخرجَ معه أَلْفٌ وأَربعُمئة من الصحابة معتمرين، ولم يكنْ معهم من السلاحِ إِلاّ السيوفُ في أَغمادِها، لأَنهم خرجوا للعمرة، ولم يخرجوا للقتال!

ولما كانَ رسولُ الله ﷺ قريباً من (عُسْفان) أَتَتْهُ الأَخبارُ من مكة بأَنَّ قريشاً قد قرروا منْعَه هو وأَصحابُه من دخولِ مكة، وأَداءِ مناسك العمرة، حتى لو أَدّى الأَمْرُ إِلى قتالِهم!!

عند ذلك مالَ رسولُ الله ﷺ بأَصحابِه ذاتَ اليمين، ونزلَ بهم في مكانٍ قريبٍ من مكة، اسمه (الحُدَيْبِيَة).. وعسكرَ الصحابةُ في المكان وهم بملابسِ الإحرام!!

وأَعلنَ رسولُ الله ﷺ استعدادَه لمفاوضةِ قريش، فقال: «والذي نفسي بيده، لا يسأَلونني خطةً يُعظمون فيها حرماتِ الله إِلاّ أَعطيتُهم إِيّاها!!».

ولما أَقامَ رسولُ الله ﷺ في الحديبية، جاءَه (بُدَيْلُ بنُ وَرْقاء الخُزاعِيُّ) ـ زعيمُ قبيلةِ خُزاعة ـ وأَخبره عن عزمِ قريشٍ على قتالِه، وقال له: إِنَّ قريشاً صادّوكَ عن البيت ومقاتلوك!

فأَخبره رسولُ الله ﷺ بهدفه، وقالَ له: إِنّا لم نَجئ لقتالِ أَحد، وإِنما جئْنا

معتمرين، وإنَّ قريشاً قد نهكَتْهم الحربُ وأَضَرَّتْ بهم، فإنْ شاؤوا مادَدْتُهم مدة ـ أَعقدُ معهم صلحاً لمدةٍ معينة ـ ويخلّوا بيني وبينَ الناس، فإنْ أَظهر: فإنْ شاؤوا أَنْ يَدْخلوا فيما دخلَ فيه الناسُ فعلوا، وإلاّ فقد جَمّوا ـ أي: استراحوا من القتال ـ، وإنْ هم أَبَوا، فوالذي نفسي بيده لأُقاتلَنَّهم على أَمري حتى تنفردَ سالفتي، وَلَيُنْفِذَنَّ الله أمرَه.

ذهبَ بُدَيْلُ بنُ وَرْقاء إلى قريش، وأَخبرَهم بما قالَه له رسولُ الله ﷺ، فلم يسمعوا له، ولم يَقبلوا كلامَه.. فذهبَ بُدَيْلٌ عنهم!

المفاوضات بين الرسول وقريش في الحديبية:

وبدأَتْ مفاوضاتُ قريشٍ لرسول الله ﷺ، وأَرسلوا رسلَهم إليه.

كان أَوَّلَ موفَدٍ من قِبَلِهم (عُرْوَةُ بنُ مسعود الثقفي)، حيث جاءَ وكَلَّمَ رسولَ الله ﷺ، وعرفَ منه هدفَه من هذه الزيارة.. وعادَ عروةُ إلى قريش، ودَعاهم إلى الإذنِ للرسول ﷺ بأَداءِ العمرة ودخولِ البيتِ العتيق! لكنهم رفضوا كلامَه، فغضبَ منهم وتركَهم!

أَرسلتْ قريشٌ بعد ذلك (الحُلَيْس) سيدَ الأَحابيش.. فلما رآهُ رسولُ الله ﷺ قال: هذا من قومٍ يُعَظمون الهَدْيَ، فابْعَثوا البُدْنَ في وجهه، ـ البدن هي: الأَنعامُ المعدَّةُ للذبحِ عند أَداءِ العمرة ـ.

ولما وصلَهم(الحُلَيْس) بعثوا البُدْنَ أَمامَه، وصاروا يُلَبّون وهم بملابسِ الإحرام!

تأَثَّرَ (الحُلَيْسُ) بالمنظر، وقال: ما يَنبغي لهؤلاء المعتمرين أَنْ يُمْنَعوا من دخولِ بيتِ الله الحرام!

وعادَ الحُلَيْسُ إلى قريش، ونصحَهم بالسَّماحِ للمسلمين بأَداءِ العمرة. فذمّوه وقالوا: اجلس، فإنما أَنتَ أَعربيٌّ لا علمَ لك!!

فغضبَ الحُلَيْسُ منهم وتَرَكَهم!!

عند ذلكَ بعثَ رسولُ الله ﷺ (خِراشَ بنَ أُمَيَّةَ الخُزاعي) مفاوضاً لقريش نيابةً عنه، فلم يُحسنوا استقبالَه، وعَقَروا جملَه، وأَرادوا قتْلَه! فعادَ (خِراشٌ) لرسولِ الله ﷺ.

ثم بعثتْ قريشٌ موفَدَها الثالثَ لرسول الله ﷺ، وهو (مِكْرَزُ بنُ حفص).. فلما رآهُ رسولُ الله ﷺ قال: هذا رجلٌ فاجر!!

وكلَّمَ مِكْرَزٌ رسولَ الله ﷺ، ولكنهما لم يتفقا على شيء!

بعد ذلك استدعى رسولُ الله ﷺ عثمانَ بنَ عفان رضي الله عنه، وكلَّفَه بالذهاب إلى قريش لمفاوضتهم.

ولما وصلَ عثمانُ مكة، رفضوا مفاوضَتَه، وقالوا له: إنْ أَردتَ أَنتَ أَنْ تعتمرَ فافعل، أَمّا محمدٌ فوالله لا يدخلُها علينا عنوةً أَبداً!

رفضَ عثمانَ رضي الله عنه العرض، وقال: والله ما كنتُ لأَطوفَ بالبيتِ قبلَ رسول الله ﷺ!

واحتجزت قريشٌ عثمانَ رضي الله عنه في مكة، ووصلت الإشاعةُ للمسلمين أَنَّ عثمان قد قُتل! فغضبَ رسولُ الله ﷺ، وقال: (لن نبرحَ حتى نناجزَ القوم) أَخذاً بثأر عثمان!

ودعا رسولُ الله ﷺ الصحابةَ إلى مبايعتِه على الحربِ والصبرِ عليها، وعدمِ الفرار منها. ولو أَدّى ذلك إلى القتلِ والموت!! فبايَعوه على ذلك!

وبايعَ رسولُ الله ﷺ عن عثمان، حيثُ أَمسكَ بيدِه اليمنى الشريفة، وقال: هذه يدُ عثمان. وضربَ بها على يدِه اليسرى، وقال: هذهِ لعثمان! أي: هذه البيعةُ عن عثمان!

واتضحَ للمسلمينَ بعد ذلك أَنَّ خبرَ مقتلِ عثمان إشاعةٌ غيرُ صحيحة.

اتفاق رسول الله مع سهيل بن عمرو على عقد الصلح :

وأَخيراً بعثتْ قريشٌ سفيرَها ومفاوِضَها (**سُهَيْلَ** بنَ عَمْرو)، لمفاوضةِ رسولِ الله ﷺ، وفَوَّضوهُ في المفاوضةِ وعقدِ الصلح، على أَنْ يعودَ رسول الله ﷺ هذا العام إِلى المدينة!

وقالوا لسهيل: ائتِ محمداً، فصالِحْه، ولا يكونُ في صلْحِه إِلاَّ أَنْ يرجعَ عنا عامَه هذا، فوالله لا تتحدثُ العربُ أَنه دخلَ مكة علينا عنوةً أَبداً!.

ولما رأى رسولُ الله ﷺ سهيلَ بنَ عمرو قادماً استبشر، وبَشَّرَ الصحابة، وقالَ لهم: قد سَهَّلَ الله أَمركم، وقد أَرادَ القومُ الصلحَ حينما بعثوا هذا الرجل!

جلسَ سهيلُ بن عمرو إِلى رسول الله ﷺ، وفاوَضَه، وحَدَّثَه طويلاً.. واتفقا أَخيراً على إِجراءِ الصلح، الذي عُرِفَ بصلْحِ الحديبية.

وكان عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه مطَّلعاً على المفاوضاتِ بين رسول الله ﷺ وبين سُهيلِ بن عمرو، وعلى الاتفاقِ الذي يوشِكُ أَنْ يُوَقَّعَ بينهما، والذي ينصُّ على عودةِ المسلمين إِلى المدينة، بدونِ أَنْ يُؤَدوا العمرة، على أَنْ يعودوا العامَ القادمَ لأَداءِ العمرة!

ولم يكنْ عمرٌ رضي الله عنه راضياً عن الاتفاق، وكان صريحاً في اعتراضِه عليه، فجاءَ إِلى رسول الله ﷺ معترضاً:

قال: يا رسولَ الله: أَلسْنا على حقٍّ وهم على باطل؟

قال ﷺ: بلى!

قال عمر: أَليس قتلانا في الجنة وقَتلاهم في النار؟

قال ﷺ: بلى!

قال عمر: ففيمَ نُعطي الدنيةَ في ديننا، ونرجع، ولَمّا يحكم الله بيننا وبينهم؟

قال ﷺ: يا ابنَ الخطاب: إِني رسولُ الله، ولنْ يُضَيِّعني الله أَبداً!

فذهبَ عمرُ إِلى أَبي بكرِ الصديقِ رضي الله عنهما معترضاً، وسأَله الأسئلة نفسها، وتوافقت إِجاباتُ أَبي بكر مع إِجاباتِ رسول الله ﷺ!

ثم قالَ أَبو بكر لعمر: يا عمر: الْزَمْ غَرْزَه ـ أي: التزمْ بكلِّ ما يفعلُه رسولُ الله ﷺ، ولا تعترضْ عليه ـ إنه رسولُ الله، ولن يضيعَه الله أَبداً.

المسلمون يتعجبون من بنود الصلح:

وبعدما تَمَّ الاتفاقُ بينَ رسولِ الله ﷺ وبينَ سهيلِ بن عمرو على الصلح، استدعى رسولُ الله ﷺ عليَّ بنَ أَبي طالب رضي الله عنه، ليكتبَ كتابَ الصلح.

وعند كتابةِ كتابِ الصلح وقعتْ بعضُ الخلافاتِ الشكليةِ الظاهرية:

قالَ النبيُّ ﷺ لعلي: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم.

فاعترضَ سهيلٌ قائلاً: أَمّا الرحمنُ فوالله ما أَدري ما هو. ولكن اكتب: باسمك اللهمّ!

فقالَ له النبيُّ ﷺ: اكتب: باسمك اللهمّ!!

ثم قالَ ﷺ لعليّ: اكتب: هذا ما صالحَ عليه رسولُ الله ﷺ سهيلَ بن عمرو.

فاعترضَ سهيلٌ قائلاً: والله لو كنّا نعلمُ أَنك رسولُ الله ما صَدَدْناك عن البيت ولا قاتَلْناك! ولكن اكتب اسْمَك واسمَ أَبيك!

فقال ﷺ: والله إِني لرسولُ الله وإِنْ كَذَّبْتُموني.. اكتب: محمدَ بن عبد الله.

وكان الصحابةُ متألِّمين من الصلح، ومن بعضِ ما تَمَّ الاتفاقُ عليه، فقد جاؤوا مُحْرِمينَ بالعمرة، وكلُّهم شوقٌ للكعبة، والصلاةِ في المسجد الحرام، وهاهم يُمنَعون من ذلك هذا العام!

وكان مما تمَّ الاتفاقُ عليه أَنَّ مَنْ أَتى المدينةَ من أَهلِ مكة مسلماً، فعلى

النبي ﷺ أَنْ يُعيدَه إلى مكة، أَمّا مَنْ أَتى مكةَ من المسلمين مرتدّاً، فلا تعيدُهُ قريشٌ إلى المسلمين!

وشعرَ المسلمون أنَّ في هذا إِجحافاً عليهم، وأَنَّ قريشاً كسبتْ عليهم!

وشرعَ عليٌّ بن أَبي طالب رضي الله عنه يكتبُ كتابَ الصلح، بينما جلسَ بجانبه رسولُ الله ﷺ، وسُهيلُ بن عمرو.. والمسلمونَ ينظرون..

كتبَ عليٌّ كتابَ الصلح: «باسمك اللهم: هذا ما صالحَ عليه محمدُ بن عبد الله سهيلَ بن عمرو: على وضْعِ الحربِ عشرَ سنين، يأْمَنُ فيها الناس، ويكفُّ بعضُهم عن بعض.. على أنه مَنْ أَتى رسولَ الله ﷺ مِن أَصحابه بغيرِ إِذْنِ وليِّه، رَدَّهُ عليهم، ومَنْ أَتى قريشاً ممنْ معَ رسول الله ﷺ، لم يردّوه عليه....»!

ولما سمعَ المسلمون ذلك تعجَّبوا، وقالوا: سبحانَ الله: كيفَ يُرَدُّ المسلمُ إلى المشركين وقد جاءَنا مسلماً؟

مجيء أبي جندل بن سهيل هارباً من السجن:

وبينما المسلمون في تعجُّبِهم واستغرابِهم ودهشتِهم، حدثَتْ مفاجأَةٌ مذهلة، أَذهلت الجميع!!

فقبلَ أَنْ يوقِّعَ رسولُ الله ﷺ وسهيلُ بنُ عمرو كتابَ الصلح، أَقبلَ من مكة (أَبو جَنْدَل بنُ سهيل بن عمرو) يرسُفُ في قيوده!!

كان أَبو جندل قد اعتنقَ الإسلام في مكة، ووالدُه سهيلُ بن عمرو من زعماء قريش، المعادين للإِسلام، فغضبَ من إِسلامِ ابنه، ودعاهُ إِلى أَنْ يتخلّى عن الإسلام، ويعودَ إِلى دينِ آبائه! ولكنه أَبى وثبتَ على الحق!.. عند ذلك وضعَ والدُه القيودَ في يديْه ورجليْه، وأَلقاهُ في السجن!

وعلمَ أَبو جندل بقدومِ المسلمين إِلى مكة، ففرحَ واستبشر. إِنَّ المسلمين الآنَ في (الحديبية) القريبةِ من مكة.. ووالدُه سهيل هو الذي يفاوضُ رسولَ الله ﷺ باسمِ قريش.. لذلك لابدَّ أَنْ يُحاولَ الوصولَ للمسلمين!

بذلَ أَبـو جندل جهدَه في الخروجِ من السـجن، والتوجُّـهِ إِلى الحديبيـة للالتحاقِ بالمسـلمين، وأَعانه الله على ذلك، فتمكَّنَ من الخروجِ من السـجن، رغمَ قيودِه!

وتوجَّهَ أَبو جندل إِلى معسكرِ المسلمين وهو يرسفُ في قيوده، ولكنه كانَ في غايةِ الفرحِ والسرور لأَنه انضَّم إِلى إِخوانِه المسلمين، وصارَ بينَهم!

وقَدَّرَ اللهُ أَنْ يصلَ أَبو جندلٍ معسكرَ المسلمين في اللحظةِ التي فرغَ فيها والدُه من الاتفاقِ معَ رسول الله ﷺ، وفرغَ عليُّ بن أَبي طالب رضي الله عنه من كتابةِ كتاب الصلح، ولكنَّهما لم يوقِّعا عليه!

وصلَ أَبو جندل إِلى إِخوانه المسلمين مسلماً، وهو يرسفُ في قيوده، قبلَ أَنْ يوقعَ رسولُ الله ﷺ على الصلح.

وبما أَنَّ من بنودِ الصلح أَنْ يُعيدَ المسلمون كلَّ مَنْ جاءهم من أَهلِ مكة مسلماً، فماذا سيفعلون مع أَبي جندل؟ ووالدُهُ زعيمٌ من زعماء المشركين، وهو الآن يفاوضُ الرسولَ ﷺ!!.

ولما وصلَ أَبو جندل المسلمين، كانَ في غايةِ التعبِ والإِرهاق، وما أَنْ شَعَرَ بوجودِه عندهم، حتى أَلْقى بنفسِه بينهم، شاعراً بالأَمنِ والأَمان، والنجاةِ والاطمئنان!

ولكنَّ الأُمورَ في معسكرِ المسلمين لم تكنْ كما توقَّع أَبو جندل، فهناك مشكلةٌ جديدة، لم يعلمْ هو عنها، وستكونُ سبباً في عدمِ نجاتِه!

نظرَ سهيلُ بنُ عمرو إِلى الرجلِ القادم، وفوجئ به! لقد تركَ ابْنَه سجيناً في مكة، فما الذي أَتى به؟..

قامَ سـهيلٌ إِلى ابنِه، وضربَ وجْهَه بغصْنِ شـوكٍ كانَ في يدِه، وشَدَّهُ من رقبته، وجَذَبَه إِليه.. والمسلمونَ ينظرونَ إِليه...

وخاطبَ سهيلٌ رسولَ الله ﷺ قائلاً: هذا يا محمدُ أَوَّلُ مَنْ أُقاضيك، وعليكَ أَنْ تردَّه إِليّ، وفقَ بنودِ الصلح الذي بيننا!

فقالَ له رسولُ الله ﷺ: إِنّا لم نقْضِ الكتابَ بعد!

قالَ سهيل: إِذنْ لا أُصالحَك على شيء أَبداً، لنْ أُكاتبك على شيء حتى تَرُدَّهُ إِلَيّ!

قالَ رسولُ الله ﷺ: أَجِرْهُ لي!

فقالَ سهيلٌ بعناد وإِصرار: واللهِ لا أُجيرُه لك!

سهيل يطالب بابنه وسط استهجان المسلمين:

وعلمَ أَبو جندل أَنه سيُعادُ إِلى مكة مع أَبيه، وفوجئ بذلك، فاستنجدَ بإِخوانه المسلمين، ونادى بأَعلى صوته: يا معشر المسلمين: أَأُرَدُّ إِلى المشركين، يفتنوني في ديني؟ ألا ترون ما قد لقيتُ من العذاب؟

ولم يَستطع المسلمونَ أَنْ يفعلوا له شيئاً! وكان الأَلَمُ والحزنُ يقطعُ قلوبَهم! فالصلحُ قَيَّدَهم، وجعلَهم عاجزين عن نصرتِه!!

ازدادَ المسلمون حُزناً على ما بهم من حُزْن.. ولم يملكوا لأَخيهم أَبي جندل إلاّ البكاء، فبكوا إِشفاقاً عليه...

وكان اثنان من المشركين ضمنَ الوفدِ المفاوض، هما: (مِكْرَزُ بنُ حَفْص) و (حُوَيْطِبُ بنُ عبد العُزّى)، وشاهدا التأَثُّرَ على المسلمين، الذي وصلَ إِلى درجةِ البكاء!

فقالَ حُوَيْطِب لِمكْرَز: ما رأيتُ قوماً قط أَشَدُّ حباً لمن دخلَ في دينهم من أَصحابِ محمد لمحمد، ومن بعضِهم لبعض!.. انظرْ إِليهم يبكونَ إِشفاقاً على أَبي جندل، لعجْزِهم عن نصرتِه وإِنقاذِه، مع أَنهم لم يلتقوا به من قبل!!

وتدخَّلَ حويطبٌ ومكرزٌ أَمامَ إِصرارِ سهيل بن عمرو على استردادِ ابنه، فقالا لرسول الله ﷺ: نحنُ نجيرُه لك!

أَجارا أَبا جندل إِلى حين، وأَدخلاهُ خيمةً مجاورة!

لكن لابدَّ أَنْ يعادَ إِلى أَبيه، وفقَ بنودِ الصلح الذي تمَّ التوقيعُ عليه، وأَبو جندل أَولُ رجلٍ يأتي الرسولَ ﷺ مسلماً!

قامَ سهيلُ بنُ عمرو إِلى ابنِه أَبي جندل، وأمسكَ بيده ليأخذَه معه، ويعودَ به إلى مكة!

وأَوصى رسولُ الله ﷺ أَبا جندل قائلاً: يا أَبا جندل: اصبرْ واحتسب، فإِنَّ الله جاعلٌ لك ولمن معك فَرجاً ومخرجاً! وإِننا قد عقَدْنا بيننا وبين القومِ صُلْحاً، وأَعطيناهم على ذلك عهداً، وأَعطونا عهداً، وإِننا لا نَغْدر!!

أسئلة عمر الحزينة للرسول وللصديق:

وجاءَ عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه، وهو متألمٌ حزين، لما يحصلُ لأَبي جندل، ومعترضٌ على ما يَجري!

فقالَ لرسولِ الله ﷺ: يا رسولَ الله: أَلستَ رسولَ الله؟

قال ﷺ: بلى!

فقال عمر: أَلَسْنا على الحقِّ وعدوُّنا على الباطل؟

قال ﷺ: بلى!

فقال عمر: فَلِمَ نُعْطِ الدنيةَ في ديننا؟

قالَ ﷺ: إِنِّي رسولُ الله، ولستُ أَعصيه، وهو ناصِري!!

قال عمر: أَوليسَ كنتَ تحدِّثُنا أَنك ستأتي البيت، فنطوفَ به؟

قالَ ﷺ: بلى. أَفأخبرتُك أَنك تأتيه هذا العام؟

قال عمر : لا .

فقال ﷺ : فإنك آتيه ، ومُطَوِّفٌ به !

ثم ذهبَ عمرُ إلى أَبي بكر الصديق رضي الله عنهما . فقال له : يا أَبا بكر : أَليسَ محمدٌ رسولَ الله حقاً ﷺ ؟

قال الصديق : بلى !

فقال عمر : أَلَسْنا على الحقِّ وعدوُّنا على باطل ؟

قال الصديق : بلى !

فقال عمر : فَلِمَ نُعطِ الدنيةَ في ديننا ؟

قال الصديق : أَيّها الرجل : إنه لرسولُ الله ﷺ ، ولا يعَصي رَبَّه ، وهو ناصرُه ، فاستمسكْ بغَرْزِه ، فواللهِ إنه على حق !

فقال عمر : أَليسَ كان يحدِّثُنا أَنّا سنأتي البيتَ ونطوفُ به ؟

قال الصّدّيق : بلى . أَفَأَخبرك أَنك تأتيه هذا العام ؟

قال عمر : لا .

قال الصديق : فإنكَ آتيه ، ومُطَوِّفٌ به .

ويلاحَظُ التطابقُ التامُّ بين إِجاباتِ رسول الله ﷺ وإِجاباتِ أَبي بكر الصديق رضي الله عنه ! !

وقد شعرَ عمرُ بعد ذلك بأنه أخطأ في ألمه واعتراضِه وأسئلتِه التي ألقاها على رسول الله ﷺ ، فأكثرَ من الصدقةِ والعتقِ والأعمال الصالحة ، وهو يخشى مما قالَه في ذلك اليوم !

عمر يلوح لأبي جندل لقتل أبيه :

انتهت المفاوضاتُ بإجراءِ صلحِ الحديبية ، وتمَّ التوقيعُ عليه بينَ رسولِ الله ﷺ وسهيلِ بن عمرو !

واستعدَّ سهيلُ بن عمرو والوفدُ المرافقُ له للعودةِ إلى مكة، وصحبَ معه ابنه أبا جندل، الذي يرسُفُ في قيوده!

وشاهدَ عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه أبا جندل رضي الله عنه يمشي حزيناً إلى جانبِ أبيه، وهو ذاهبٌ به إلى السجن في مكة!

إنَّ عمرَ يعلمُ أَنه عاجزٌ عن إنقاذِ أَبي جندل، ويعلمُ أنه لا يجوزُ له أن ينقض الصلح، الذي أجراه رسول الله ﷺ، بمعنى أنه لا يجوز أنْ يقولَ لأبي جندل: خُذْ هذا السيف، واقتُلْ به أباك!

فاستعاض عمرُ عن التصريحِ بالتلميح!

قامَ عمرُ إلى جنبِ أبي جندل، الذي كان يمشي إلى جانب أبيه، وكان عمرُ متقلِّداً سيفَه، فصارَ يمشي إلى جانب أبي جندل، ويُدني سيفَه منه، وكأنَّه يدعوهُ إلى أنْ يأخُذْه، ويقتلَ به أباه!!.

وصارَ يكلمُه بالتعريضِ ليُفْهَمَه هذا. قالَ له: يا أبا جندل: اصبر واحتسب، وهم مشركون، ودَمُ أحدِهم دَمُ كلب!!

يكلمُه، ويقتربُ منه كثيراً، ويلصقُ سيفَه به! وكأنه يقولُ له: خُذْ هذا السيفَ مني، واقتلْ به أباك، لأنه مشرك، ودمُ المشرك دمُ كلب!

ولكنَّ أبا جندل لم يفعلْ ذلك، وفضَّلَ أنْ يذهبَ مع أبيه، حيثُ السجنُ والمحنة، وهو صابرٌ محتسب!

وعلَّق عمر على ذلك بقوله: لقد ألمحتُ له أنْ يقتلَ أباه بالسيف، ولكنَّهُ ضَنَّ بأبيه فلم يفعلْ ذلك!

وقد وَضَّحَ أَبو جندل بعدَ ذلك موقفَه، فقال: لقد فهمتُ إشارةَ عمر، ودعوتَه لي لأَخْذِ السيف وقتْلِ أَبي، وما ضننتُ بأَبي، ولكنني ما أحببتُ أَنْ أنقضَ عهدَ رسولِ الله ﷺ!

وهذا الموقفُ دليلٌ على بُعْدِ نظرِ أَبي جندل وجنديتِه وانضباطِه، والتزامِه بما التزمَ به المسلمون، لأنه يُشعرُ بأنَه واحدٌ منهم!

وانتهى صلحُ الحديبية، وعادَ المسلمونَ مع رسول الله ﷺ إلى المدينة.. وأنزلَ الله عليه وهو في الطريق سورةَ الفتح، التي نصتْ على أنَّ صلحَ الحديبية كانَ فتحاً مبيناً، ونصراً عظيماً عزيزاً! رغمَ ما فيه من شروط، رآها بعضُ الصحابةِ ظالمةً مجحفة!!

وعادَ أَبو جندل رضي الله عنه إلى مكةَ مع أَبيه.. ووضعَهُ أَبوه في السجن، وضاعفَ عليه القيودَ والأَغلال!

وتلقى أَبو جندل المحنةَ بصبرٍ واحتساب، وسلَّمَ أَمْرَه إلى الله، وثبتَ على دينه، وأَيقنَ أَنَّ الفرجَ سيأْتيه بإِذنِ الله..

أبو بصير يهرب من سجنه إلى المدينة:

وكان بعضُ المسلمين المستضعفين في مكة، يُسجنون ويُفتنون، ويُعَذَّبون من قبلِ المشركين، ولكنهم كانوا يَثبتونَ على دينهم، ويتحمَّلون كلَّ ما يصيبُهم ابتغاءَ مرضاةِ الله، وَيصبرون ويَحتسبون، ويتقربون بذلك إلى الله!

من هؤلاءِ المستضعفين الثابتين المسجونين: أَبو جندل بنُ سهيل بن عمرو، الذي عَرَفْنا قصةَ إِعادةِ أَبيه له من الحديبية، قبلَ قليل!

ومنهم أيضاً شابٌ، ممتلئ شباباً وحيوية، وفطنةً وحكمة، وقوةً وهمة! إِنه (عُتْبَةُ بن أُسَيْد بن جارية) الثَّقفي - حليفُ بني زهرة - الملقَّبُ بأَبي بصير!

هو ثقفيٌّ من الطائف، لكنه حالَفَ بني زُهرة في قريش، وأَقامَ في مكة، فصارَ معدوداً في قريش!

ولما أَسلمَ (أَبو بصير) سَجَنَه وآذاه الأَخنسُ بن شريق، لئلا يذهبَ إلى المدينة، ويلحقَ برسول الله ﷺ!

ولكن أَبا بصير تمكَّنَ من تحطيمِ قيودِ السجن، وغافلَ سَجّانيه، وتوجَّه مهاجراً إِلى المدينة، ليلتحقَ بالمسلمين، ويسعدَ بالحياةِ مع رسول الله ﷺ.

أَقامَ أَبو بصير بين إِخوانه في المدينة فترةً مباركة سعيدة!

قريش ترسل رجلين لاستلامه وإعادته:

ولما علمَ الأَخنسُ بنُ شريق بهربِ أَبي بصيرٍ من سجنه، وهجرتِه إِلى المدينة، اتفقَ هو و(أَزْهَرُ بْنُ عبدِ عوفِ الزهري) على إِعادته إِلى مكة، وتطبيقِ البندِ الخاصِّ من بنودِ صلح الحديبية، الذي ينصُّ على أَنْ يُعيدَ المسلمون كلَّ مَنْ أَتاهم مهاجراً من مكة!

استأجرَ الأَخنسُ وأَزهر رَجلاً من بني عامر بن لؤي، اسْمُه (خُنَيْسُ بن جابر)، ومعه غلامٌ له، يقال له (كَوْثَر)، ليأتيا المدينة، ويُعيدا أَبا بصيرٍ إِلى السجن!!

وكتبَ الأَخنسُ بنُ شريق كتاباً إِلى رسول الله ﷺ، يخبرُه فيه بهربِ أَبي بصير، ويطالبُه بتسليمِه للرجليْن القادميْن، تنفيذاً لبنودِ صلحِ الحديبية.

وصلَ خنيسُ بنُ جابر العامريُّ وغلامُه المدينة، وقابلَ رسولَ الله ﷺ، وسلَّمَه كتابَ الأَخنس بن شريق.

واستدعى رسولُ الله ﷺ أُبَيَّ بْنَ كَعب رضي الله عنه، ليقرأَ عليه الكتاب. ومما جاءَ في الكتابِ قولُ الأَخنس: قد عرفْتَ يا محمد ما شارَطْناكَ عليه، وأَشهدْنا بيننا وبينك، مِن رَدِّ مَنْ قَدِمَ عليك مِنْ أَصحابنا. فابعَثْ إِلينا بصاحبنا أَبي بصير.

إِنَّ العقدَ ملزم، وبما أَنَّ كفارَ قريش يُطالبون بأَبي بصير، فلابدَّ أَنْ يُعيدَهُ رسولُ الله ﷺ إِليهم.

وهذا ما فعلَه رسولُ الله ﷺ بأَبي جندل على أَرضِ الحديبية، عندما طالبَ به أَبوه، وهذا ما يجبُ أَن يفعلَه بأَبي بصير (عُتْبَةَ بْنُ أُسَيْد الثقفي).

الرسول يعيد أبا بصير معهما وسط حزن المسلمين:

استدعى رسولُ الله ﷺ أبا بصير رضي الله عنه، وأَخبرَه خبرَ كتابِ الأَخنس، ومهمةَ الرجليْن القادميْن لاسترداده، وأَمرَهُ أَنْ يعودَ معهما إِلى مكة.

وتكررَ مشهدُ إِعادةِ أَبي جندل في الحديبية مرةً ثانية، تكررَ في المدينة هذه المرة، وهو مشهدٌ عاطفيٌّ مؤثّر، وتجدَّد حزنُ المسلمين وأَلَمُهُم بالنسبة لأخيهم أبي بصير، لأَنه ذاهبٌ إِلى الابتلاءِ والعذابِ والسجنِ في مكة.

وكان حزنُ وأَلمُ أَبي بصير كبيراً بالغاً! أَبعدَ أَنْ تمكَّنَ من النجاةِ والوصولِ إِلى إِخوانه في المدينة يُعادُ إِلى السجنِ والتعذيب في مكة؟. كم بذلَ جهداً للخلاصِ من قيودِه! وكم خَطَّطَ للهربِ من السجن! وكم لقيَ من التعبِ والمشقةِ والمعاناةِ حتى وصلَ المدينة! وهاهو الآنَ بين إِخوانِه المسلمين، آمِناً مطمئناً، سعيداً راضياً! أَبَعْدَ كلِّ هذا يُعادُ إِلى التعذيبِ والقيودِ والسجن؟؟.

حاورَ أَبو بصير رسولَ الله ﷺ على مسمعٍ من كبارِ الصحابة، كأَبي بكر وعمر، رضي الله عنهما.

قالَ: يا رسولَ الله: تردُّني إِلى المشركين، يَفتنوني في ديني؟

أَجابَهُ رسولُ الله ﷺ بقوله: يا أَبا بصير: إِنا قد أَعطينا هؤلاء القومَ ما قد علمت، ولا يصلحُ لنا في ديننا الغَدْر، وإِنَّ الله جاعلٌ لك ولمن معك من المسلمين المستضعفين فَرَجاً ومَخرجاً!!

أَعادَ أَبو بصير رضي الله عنه السؤال: يا رسولَ الله: تردُّني إِلى المشركين، يَفتنوني في ديني؟

فقالَ له رسولُ الله ﷺ: انطلقْ معهما يا أَبا بصير، فإِنَّ الله سيجعلُ لك فرجاً ومخرجاً!

لقد أَخبرَه رسولُ الله ﷺ أَنه ملتزمٌ ببنودِ صلح الحديبية، وهذه البنودُ تنصُّ

على وجوبِ إعادةِ أَبي بصير، والوفاءُ بالعهدِ واجب، والغدرُ محرمٌ حتى مع الكفار!

هذه هي آدابُ الإسلام، وأَخلاقُ المسلمين المرتبطةُ بإسلامهم!.. أَينَ هذا السموُّ الأَخلاقيُّ من أَفعالِ وأَخلاقِ المشركين واليهود، القائمةِ على المزاجيةِ والهوى، والمنفعةِ والمصلحة! فإذا كان العهدُ نافعاً مفيداً لهم أَعلنوا التزامَهم به، وإِذا لم يَعُدْ نافعاً لهم بادروا إِلى نَقْضِه!!

التزمَ رسولُ الله ﷺ بالعهد، رغمَ أَنه يؤدّي إِلى وقوعِ الضرر والأَذى ببعض أَتْباعه، لأَنه لا يجوزُ الغدرُ والخيانة، كأَبي جندل في الحديبية، وأَبي بصير الآن!

وقد فتحَ رسولُ الله ﷺ لأَبي بصير بابَ الأَمل، والرجاءَ بالفرجِ من عند الله وهو بذلك يَدْعوه إِلى حسنِ التوكلِ على الله، وإِحسانِ الظَّنِّ به؛ فالسجنُ لا يَدوم، والمحنةُ لا تبقى، والضيقُ والعسرُ إِلى انتهاء، وإِنَّ مع العسر يسراً!!

أبو بصير يفكر في وسيلة للنجاة:

وهكذا قررَ رسولُ الله ﷺ إِعادةَ أَبي بصير مع الرجلَيْن إِلى مكة، واستعدَّ أَبو بصير للانطلاقِ معهما!

زَوَّدَهُ إِخوانُه المسلمون بكيسٍ من التمر، وودَّعوه بحزنٍ وأَلم، لأَنهم يعلمونَ إِلى أَين ذاهب! وأَوصوه بأَنْ يتوكَّلَ على الله، ويطلبَ الفرجَ منه. وقالوا له: اصبر وأَبشر يا أَبا بصير، فإِنَّ الله سيجعلُ لك فرجاً ومخرجاً، والرجلُ يكونُ أَحياناً خيراً من أَلفِ رجل!!.

وضعَ العامريّان القيودَ في رجلَيْ أَبي بصير، وأَركباه الدابة، وودَّعَ أَبو بصير رسولَ الله ﷺ، وإِخوانَه المسلمين، ولعلَّه كان الوداعَ الأَخير!!.

وسارَ الرجالُ الثلاثةُ إِلى مكة، وشَيَّعَ المسلمون أَخاهم أَبا بصير، بمشاعرِ الحزنِ والأَسى، ونظراتِ الإِشفاقِ والحسرةِ والأَلم!!

وغادرَ الرجالُ الثلاثـةُ المدينـة . . وكانت مشـاعرُ أَبي بصير تتفاعَلُ في داخله :

فَكَّرَ في نفسِه ، وحَدَّثَها قائلاً : هل أَعودُ إلى مكة ، وأَرجعُ إلى الأَخنسِ بن شريق؟ ليدخلَني السجنَ والمحنةَ من جديد؟ لقد هاجرتُ إلى رسول الله ﷺ في المدينة ، ولكنَّ صلحَ الحديبية أَلزمَه بتسليمي! وهو لا ضَيْرَ عليه في ذلك! وأنا عَلَيَّ أَنْ أَتصرف! عَلَيَّ أَنْ أُفكرَ في طريقةٍ أَنجو فيها من السجنِ والتعذيب!

وأَلهمه الله طريقةً للخلاص ، وخططَ لها تخطيطاً مناسباً ، وما بقيَ إلاّ التنفيذ!

تمَّ كلُّ هذا وهو على الدابة ، يقودُه العامريان ، وهو مخفورٌ مقيدٌ بالقيود ، وهو معهما صامت ، الأَفكارُ تجول في رأسه ، وهما غافلان ، لا يدريان بماذا يُفكّر ، ولا في ماذا يُخَطط ! ! .

أبو بصير يقتل العامري عند ذي الحليفة :

وصلَ الرجالُ الثلاثةُ إلى (ذي الحُلَيْفَة) ، وهو موضعُ إحرامِ أَهلِ المدينة بالحجِّ والعمرة ، وهو قريبٌ من المدينة ، واسمهُ الآن (آبار علي)!

ونَزَلوا في (ذي الحليفة) للاستراحةِ وتناوُلِ الطعام! وصارَ العامريان يراقبان أَبا بصير في أَفعاله ، ويحرسانه!

أَمّا أَبو بصير فقد توضَّأ ، ثم صَلّى ، ودعا الله تعالى .

وبعد ما انتهى من صلاتِه جلس قريباً منهما ، وأَسندَ ظهره إلى جدار ، وتناولَ كيس التمر ، وأَخرجَ منه تمراً ليأكلَه!

ووجدَ الفرصةَ مناسبةً لتنفيذِ الخطة التي رسَمَها في ذهنه ، للخَلاصِ من قيوده ، وعَمِلَ على تنفيذها فوراً!

دعا أَبو بصير العامريَّين ليشاركاه طعامَه ، وقالَ لهما : تفضَّلا وكُلا معي!

ردَّ عليه (خُنَيْس) قائلاً: لا حاجةَ لنا في طعامك، فَمَعَنا طعامُنا!

عند ذلك أَحرجهما أَبو بصير بقوله: أَما أَنا فأُحبُّ أَنْ آكلَ معكما، ولو دعوتُماني إلى الطعام لَلَبَّيْتُ الدعوةَ وأكلتُ معكما!

فاستحييا من كلامه، وأَحضرا معهما كِسراً من خبزٍ يابس. وتناوَلَ خُنَيْسُ ابنُ جابر سيفَه الذي عَلَّقَه بالجدار! وقَدِما إلى أَبي بصير، وجَلسا يأكلان معه!!

وتجاذبوا أَطرافَ الحديث، وكان أَبو بصير هو الذي يُديرُ دفةَ الحديث لحاجةٍ في نفسه.

سألَ أَبو بصير الرجلَ قائلاً: يا أَخا عامر: ما اسْمُك؟

قال: خُنَيْس!

قالَ أَبو بصير: خُنَيْسُ ابْنُ مَنْ؟

أجابه: خنيسُ بن جابر!

وبعدما انتهوا من الطعامِ استمرّوا في الحديث، وسَلَّ خنيسٌ سيفَه، وهَزّه في الهواء، وصارَ يُمَنّي نفسَه بقتلِ المسلمين، وقال: لأَضْرِبَنَّ بسيفي هذا الأَوْسَ والخزرج من المسلمين، من الصباحِ إلى الليل، وأَقتلُ به العشراتِ منهم!

قال لَه أَبو بصير: يا خنيس: هل سيفُك صارمٌ حادّ؟

قال خنيس متباهياً متفاخراً: نعم، إنه صارم!

قالَ أَبو بصير: هل لك أَنْ تُناولَني إياه لأَنظرَ إليه؟

نسيَ العامريُّ مهمتَه، ونسيَ أَنّ الذي أَمامه هو الرجلُ الهاربُ من قومه، وتصرَّفَ بمنتهى الغفلة! فناولَ أَبا بصير السيف، وقالَ له: انظرْ كم هو صارمٌ حادّ!!

وحانت لحظةُ تنفيذِ الخطةِ التي خَطَّطَ لها أَبو بصير طيلةَ الطريق، والتي

تقودُ إلى حريته وإنقاذه، فما خنيسُ العامري إلاّ كافرٌ مشرك، عدوٌّ من أَعداءِ الله، وعدوٌّ لأَبي بصير، يُريدُ أَنْ يُعيدَه إلى السجن، فدمُه هدر، وقتْلُه حَلال!!

تناولَ أَبو بصير السيفَ، وقَلَّبَه بين يديْه، ينظرُ إليه، وأَبدى للعامريِّ إِعجابَه به وثناءَه عليه، وكان العامريُّ ينظرُ إليه ببلاهة!

وفجأة، انقضَّ أَبو بصير على خنيسِ العامري بالسيف، وضربَهُ به ضربةً أو ضربتيْن فقضى عليه، وسرعان ما تحوَّلَ إلى جثةٍ هامدة!

غلام العامري يخبر الرسول بقتل سيده:

فوجئَ غلامُ العامريّ (كَوْثَر) بما يرى، وسيطرَ الذعرُ والهلعُ عليه.. فهاهو سيدُه العامريُّ جثةً هامدة، وهاهو أَبو بصير يحملُ السيف.. فأَطلقَ ساقيه للريح، وولّى هارباً..

إلى أَينَ يذهب؟

المدينةُ هي أَقربُ مكانٍ إليه، فلْيذهبْ إليها، ولْيخبرْ رسولَ الله ﷺ بما فعلَه أَبو بصير!

ركبَ (كوثر) دابَّتَه، وتوجَّهَ نحوَ المدينة!

وأَمّا أَبو بصير، فقد فكَّ قيودَه التي على رجليْه، وجلسَ في ذلك المكان قليلاً ليستريح!

حمدَ أَبو بصير ربَّه، وشكَرَه على ما أَلهمه به، فقد جعلَ له فرجاً ومخرجاً، وكان ذلك المخرجُ سريعاً، والفرجُ مباشراً فورياً.

إنَّ أَبا بصيرٌ بصيرٌ فعلاً، يتمتعُ ببصيرةٍ إيمانية، وذكاءٍ فطري.. وهاهو قد نالَ حريتَه، فلم يسرْ مع العامريِّ إلى السجن في مكة، ذليلاً مطأطئ الرأس، وإنما أَنقذَ نفسه بحسنِ تخطيطِه وتفكيره، وهذا كلُّه فضْلٌ من اللهِ عليه!

أَخَذَ أَبو بصير ما معَ عدوِّه القتيلِ من مالٍ ومتاعٍ وسلاح، ووضعَه على

بعيرِه، وعادَ إلى المدينة، عندَ رسول الله ﷺ!

وصلَ (كوثر) غلامُ العامريِّ المدينةَ قبلَ أَبي بصير، وكان خائفاً فزعاً مذعوراً، وتوجَّه فوراً إلى المسجد، ليخبرَ رسولَ الله ﷺ بما جرى!

كان رسولُ الله ﷺ جالساً مع مجموعةٍ من أَصحابه، ونظرَ إلى (كوثر) وهو يعدو مقبلاً عليه.

فقالَ ﷺ: أَما هذا الرجلُ فقد رأى ذُعْراً!

أي: رأى هذا الرجلُ شيئاً يُخيفه، فهو مذعورٌ خائف.

وقفَ (كوثر) أَمامَ رسول الله ﷺ، لايكادُ يلتقطُ أنفاسَه.

فقال له رسول الله ﷺ: مالَكَ، وَيْحَك؟

قال كوثر: لقد قتَلَ صاحبُكم أَبو بصير سيدي العامري، وأَرادَ قتلي، فهربتُ منه، ونجوتُ منه بأعجوبة!

دَعا الرسولُ ﷺ كوثرَ إلى الجلوس قليلاً ليستريح!

أبو بصير أمام رسول الله ويفهم إشارته:

وبعد فترةٍ قصيرة جاءَ أَبو بصير رضي الله عنه، وهو واضعٌ (سَلَبَ) العامريِّ على بعيره، وهو متوشحٌ سيفه!

أَناخَ أَبو بصير بعيرَه قريباً من رسول الله ﷺ.. ثم توجَّه إلى رسولِ الله ﷺ والصحابةِ الجالسين حوله.. وسلَّمَ عليهم، فردَّ رسول الله ﷺ السلام!

ونظرَ الصحابـةُ إلى أبي بصير بإِعجاب، أُعجبـوا بذكائه وفطنته وحسنِ تصرُّفه، ودقةِ تخطيطـه... ولماذا لا يُعْجبون به، ولا يَفخرون بموقفـه؟ فقد غادرهم قبلَ فترةٍ قَصيرة مخفوراً مقيداً، يسوقُه العامريُّ ليضَعه في السـجن، فتخلَّصَ منه، واستردَّ حريتَه، وتمكَّنَ من قتله!

خاطبَ أَبو بصير رسولَ الله ﷺ بأَدَب، وقال له: أَمّا أَنْتَ يا رسولَ الله فقد وَفَّتْ ذمتُك، وأَدّى الله عنك.. أَسلمتني إِلى العدو، وفقَ بنودِ الصلح.. وأَنا خلَّصْتُ نفسي، وامتنعْتُ بديني!!

أَبدى رسولُ الله ﷺ إِعجابَه بموقفِ أَبي بصير وفطنتِه وذكائِه. وقال كلمةً عجيبة، تحملُ إِشارةً هامة!

قالَ عن أَبي بصير: «وَيْلَ أُمِّهِ، مُسَعِّرُ حَرْبٍ لو كانَ مَعَهُ رجال.»!

ما معنى هذه العبارةِ العجيبة، التي أَطلقها رسولُ الله ﷺ؟

«وَيْلُ أُمِّه»: كلمةُ تَحَبُّب، لا يرادُ بها حقيقةُ الدعاء على أُمِّه بالويلِ والخسارة، وإنما هي عبارةٌ عن إعجابٍ وثناء.

و«مُسَعِّرُ حرب» عنده قدرةٌ على تسعيرِ الحرب، وإشعالِ المعارك، وإشغالِ الكفار وإرباكهم.

له قدرةٌ على ذلك لما يملكه من بصيرةٍ نافذة - فهو أبو بصير - وفطنةٍ قوية، وذكاءٍ لَمّاح، وحسن تخطيطٍ وتنظيم، وقوةِ شخصية، وعلوِّ همة.. وهذه المواهبُ والقدراتُ تنفعُ في تسعيرِ الحرب!.

والذي يَحتاجُ إليه أبو بصير هو الرجالُ الأقوياءُ المحاربون، ليكونوا جنوداً معه في الجهاد، ووقوداً في المعركة! فلو كانَ معه رجالٌ لَشَنَّ على الكفارِ معاركَ ناجحة: «مُسَعِّر حرب لو كان معه رجال».

سمع أبو بصير رضي الله عنه عبارةَ رسولِ الله ﷺ، وأحسنَ فهمَ معناها ودلالتَها وإشارتَها.. وكأَنَّ الرسولَ ﷺ يأْذَنُ لأبي بصير - بالتلميحِ - بالقيام بعملياتٍ جهادية ضدَّ الكفار، وكأنه يدعو بعضَ المسلمين ليشاركوه في ذلك.

الرسول يأذن لأبي بصير بالذهاب حيث يشاء:

جاءَ أبو بصير رضي الله عنه بسَلَبِ خُنَيْسِ العامريِّ إلى رسول الله ﷺ، وهو

سيفُه ورحلُه ومتاعُه. وقال: خَمِّسْهُ يا رسولَ الله!

وتخميسُ السَّلَب بتقسيمِه إلى خمسةِ أخماس، باعتبارِه غنيمةً من الكفار، يُعطى الخمسُ لرسول الله ﷺ، ويأخذُ المجاهدون أربعةَ أخماس.. وخمسُ رسول الله ﷺ يُقَسَّمُ إلى خمسة أخماسٍ أخرى، فيُعطى الخمسة أصناف: لله وللرسول، ولذي القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل.

وهذا التخميسُ هو الذي أشارَ له قوله تعالى: ﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ...﴾ [الأنفال: ٤١].

طلبَ أبو بصير من رسول الله ﷺ أن يأخذَ خمسَه الذي فرضَه اللهُ له، من سَلَبِ العامري، وهذا من التزامِه بأحكامِ الدين، وشعورِه بالانتماءِ الحقيقي لجماعةِ المسلمين.

ولكنَّ رسولَ الله ﷺ رفضَ تخميسَ السَّلَب، وقالَ له: «إني إذا خمستُهُ لك لم أفِ لهم بالذي عاهدتُهم عليه!».

أي أنَّ رسولَ الله ﷺ إذا رضيَ بتقسيمِ سَلَبِ العامري، وأَخَذَ منه الخمس، فمعناهُ أنه راضٍ عن قتلِ أبي بصيرٍ للعامري، وموافقٌ عليه، ولا يكونُ بذلك منفِّذاً لبندِ صلحِ الحديبية، ولا موفياً لقريشٍ بما عاهَدهم عليه.

وقالَ ﷺ لأبي بصير: سَلَبُ العامريِّ لك؟

ثم قالَ ﷺ لكوثر غلامِ العامري: هل تريدُ أنْ ترجعَ بأبي بصير إلى أصحابِك في مكة؟ إنْ أردتَ فافعل!!

وكيف يفعلُ كوثر ذلك؟ وقد رأى من قوةِ أبي بصير ما رأى؟ وقد شاهدَ مصرعَ سيدِه العامريّ أمامه؟ هل يريدُ أنْ يقضيَ على حياته؟ لا!

لذلك أجاب كوثرٌ فوراً: إني أخافُ أنْ يقتلَني أبو بصير، ولا أريدُ أنْ أعودَ به إلى مكة!!.

عند ذلك قالَ رسولُ الله ﷺ لأبي بصيرٍ رضي الله عنه : اذهبْ حيثُ شئت ! ! .

وبذلك نالَ أبو بصير حريتَه ، وسَلِمَ من الفتنة ، ونجا من السجن !

أبو بصير يبحث عن منطقة محايدة :

أجازَ رسولُ الله ﷺ لأبي بصيرٍ رضي الله عنه أن يذهبَ حيثُ شاء !

لكن : أيْنَ يذهب؟

لا يجوزُ أنْ يبقى في المدينة ، مُقيماً بين إخوانِه المسلمين ، لأنه(خارجٌ) على قانونِ قريش ، و(قاتلٌ) لأحَدِ المشركين ! ولو أبقاهُ رسولُ الله ﷺ في المدينة لكانَ مخالفاً لبنودِ صلحِ الحديبية ، وكان مُقَدِّماً (المأوى) للقتلةِ والخارجين على نظامِ قريش ! .

ولو بقيَ أبو بصير في المدينة فسوفَ يُرسلُ الأخنسُ بن شريق رجالاً آخرين ، مطالباً بتسليمِ أبي بصير ، والرسولُ ﷺ ملزمٌ بتسليمه لهم ، كما فعلَ مع العامريَّيْن . .

وإذا كان أبو بصير قد خلَّصَ نفسَه هذه المرة وقَتَلَ العامريَّ ، فأغلبُ الظنِّ أنه لن ينجو في المرةِ القادمة ، لأنهم سيحتاطون وينتبهون له !

إذن : لا مكانَ لأبي بصير في المدينة ، ولا في أيَةِ بقعةٍ من الأرض ، خاضعةٍ لسلطانِ رسول الله ﷺ !

والرسولُ ﷺ خَيَّرَهُ في الذهابِ حيثُ يشاء . .

فلْيبحثْ لـه عن بقعةٍ من الأرض (محايـدة)! فـلا هي خاضعـةٌ لسلطانِ رسولِ الله ﷺ ، حتى لا يُحرجَهُ أَمامَ قريش ! ولا هي خاضعةٌ لسلطانِ قريش ، حتى لا يُلقوا القبضَ عليه ! ! .

أبو بصير ينشئ قاعدة جهادية على سيف البحر :

وبعدَ بحثٍ وتفكيرٍ وتقليبِ وجهاتِ النظر ، وَجَدَها .

إنها منطقةٌ على ساحلِ البحرِ الأَحمر، تسمّى (سَيْفَ البحر) . . بين (العيص) و(ذي المروة)، من أَرْضِ (جهينة)!

و (سيفُ البحر) منطقةٌ استراتيجيةٌ حسّاسة، لأَنها واقعةٌ على طريقِ قوافلِ قريش التجارية، المتوجّهة إلى الشام!

اختارَ أَبو بصير الذهابَ إلى (سيف البحر) ـ أَو العيص ـ لأَنها ليست خاضعةً لسلطان رسول الله ﷺ، ولا لسلطانِ قريش، وسيكونُ لها أَثرٌ مباشرٌ على خطوتِه التالية!

ركبَ أَبو بصير بعيرَه، وحملَ سلاحَه، وأَخذ معه ما تبقّى من التمر، وغادرَ المدينة، متوجّهاً إلى سيف البحر!!

وصلَ أَبو بصير (سَيْفَ البحر) ـ أَو العيص ـ واتخذَ مكاناً آمناً فيها، ونفَد ما معه من التمر، بعد أَيامٍ من وصوله، وكان يأكلُ السمك الذي يُلقيه البحرُ على الشاطئ أَحياناً.

وأَثناءَ إِقامتِه في المنطقة تذكَّرَ قولَ رسول الله ﷺ عنه لَمّا قَتَلَ العامريَّ: «وَيْلَ أُمِّهِ مُسَعِّرُ حربٍ لو كان معه رجال».

وفهمَ من هذا الكلام إِذْناً ضمنيّاً غيرَ صريحٍ من النبي ﷺ، بأَنْ يتعرَّضَ هو ومنْ ينضَمُّ له من إِخوانِه لقريش، ويواجهها ويجاهِدُها!!

لقد كانَ رسولُ الله ﷺ يَعرفُ مواهبَ وقدراتِ وطاقاتِ أَصحابه، وكان يضعُ كلَّ إِنسانٍ في مكانه المناسب له، المتفقِ مع مواهبه التي وهبه الله إِياها.

وها هو يعرفُ موهبةَ أَبي بصير، ويوجِّهُه إِلى الوجهةِ التي يُتقنها، وهي تسعيرُهُ الحربَ وإِشعالُه المعارك!

وبعد ما أَقامَ فترةً في سيفِ البحر علمَ إِخوانُه المستضْعَفون في مكةَ بمكانِه، فصاروا يتسلّلون سِرّاً، ويخرجونَ من مكة، متوجِّهين إِليه.

المستضعفون من المسلمين مع أبي بصير في القاعدة :

وهكذا أَنشأَ أَبو بصير (قاعدةً) جهادية متقدمة، في تلك المنطقة، وأَحسنَ في اختيارِ القاعدة، فلم تكنْ في أَرضٍ تابعةٍ لسلطانِ رسول الله ﷺ، حتى لا يُحرجه، وهو يعلنُ أَنه يتصرفُ بمفرده، ولا يتلقّى التعليماتِ من رسول الله ﷺ.

ولو كلمتْ قريشٌ رسولَ الله ﷺ بشأْنِه، فإِنها لا تستطيعُ أَنْ تتهمَه بدعمِ أَبي بصير وتبنيه وتحريضه، ولو اتهمَتْه بهذا فسيقولُ لها: لقد خرجَ أَبو بصير وإِخوانُه من عندكم، ولم يأْتوا إِلينا، ولو أَتوا إِلينا وأَردتُم استعادتَهم لأَعدناهم إِليكم.. أَمّا هؤلاء الموجودون في (سَيْفِ البحر) فلا شأْنَ لنا بهم، ولانتحملُ مسؤوليةَ أَعمالهم وعملياتِهم، وأَنتم أَدرى بهم!!

وهاهو أَبو بصير يُحسنُ الاستفادةَ من إِشارةِ رسول الله ﷺ: «ويلُ أُمِّه مُسَعِّرُ حربٍ لو كان معه رجال».

وها هم الرجالُ ينضمونَ إِليه بالتَدريج، وقد كانوا قبلَ ذلك سجناء مستضْعَفين في مكة، ينضمّون إِليه في قاعدتِه الجهادية المتقدمة.

خرجوا إِليه من مكةَ تِباعاً، واحداً واحداً، حتى وصلَ العددُ إِلى سبعينَ رجلاً مجاهداً!

وكان في مقدمةِ هؤلاء (أَبو جندل بن سهيل بن عمرو)، الذي جرى له ما جرى في أَرضِ الحديبية، لما عقدَ رسولُ الله ﷺ الصلحَ مع أَبيه سهيلِ بن عمرو..

أَميرُ القاعدةِ الجهادية في سيف البحر (أَبو بصير)، ونائبه هو (أَبو جندل). وزادَ عددُ أَفرادِ القاعدة من سبعينَ إِلى مئة، إِلى مئتين.. وأَخيراً وصلَ العددُ إِلى ثمانمئة رجلٍ مجاهد، وهو رقمٌ كبير!!.

كان أَبو بصير يَؤُمُّ رجالَه في الصلاة، ويُقيمُ فيهم صلاةَ الجمعة، ونَظَّمَ لهم

حياتَهم في القاعدة على أَحسن ما يكون!

اجتمعَ عند أَبي بصير الرجالُ الذين يساعدونَه على تحقيقِ ما يريد، ولم يَبْقَ إِلاّ أَنْ يُسَعِّرَ الحربَ ضد قريش..

إِنه يعلمُ أَنه هو وإِخوانه في قاعدةِ سيف البحر في حالةِ حربٍ مع قريش، لأَنَّ قريشاً ظلموهم وعَذَّبوهم وأَكَلوا حقوقَهم، وإِنَّ صلْحَ الحديبية الذي أَلْزَمَ المسلمين في المدينة لا يلزمُهم، لأَنهم لم ينضمّوا إِلى المسلمين، وقريشٌ هي التي منعَتْهم من هذا الانضمام حسب بنود صلح الحديبية!

مجاهدو القاعدة يغيرون على قوافل قريش:

تقعُ قاعدةُ أَبي بصير الجهاديةُ على طريقٍ استراتيجيٍّ حَسّاس، هو طريقُ القوافلِ التجارية القرشية، المتوجهةِ من مكةَ إِلى الشام، واعتمادُ قريشٍ على تجارتِها إِلى الشام كبير!

وهكذا بدأَ أَبو بصير وإِخوانُه بشنِّ الهجماتِ الجهادية السريعة على (عيرِ) قريشٍ المتوجهةِ إِلى الشام والعائدةِ منها! حيث يَقتلون رجالَ القافلةِ التجارية، ويستولون على ما فيها من مالٍ ومتاع.

وكان عندما يُهاجمُ قافلةَ المشركين مع إِخوانِه يُنشدُ قائلاً:

اللهُ رَبّي العَلِيُّ الأَكْبَرُ ... مَنْ يَنْصُرِ اللهَ فَسَوْفَ يُنْصَرُ

وَيَقَعُ الأَمْرُ عَلى ما يُقْدَرُ

وفوجئتْ قريشٌ بما يفعلُه أَبو بصير وإِخوانُه بتجاراتها ورجالها وأَموالها، وندمَتْ على ما فعلَتْه، عندما طلبتْ إِعادةَ أَبي بصير من المدينة إِلى مكة، فلو بقيَ هناك بين إِخوانه المسلمين لما حصلَ ما حصل!

وكسدتْ تجارةُ قريش بسبب العملياتِ الجهادية، ووقَعتْ بها خسائرُ فادحة!

وفي أَحَدِ المرات مَرَّتْ بالقربِ من القاعدةِ قافلةٌ تجارية، مكونةٌ من ثلاثين بعيراً، فتعرضَ لها رجالُ أَبي بصير، وقَتلوا رجالَها، واستولوا على كلِّ ما فيها من مالٍ ومتاع، وقسمَ لهم أَبو بصير الغنائم بينهم، وكانت كثيرة!

وأَرادَ بعضُ زعماءِ قريش أَنْ يتهمَ رسولَ الله ﷺ، ويُحملَه مسؤوليةَ ما يفعلُه أَبو بصير وإِخوانُه! ولكنَّ سهيلَ بن عمرو ـ المفاوضَ في الحديبية ـ قالَ كلمةَ حقٍّ وإِنصاف.

قال لهم: يا قوم: لقد برئ محمدٌ من أَبي بصير، وسَلَّمَهُ لصاحبكم، ووفّى لكم بالعهد، لكنَّ أَبا بصير قَتَلَ صاحبَكم العامري، فلا تتهموا محمداً به!

المجاهدون وقافلة أبي العاص صهر رسول الله:

ومَرَّتْ بهم يوماً قافلةٌ تجاريةٌ لقريش، وكانت القافلةُ بقيادةِ أَبي العاص بن الربيع.

وأَبو العاصِ بنُ الربيع رجلٌ مشرك، وهو صهرُ رسولِ الله ﷺ، زوجُ ابنتِه زينب رضي الله عنها..

استولى رجالُ أَبي بصير على كلِّ ما في القافلة، من مالٍ ومتاع، وأَسروا رجالَها، ولم يقتلوهم إِكراماً لرسول الله ﷺ، لأَنَّ أَميرَ القافلة هو صهرُ رسول الله ﷺ.

وأَطلقوا سراحَ أَبي العاص بن الربيع.. فتوجَّهَ أَبو العاصِ إِلى المدينة، وقابلَ رسولَ الله ﷺ، وأَخبره بما فعلَه أَبو بصير وأَبو جندل بقافلتِهم!

كلمَ رسولُ الله ﷺ المسلمين، وأَخبرهم عما جرى، وأَكرمَ المسلمونَ صهره أَبا العاص.

ولما علمَ أَبو بصير وأَبو جندل بالأَمْرِ أَطلقوا سراحَ جميعِ الأَسرى الذين أَسروهم، وأَعادوا لهم كلَّ ما أَخذوهُ منهم من أَموالٍ وأَمتعة، إِكراماً لرسول الله ﷺ!

وكان هذا التصرفُ من أَبي بصير وإِخوانِه من أَسبابِ تأثُّرِ أَبي العاص بن الربيع بالإسلام، حيث أَسلمَ بعد ذلك بفترةٍ قصيرة، فأَعادَ له رسولُ الله ﷺ ابنتَه زينب زوجةً له.

قريش ترجو الرسول ضم المجاهدين إليه:

ضربَ أَبو بصير وأَبو جندل وإِخوانُهما قريشاً عدةَ ضرباتٍ جهادية موجعة، خسرتْ قريشٌ فيها كثيراً من أَموالِها واقتصادها ورجالها، وتأَذَّتْ بذلك كثيراً!

واضطرَّ زعماءُ قريش أَخيراً إِلى طلبِ إِلغاءِ الشرط، الذي اشترطوه هم أَنفسهم في صلح الحديبية: «مَنْ جاءَكَ يا محمد مِن عندنا مسلماً فلابُدَّ أَنْ تُعيدَه إلينا»!.

هذا الشرطُ الذي آلَمَ المسلمين وأَحزنهم، وأَثارَ اعتراضَ كثيرين منهم، عندما وَقَّعَ رسولُ الله ﷺ صلحَ الحديبية، وقد دعا بعضُهم إِلى عدم إِعادة أَبي جندل مع أَبيه، وعدم إِعادةَ أَبي بصير بعد ذلك!

الآن اضطر زعماءُ قريش إِلى طلب إِلغاءِ هذا الشرط، بعدَ أَنْ فعلَ بهم أَبو بصير وإِخوانُه الأَفاعيل!

الآن أَدركَ المسلمون حكمةَ الله في كلِّ ما جرى، وعرفوا أَنَّ إِقرارَ هذا البندِ في صلح الحديبية كانَ لمصلحتِهم، وأَنهم هم المستفيدون منه! وأَنَّ الكفارَ هم الخاسرون، وأَنَّ الله قد جعلَ للمستضعفين من المسلمين في مكةَ فرجاً ومخرجاً!

أَرسلتْ قريشٌ زعيمَها أَبا سفيان إِلى رسولِ الله ﷺ بمهمةٍ عجيبة.. هي أَنْ يرجوَ محمداً ﷺ بإِلغاءِ ذلك البندِ من صلح الحديبية، ويرجوهُ أَنْ يُبقيَ عنده في المدينة مَنْ جاءَه مسلماً من مكة! ويرجوه أَنْ يعيدَ إِليه في المدينة أَبا بصير وإِخوانَه، الذين أَسَّسوا القاعدةَ الجهادية في سيف البحر!

سبحانَ اللهِ العليم الحكيم:

بالأَمسِ كتبَ الأَخنسُ بنُ شريق كتابَه مع العامري إلى رسولِ الله ﷺ يطلبُ منه فيه تنفيذَ بنودِ صلح الحديبية وإِعادةَ أَبي بصير!

واليومَ ترسلُ قريشٌ زعيمَها أَبا سفيان ليرجو رسولَ الله ﷺ، كي يُعيدَ إليه أَبا بصير وإِخوانَه!!

ووافقَ رسولُ الله ﷺ على ما جاء به أَبو سفيان، فتمَّ إِلغاءُ ذلك البندِ المثيرِ المشكل، وقررَ إِعادةَ أَبي بصير وإِخوانِه إِليه..

عودة المجاهدين للمدينة وإغلاق القاعدة بعد موت أبي بصير:

كتبَ رسولُ الله ﷺ كتاباً إِلى أَبي بصير ونائبِه أَبي جندل، يأْمرهما فيه بإغلاقِ تلك القاعدة الجهادية، والقدومِ إِلى المدينة، هما وجميعُ إِخوانهما.. يأْتون جميعاً مُعَزّزين مُكَرَّمين، يعيشونَ مع إِخوانهم المسلمين، ويَسعدونَ بالحياةِ الإِيمانية فيما بينهم، ويضمّون جهودَهم إِلى جهودِهم في نصْرِ دينِ الله!!

ولكنَّ الفرحةَ لم تكتمل!!

وصلَ كتابُ رسولِ الله ﷺ إِلى أَبي بصير وهو مريض، حيث كان مُمَدّداً على فراشِهِ، عاجزاً عن الحركة!

تناولَ أَبو جندل كتابَ رسول الله ﷺ، وقرأَه، ووقفَ على البشرى العظيمة، وهي استدعاءُ جميعِ المجاهدين في القاعدةِ إِلى المدينة!

وأَخبرَ أَبو جندل أَميرَه أَبا بصير - الذي كان يحتضر - بكتابِ رسول الله ﷺ..

شكَرَ أَبو بصير ربَّه على ما أَنعمَ به عليه وعلى إِخوانِه المجاهدين، فهاهو جهادُه المبرورُ مع إِخوانِه يُؤتي أُكُلَه، وهاهم في طريقِهم إِلى رسولِ الله ﷺ..

ولكن.. ليتَ أَبا بصير يستطيعُ العودةَ معهم!!.. إِنه مريضٌ يحتضر.. على فراشِ الموت!!!.

همسَ أَبو بصير في أُذُنِ نائبه أَبي جندل قائلاً: إذا أَنا مِتّ، فصلّوا عَلَيّ.. وادفنوني هنا.. ثم خُذوا كلَّ ما في هذا المكان، وانطَلِقوا إِلى رسول الله ﷺ في المدينة!!.

وأَمسكَ أَبو بصير بكتابِ رسول الله ﷺ، وقَبَّلَه، وقرأه.. ثمَّ وضعَه على صدره...

وذكَرَ الله تعالى.. ونطقَ بالشهادتين.. وفاضَتْ روحُه إِلى بارِئها.. وماتَ راضياً مرضياً عنه!!

حزنَ إِخوانُه في القاعدةِ عليه.. وغَسَّلوه وكَفَّنوه.. وصَلّوا عليه.. ودَفَنوهُ في ذلك المكان..

وتوجَّهوا إِلى رسول الله ﷺ في المدينة، بإِمرةِ أَبي جندل بن سهيل بن عمرو، ليسعدوا بالحياة مع إِخوانهم المسلمين..

رضيَ الله عن المجاهدِ الكبير، مُسَعِّرِ الحربِ الخطير، الصحابيِّ أَبي بصير (عتبة بن أُسَيْدِ بن جارية الثَّقَفي)...

* * *

المراجع

١ ـ المغازي، للإمام الواقدي: ٢/ ٦٠٥ ـ ٦٢٩.

٢ ـ تاريخ الرسل والملوك، للإمام الطبري: ٢/ ٦٢٠ ـ ٦٣٩.

٣ ـ السيرة النبوية، لابن هشام: ٣/ ٣٢١ ـ ٣٣٩.

٤ ـ دلائل النبوة، للبيهقي: ٤/ ١٤٥ ـ ١٧٧.

٥ ـ البداية والنهاية، لابن كثير: ٤/ ١٦٤ ـ ١٧٧.

* * *

(١٠)
مجموعة فيروز الديلمي
تقتل الأسود العنسي الكذاب في صنعاء

دخول اليمن في الإسلام:

دخلت اليمنُ في الإسلام زمنَ رسولِ الله ﷺ.

فقد أَرسلَ رسولُ الله ﷺ كتاباً إلى كسرى ملكِ الفرسِ يدعوهُ فيه إلى الدخولِ في الإسلام، فغضبَ كسرى ومَزَّقَ الكتاب، وأَرسلَ إلى واليه على اليمن باذان يأْمره فيه بإرسالِ رجلَيْن من صنعاءَ إلى المدينة، ليقبضا على رسولِ الله ﷺ، ويُحضراه إلى اليمن ليرسلَه باذانُ إلى عاصمةِ كسرى!

ولما جاءَ الرجلان إلى المدينة، وطَلَبا من رسول الله ﷺ أَنْ يسيرَ معهما إلى صنعاء، أَخبرهما ﷺ أَنَّ الله قد قتلَ كسرى، وعرضَ على الوالي (باذان) الإسلام، وإِنْ أَسلمَ أَقَرَّهُ ﷺ حاكماً على اليمن!!

ولما عادا إلى اليمن وأَخبرا باذان بتفاصيل الأَحداث، شرحَ الله صدرَ باذان إلى الإسلام، فأَسلم، وأَسلمَ معه أَهلُ اليمن.

أَقَرَّ الرسولُ ﷺ باذان والياً على اليمن، وبقيَ كذلك إلى موته، حيث لم يَطُلْ عمرُه بعد إسلامه، إذ سرعانَ ما توفي، رحمه الله.

وبعدَ وفاةِ باذان في صنعاء، عَيَّنَ رسولُ الله ﷺ ابنَه (شَهْرَ) والياً مكانَه!

وبعثَ رسولُ الله ﷺ بعضَ أَصحابه يُعَلِّمون أَهلَ اليمن الإسلام، ويُفَقِّهونهم في الدين، وينظِّمون حياتهَم، منهم: معاذ بن جبل، وأَبو موسى الأشعري،

وخالد بن سعيد بن العاص، ويَعلى بن أُمية، والطاهرُ بن أَبي هالة، رضي الله عنهم..

وبعدَ حجةِ الوداع التي حَجَّها رسولُ الله ﷺ في أَواخرِ السنةِ العاشرةِ للهجرة، ظهرَ في اليمن دَجّال مشعوذ، وادَّعى النبوة، وزَعمَ أَنه نبيٌّ يوحي الله إِليه، وأَنه أَرسله نبياً إِلى أَهل اليمن!

الأسود العنسي الكذاب يحكم اليمن:

اسمه (عَبْهَلَةُ بْنُ كَعْبِ بنِ غَوْث)، ويلقَّبُ بالأَسودِ العَنْسِيّ، لأَنه كان أَسودَ اللون، وهو من قبيلةِ (عَنْس)، التي هي بطنٌ من بطون قبيلة (مَذْحِجْ) الكبيرة. كما كان يلقَّبُ بذي الخمار، لأَنه كان دائماً معتمّاً بعمامة، ومتخمِّراً بخمار.

كان مقيماً في بلدةِ (كَهْف خُبّان)، في منطقةِ مَذْحِجْ، وكان كاهناً فيها يتعاطى السحرَ والكهانةَ والشعوذة.

طمعتْ نفسُ (الأَسْوَدِ العَنْسي) إِلى الزعامةِ والقيادة، وفكَّرَ في الطريقِ التي تحققُ له ذلك، إِنها دعوى النبوة!

لماذا دَعوى النبوة؟ لأَنَّهُ اطلعَ على أَخبارِ رسول الله ﷺ، وأَسبابِ استقرارِ الإِسلام في جزيرةِ العرب، وقدومِ الوفودِ من مختلفِ مناطقِ الجزيرة للرسول ﷺ مبايعين له.

وبما أَنَّ نبوةَ رسول الله ﷺ هي التي مكَّنَتْ له في البلاد، وبما أَنَّ الأَسودَ العنْسيَّ طامعٌ في الزعامة، فليس أَمامه إِلاّ ادّعاءُ النبوَّة!!

ظهرَ الأَسودُ العنسي في كهف خُبّان، وقَدَّمَ نفسَه لأَهلها على أَنه نبي، فآمَنوا به، ثم آمنتْ به قبيلةُ مذحج الكبيرة، ثم توجَّهَ بجيشه إِلى نجران فضمَّهاإِلى ملكه، ثم إِلى مُرادَ فضمَّها، وبقيَ أَنْ يتوجَّه إِلى صنعاء.

ولما علمَ شَهْرُ بن باذان بذلك جمعَ جيشاً لقتاله، ودارتْ معركةٌ بين

الجيشيْن، انتهتْ بانتصارِ الأَسـود العنسي، واسـتشهادِ شَهْرِ بن باذان رحمه الله، وهزيمةِ جيشِ المسلمين.

وهكذا احتلَّ الأسودُ العنسي صنعاء، وجعلَها عاصمةً له، وكان احتلالُه لها بعد خمسةٍ وعشرين يوماً من مخرجه وادِّعائِه النبوة!.

وتزوَّجَ الأَسودُ بامرأةِ شهر بن باذان، وكانت امرأةً فارسيةً مؤمنةً صالحةً وجميلة، اسمُها: (آزاد). وكانت تكرهُه لأنه كافرٌ كذّاب كاهنٌ مشعوذ، وهي امرأةٌ مؤمنة، تؤمنُ أَنَّ محمداً هو رسول الله ﷺ.

ولم يمضِ على خروجِ الأَسودِ العنسي إلا بضعةُ أَسابيع حتى تملَّكَ اليمنَ وحكَمهـا، وانتشـرتْ دعـوتُـه انتشـارَ النـارِ فـي الهشيـم، وصـارَ فتنـةً عظيمـةً للمسلمين.

تبعَه على دعوتِه معظمُ أَهلِ اليمن، وآمَنوا أَنه رسولٌ من عند الله!! وانحازَ ولاةُ رسولِ الله ﷺ على اليمن إلى حضرموت وغيرها، كمعاذِبن جبل، وأَبي موسى الأَشعري، وغيرهما.

فتنة الأسود ومسيلمة وسوارا الذهب في رؤيا الرسول:

واهتمَّ رسولُ الله ﷺ بأَمْرِ الأَسودِ العنسي، فهو أَولُ رجلٍ ادعى النبوّة، وشكَّلَ تهديداً خطيراً للإسلام في اليمن، وفتنةً كبيرةً للمسلمين فيها.

وبعدَ فترةٍ وجيزةٍ من ظهورِ الأَسودِ العنسي، ظهرَ (مُسَيْلَمَةُ بنُ حَبيب) في اليمامـة، وادّعى النبـوة، وهو المعروفُ باسمِ (مسـيلمة الكذاب). وكان هذان الكذّابان أَخطرَ تهديدٍ للإسلام والمسلمين، وعملَ رسولُ الله ﷺ على القضاءِ عليهما.

وقد أَراه الله عز وجل رؤيا في منامه، ورؤياهُ حقٌّ عليه الصلاة والسلام.

روى البخاريُّ ومسلمٌ عن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال:

«بينما أَنا نائم، رأيتُ في يَدَيّ سوارَيْن من ذهب، فأَهَمَّني شأنُهما، فأُوحيَ إِليَّ في المنام: أَن انْفُخْهما، فنفخْتُهما، فطارا. . . فأَوَّلْتُهما كذابين يخرجان بعدي. . فكان أَحدُهما العَنْسيَّ، والآخرُ مسيلمةَ الكذاب، صاحبَ اليمامة»[1].

لما رأَى رسولُ الله ﷺ في يديْه سوارين من ذهب، أَهَمَّه شأنُهما، وتوقَّعَ من ذلك الخطر، لأنَّ الذهبَ محرَّمٌ على الرجال لا يجوزُ لبسه أساورَ أَو خواتم لهم، فكونُ سوارَيْن من ذهبٍ في يَديْ رسول الله ﷺ إشارةً إلى أَمر خطيرٍ يهددُ الأُمة. .

وأُوحيَ إليه ﷺ أَنْ ينفخَ في السوارَيْن! فنفخَ فيهما، فطارا في الهواء، ولم يَعُدْ لهما وجود.

وهذا معناهُ أَنَّ الخطريْن اللذيْن يهددان المسلمين لن يؤثِّرا عليهم طويلاً، وسرعانَ ما يزولان ويتلاشيان، وتبقى الأُمةُ المسلمةُ قوية، ويبقى الإسلامُ محفوظاً منتصراً.

وأَوَّلَ رسولُ الله ﷺ الرؤيا بكذابَيْن خطيريْن، يَظهران ويَدَّعيان النبوة، ويَسيرُ معهما كثيرٌ من الناس، ويُشكلان خطراً مباشراً على المسلمين، ثم يزولُ ذلك الخطر، ويقضي الله عليهما. وهما: الأَسودُ العَنْسي في اليمن، ومسيلمةُ الكذاب في اليمامة.

الرسول يكتب إلى أهل اليمن للقضاء على الأسود:

وأَرادَ رسولُ الله ﷺ أَنْ يقضيَ على فتنةِ الأَسودِ العَنْسي في اليمن، فكتبَ (كُتُباً) إلى الولاةِ الذين بقوا على إسلامهم في حضرموت وغيرِها، وكُتُباً إلى المسلمينَ الثابتين على إسلامهم في صنعاءَ وغيرها، يأْمرهم فيها بالعملِ على التخلصِ من الأَسودِ العنسي، إمّا باغتيالِه وقتْلِه، وإمّا بتجييشِ الجيشِ لقتالِه ومصاولته!.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٦٢١)؛ ومسلم برقم (٢٢٧٣).

وكان بعضُ وجوهِ المسلمين في صنعاءَ قد تعامَلوا مع الأَسودِ العنسي بالتقية، فأَظهروا له موافقتَهم له، وإِيمانَهم به أَنه نبي، وكانوا في الحقيقةِ مؤمنين صالحين، متبعين لرسول الله ﷺ!

وفي مقدمةِ هؤلاء المؤمنين المستَخْفين بدينهم أَبناءُ الفرس في صنعاء، وكان يطلقُ (الأَبناء) أي: أَبناءَ الفرس.

وكان من قادةِ أَبناء الفرس في صنعاء: فيروز الدَّيْلَمي، وداذْويه الدَّيْلَمي، وجِشْنَشْ الدَّيْلَمي، والثلاثة كانوا من المسلمين الصالحين، أَظهروا للأَسودِ العنسي أَنهم مصدِّقون له في دعوى النبوة، ولكنهم حافظوا على إسلامهم سراً. ولذلك أَبقى الأَسود عليهم في صنعاء.

بعثَ رسولُ الله ﷺ كُتُبه إِلى الأَبناءِ ووجوهِ المسلمين الآخرين مع (وَبَرِ بن يُحَنَّسِ الأَزْدي).. وأَتى بها ابنُ يُحَنَّس إِلى صنعاء، وسَلّمها إِلى فيروز الديلمي وإِلى الآخرين، وتابع ابنُ يُحَنَّس سيرَه، ووجَّهَ باقي الكتب إِلى معاذِ بن جبل ومَنْ معه.

تلقّى معاذُ بنُ جبل رضي الله عنه أَمْرَ النبيِّ ﷺ للتنفيذ، وصارَ يتَّصلُ بالمسلمين الثابتين في مختلفِ مناطقِ اليمن ونجران وحضرموت، فوجدَ أَعداداً كثيرةً منهم مازالوا على إِسلامهم وإِيمانِهم، لكنهم كانوا مغلوبين على أَمرهم، بسببِ قُوة الأَسودِ العَنْسي وقوةِ جيشه، ولهذا استخفوا بإِسلامهم، وصاروا ينتظرونَ الفرصةَ المناسبةَ للتخلصِ من المتنبئ الكَذّاب في صنعاء!. ولما اتصلَ بهم معاذُ بن جبل رضي الله عنه فَرحوا، واستبشروا بقربِ التخلصِ من الطاغية، وأبدوا لمعاذ استعدادهم لتنفيذِ ما يأْمرهم به!

فيروز الديلمي يخطط للقضاء على الأسود:

وتلقى فيروزُ الديلمي في صنعاء كتابَ رسول الله ﷺ له بالعملِ على التخلصِ من الأَسودِ العَنْسي، فصارَ يتصلُ بمن يثقُ به من المسلمين المستخفين،

لهذه الغاية! وكان في مقدمةِ مَنْ وافَقوه على القيامِ بهذه المهمة: داذْويه الديلمي، وجِشْنَسْ الديلمي.

وكان من كبارِ قادةِ الأَسود العنسي رجلٌ مُرادِيٌّ من زعماءِ قبيلةِ مراد، هو (قَيْسُ بْنُ عَبْدِ يَغوث)، المعروف باسم: قيسِ بن المكشوحِ المرادي وكان قائداً لجيشِ الأَسود.

وقد أَساءَ له الأَسودُ كثيراً، مما جعله يتغيرُ عليه، ويتمنّى لو تخلَّصَ منه!

تولّى (فيروزُ الديلمي) الاتصالَ سِرّاً بالمسلمين الثابتين في صنعاء، والحديثَ معهم حولَ كيفيةِ التخلصِ من الأَسود العَنْسي الكذاب. واتصلَ فيروزُ الديلمي بمعاذِ بنِ جبل وغيرِه من أُمراءِ ووُجوهِ المسلمين. واستعدَّ معاذٌ رضي الله عنه أَنْ يُجهزَ جيشاً لمحاربةِ الأَسْود في صنعاء. لكنَّ فيروزَ الديلمي نصحه بتأخيرِ هذا، وأَخبره أَنه يُعدُّ العدةَ للتخلصِ من الأَسودِ باغتياله، فإِن نجحت الخطةُ فإِنها ستريحُ المسلمين من مشقات المعارك!.

وعلمَ فيروزٌ بكراهيةِ قيسِ بن مكشوح للأَسود، وتغيُّرِه عليه، فاتصلَ به فيروزٌ وكلُّه أَملٌ أَنْ يجعلَه معه، ويُعيدَه إِلى الإِسلام، ويُشركَهُ معه في العملِ على التخلصِ من الأَسودِ العَنْسي!

الْتقى فيروزٌ بقيسٍ سراً، وكلَّمه بموضوع الأَسود، وأَنه كاذبٌ مُدَّعٍ مجرم، فوجدَ قيساً كارهاً له، فعرضَ عليه العودةَ للإِسلام، والإِيمانِ بالنبي ﷺ أَنه خاتَمُ المرسلين، فلبّى الدعوةَ وعادَ قيسٌ للإِسلام!

عند ذلك أَخبرَ فيروزٌ قيساً بكتابِ رسول الله ﷺ بوجوب العملِ على التخلصِ من الأَسود، وعرضَ عليه الاشتراكَ في التخطيطِ لذلك، فوافقَ قيسٌ على ذلك فوراً، وطلبَ منه أَنْ يُبقيَ الأَمْرَ سِرّاً لئلا يشعرَ بذلك أَحَد، فيخبرُ الأَسْود وتفشل الخطة.

فيروز الديلمي يشكل مجموعة مجاهدة للقضاء على الأسود:

شكَّلَ فيروزُ الديلمي مجموعتَه المجاهدة لاغتيالِ الكذاب الأَسْود العنسي، وكانت المجموعـةُ مكونـةً من أربعـة: هو، وقريبُـه الفارسي داذويه، وجِشْـنَسْ الديلمي، وقائدُ جيش الأَسودِ قيسُ بن عبد يغوث المرادي. واتفقَ الأَربعةُ على التخطيطِ لاغتيال الأَسود، وأَنْ يكونَ التخطيطُ سرياً، بحيثُ لا يعلمُ به أَحد، لئلا ينكشفَ أَمرهم وتفسدَ الخطة!

وكان للأَسودِ العنسي شيطانٌ من الجنّ يخبرُه عن بعضِ الأُمورِ والحوادث، التي لا يَعلمُ بها الأَسود، لكنَّ الشيطانَ الجنيَّ يَعلمُ بها!

علمَ الشيطانُ الجنيُّ بما اتفقَ عليه المجاهدون الأربعة، لأَنَّ الجنَّ يعلمون الماضي، ويعلمونَ الحاضر. لكنهم لا يَعلمون المستقبل، لأَنَّ المستقبلَ غيبٌ لا يعلمه إلاّ الله.

وبما أنَّ التحالفَ وثيقٌ بين الشيطانِ والأَسودِ العنسي، فقد أَخبرَه بما يجري بين المجاهدينَ الثلاثة، وما يقومونَ به من تخطيطٍ ضدَّه!!

دعا الأَسودُ قائدَ جيشه قيسَ بنَ مكشوح، وأَخبره أَنَّ الوحيَ جاءه، وأَخبره بتآمُرِ قيسٍ مع آخرين ضدَّه، ونَصَحَهُ بأَنْ يقتلَ قيساً لاتفاقِه مع الأَعداء.

قـالَ الأَسـودُ لقيس: يقولُ لي الوحي: عمدتَ إِلى قيـسِ بن مكشـوح فأَكرمْتَه، حتى إِذا دخلَ منك كلَّ مدخل، وعرفَ عنك كلَّ شيء، وصارَ في العزِّ مثلَك، مالَ إِلى أَعدائك، وتآمَرَ معهم ضدَّك، وهو يريدُ غَدْرَك وقتْلَك والقضاءَ عليك!. ويقولُ لي الوحي: يا أَسود، يا أَسود: اقضِ على قيس، واقطعْ رأْسَه، فإِنْ لم تفعلْ قضى قيسٌ عليك وقَطَعَ رأْسك!

فوجئ قيسٌ بانكشافِ أَمره أَمامَ الأَسود، وخشيَ أَنْ يقتله، كما خشي أَنْ تنكشفَ الخطةُ التي اتفقَ عليها المجاهدون الأَربعة لذلك عاملَ الأَسودَ بالتقية، وأَظهرَ له متابعتَه وموافقتَه له.

حلفَ قيسٌ بحياتِه وقال: وذي الخِمار: لأنتَ أَعظمُ في نفسي وأَجلُّ عندي مِن أَنْ أُحَدِّثَ نفسي بعملِ شيءٍ ضدَّك، فضلاً عن أَنْ أَتآمرَ عليك!

انطلى الأَمر على الأَسْود، وصدَّقَ قيساً فيما أَظهره له من الموالاةِ والتصديقِ وقالَ له: لقد صَدَّقَك الملَكُ الذي أَخبرني عنك، وعرفَ أَنك تبتَ مما فعلْتَه، وأَنا أُصدقُك وأَعفو عنك!

خرجَ قيسٌ من عند الأَسود، وذهبَ سِرّاً إِلى إخوانه المجاهدين الأَربعة، وأَخبرهم بما قالَه له الأَسود، وما رَدَّ به عليه، وعَرَفَ الأَربعةُ أَنهم في خطر، وأَنهم مستهدَفون، وما عليهم إِلاّ أَنْ يُعَجِّلوا باغتيالِ الأَسود، قبلَ أَنْ يبطشَ بهم!

وبينما كان الأَربعةُ مجتمعين علمَ الأَسودُ باجتماعهم! فأَرسلَ رسولَه يستدعيهم إِليه! ولما أَقبلوا إِليه هَدَّدَهم بأَنه سيقتُلُهم، ومما قالَه لهم: لماذا تتآمرون عليَّ؟ أَلم أُقَدمْكم وأُقربْكم؟ أَلم أَجعلْكم رؤساءَ على قومكم؟

قالوا: بلى!

قال: فماذا يبلغُني عنكم؟ ولماذا تتآمرون عليّ!

فأَعلنوا له الولاءَ والتصديق، ونفوا أَنْ يتآمَروا عليه، فصدَّقَهم وعفا عنهم!

خرجوا من عنده وهم في غايةِ الحذرِ والإشفاق، ولذلك خشوا أَنْ ينكشف أمْرهم، وأَنْ لا يصدقهم الأَسْود في المرات القادمة؛ لذلك قرَّروا أَنْ يُسارعوا ويعجلوا بالتخلصِ منه!

فيروز الديلمي يتفق مع امرأة الأسود للقضاء عليه:

وبعد تفكير طويل عرفَ المجاهدون الأَربعةُ اَنَّ أَحسنَ طريقةٍ للتخلصِ من الأَسودِ الكذاب هي اغتيالُه، ولتحقيقِ ذلك لابدَّ من الاتفاق مع امرأتِه (آزاد)، وهي المرأةُ المؤمنةُ التي كانت زوجةً لِشَهْرِ بنِ باذان، فلما قتلَه الأَسود تزوَّجَها، وكانت تكرهُ الأَسود لكفرِه وجبروته، وتتمنّى التخلصَ منه!

كـان بينَ (آزاد) وفيـروز الديلمي قرابـة، فهي ابنـةُ عمه، وهي أُخْتُـه من الرضاعة.

بهذه القرابـةِ والحرمـةِ بين فيروز وآزاد ذهبَ إليها، واجتمعَ بها سـرّاً، وتحدثَ معها بصراحة.

قالَ لها: يا ابنةَ عمي: لقد علمتِ جرائمَ هذا الرجلِ الأسود، فهو كافرٌ كاذب، وهو يَدَّعي النبوة، وهو الذي قتلَ زوجَك الصالح شَهْرَ بن باذان، وتزوَّجك من بعده، فهل من الممكنِ أَنْ تُساعدينا وتُعاونينا عليه؟

قالتْ له: يا ابنَ عمي: أُعاونكم على ماذا؟ ماذا ستفعلون به؟

قالَ لها: تُعاونينا على إخراجه ن صنعاء!

قالَتْ: إنَّ إخراجَه من صنعاء لا يكفي، وأَنا أُعاونكم على قتْلِه! واللهِ ما خلقَ الله من أَحدٍ هـو أَبغضُ إليَّ منه، فهو كـافرٌ كاذبٌ مجرمٌ قـاتل، وهـو لا يُراعي حقاً، ولا يتوقَّفُ عن حرام! وأَنا مازلْتُ على إيماني برسولِ الله ﷺ، ففكِّروا في قتْلِه، وعندما تعزمون على ذلك أَخبروني حتى أُساعدَ في التنفيذ.

التقى المجاهدون الأَربعة مرةً أُخرى: فيروز وداذويه وجشنش وقيس، ورسموا خطةَ العمليةِ الجهادية.

واسـتدعى الأسودُ قائدَ جيشِـه قيسَ بنَ مكشـوح مرةً أخرى، وأعادَ عليه القول بأنه يتآمَرُ مع أعدائه عليه، وهدَّدَه مرةً ثانيةً بالقتل.

فخاطبه قيسٌ بعاطفةٍ ليعفوَ عنه، قال له: كيف أَقتلُك وأَنا أُؤمنُ أنك رسولُ الله؟ وأنا جندي عندك، فمرْني بما تُريد، وأرجـو أنْ لا تُبقيني دائماً في خـوفٍ وفزع، وتهددُني دائماً بالقتل، فإن كنت تريد قتلي فاقتلْني الآن وأرِحْني، وموتةٌ واحدةٌ أهونُ عليَّ من موتاتٍ كثيرة أموتُها كلَّ يوم!!

فَرَقَّ له الأسـودُ العَنْسي، وعفا عنه.. وخرجَ قيـسٌ من عنده، ومَـرَّ على

إخوانِه المجاهدين، وأخبرهم بما جَرى بينه وبين الأسودِ العنْسي، وحَثَّهم على الإسراعِ في تنفيذِ العمليةِ الجهادية التي اتفقوا عليها!

فيروز الديلمي يخدع الأسود:

وبعد ذلك بفترةٍ قصيرة استدعى الأسودُ العَنْسي فيروزَ الديلمي، ولما ذهب فيروزٌ إليه وقفَ معه أمامَ مئةِ بعيرٍ وبقرة، كانت في حظيرتِها، فدخلَ عليها الأسود، ونحرَها بسيفِه بطريقةٍ وحشيةٍ همجيةٍ مرعبة أخافَتْ فيروزاً.

وبعدما نحرها توجَّهَ بالسيفِ الذي يقطرُ دماً نحو فيروز، وقال له: أحقاً ما بلغَني عنك يا فيروز؟ لماذا تتآمر علَيَّ وتريدُ قَتْلي؟ واللهِ لقد هممتُ أنْ أقتلك بهذا السيف وأُلحقَك بهذه الأنعام!

أرادَ فيروزُ الديلمي أنْ يعاملَه بالتقية، وأنْ يُظهرَ له ولاءَه وتأييده له، حتى لا تفشلَ الخطةُ المرسومةُ للتخلصِ منه، لأنَّ الحربَ خدعة!

طمأن فيروزٌ الأسودَ قائلاً: لقد اخترْتَنا لمصاهرتك، وتزوجتَ ابنةَ عمي آزاد، وفضَّلْتَنا على سائرِ الأبناء هنا من أهلِ فارس، فلو لم تكن نبياً ما بعْنا نصيبَنا منك بشيء، فكيف وقد اجتمعَ لنا بك أمْرُ الدنيا والآخرة؟ فنرجو أنْ لا تسْمَعَ كلامَ أحدٍ عنا، فنحنُ معك حيث تحبّ!!.

أَظهرَ الأَسودُ موافقتَه على كلام فيروز، وقال له: خُذْ هذه الذبائحَ المئة، ووزِّعْ لحمَها على أَهلِ صنعاء، من أَبناء الفرس وغيرهم.

وبعد أَنْ وزعَ فيروزُ الديلمي الذبائح وعاد، مَرَّ بجانبِ الأَسود العنسي، وهو يكلمُ أَحَدَ قادته، فسمعَه وهو يقول للقائد: غداً سأقتلُ فيروزاً وأَصحابَه، فتعالَ عندي غداً لتشهدَ قتلَهم!!

سمعَ فيروز الكلام، وفوجئ بما سمع، وذهبَ مسرعاً إلى إخوانه المجاهدين، واجتمعت المجموعةُ المجاهدة، وقررت اغتيالَ الأسود العنسي هذه الليلة، قبلَ أنْ يأتيَ الغدُ ويقتلُهم هو.

فيروز الديلمي يتفق مع امرأة الأسود على تفاصيل العملية:

كان قائدُ المجموعة المجاهدة هو فيروز الديلمي نفسه، وكان عليه أَنْ يتصلَ بامرأةِ الأَسود المؤمنة آزاد، فهي ابنةُ عمه، وأُختُه من الرضاعة، ليتفقَ معها على خطةِ اغتيال الأسود!

التقى فيروزٌ بآزاد سراً في البيت، وأَطلعها على الأَمر، فأَخبرتْه بالحراسات المشددة على القصر، وقالتْ له: الأَسودُ مُتَحرِّزٌ مُتَحَرِّس، وليس في القصر حجرةٌ أَو غرفةٌ إِلا والحراس عليها محيطون بها، ولذلك دخولُكم عليه القصر من بابه غيرُ ممكن، ودخولكم الغرفَ والحجراتِ من أَبوابها غيرُ ممكن أَيضاً، لأَنَّ الحرسَ سيمنعونكم أو يقتلونكم!

فقط البيتُ الذي يَنامُ فيه الأَسود، يمكنُ الوصولُ إِليه، فهو داخلَ القصر صحيح، والحراسُ على باب البيتِ صحيح، لكنَّ ظهرَ البيت إِلى الطريق، والطريقُ شبهُ مهجور وغيرُ مطروق!!

ودلَّتْ آزادُ أَخاها على طريقةٍ مضمونةٍ لاغتيال الأَسود، وقالت له: ليس أَمامكم إِلاّ أَنْ تنقضوا ظهرَ البيت، وتنقبوهُ من الطريقِ غير المطروق، ونقبْهُ سَهْلٌ يمكنُ أَنْ يتمَّ في جزءٍ قليلٍ من الليل، وعند ذلك تدخلونَ عليه من (النقب) الذي تُحْدثونه في ظهر البيت، وتَقتلونه وهو نائم، وبذلك لا يعلمُ بكم الحرّاسُ على أَبوابِ الغرف!.

واتفقت آزادُ مع فيروزٍ على أَنْ يتمَّ كلُّ ذلك هذه الليلة، وستكون هي في البيت ـ غرفة النوم ـ لتساعدهم في قتلِ زوجِها الكافرِ الأسود!

وحتى تكونَ عمليةُ النقبِ من الخارج ميسورة، اتفقت آزاد وفيروز على أَنْ يقتلعا بعضَ الأَجزاءِ الداخليةِ للجدار من الداخل، والتي تعتبرُ كالبطانةِ للجدار، فاقتلعاها، ثم غَطَّيا مكانها لئلا يشعرَ بذلك أَحد!

وجلسَ فيروزٌ عند آزاد قليلاً قبيلَ خروجه، وأَثناءَ جلوسه عندها دخلَ

الأَسودُ فرآه جالساً، فانتهرَه وأَرادَ أَنْ يقتلَه، وأَخذتْه الغيرة!

فقالتْ آزاد للأَسود: لا تجعل الغيرةَ تسيطر عليك، إنَّ فيروزَ ابنُ عمي وأَخي في الرضاع، فبيني وبينَه قرابةٌ وحرمة، ولقد جاءَني زائراً!

فصاحَ الأَسودُ العنسي في فيروز وأَخرجه. لكن بعدَ أَنْ تم الاتفاقُ مع امرأته آزاد على تفصيلاتِ العملية الجها ة التي ستتمُّ الليلة!

وهكذا سيكونُ للمرأةِ المؤمنة آزاد دورٌ مهمٌّ في هذه العملية، والذي دفعها إلى الاشتراك في التخطيطِ لزوجها الأَسود أَنها مؤمنةٌ صالحة، والأَسود كافر كاذب مُدَّعٍ كاهن، وقد قَتَلَ زوجَها المؤمنَ شَهْرَ بن باذان، وقَتَلَ مسلمين كثيرين، وتزوَّجَها رغماً عنها، وهي تعلمُ أَنَّ حكمَ اللهِ فيه هو القتل، ولذلك اشتركت مع أَخيها في الرضاعة في قتله!

المجاهدون الأربعة ليلة التنفيذ:

خرج أَميرُ المجموعة فيروز الديلمي إلى إخوانه ليخبرهم بتفاصيلِ العملية، وتمَّ الاتصالُ بالمأْمونين المقرَّبين من المؤمنين ليستعدوا للأَحداثِ القادمة، ولمواجهةِ جيش الأسود بعد مصرعه!

وبعدما حلَّ الظلام توجَّهَ المجاهدون الأَربعةُ إلى الطريقِ المهجور، وقاموا بنقضِ جدار البيت من الخارج دونَ أَنْ يشعرَ بهم أحد! ونفذوا ذلك في وقتٍ قصير!

ودخلَ الأَسودُ العنسي القصر، ومَرَّ من بين الحراس الواقفين على بابِ القصر، والحراسِ الواقفين على أَبوابِ الغرف داخلَه، وذهبَ إلى بيته، الخاصّ في القصر ـ غرفةِ نومه ـ وكانت امرأتُه في استقباله.

قدَّمتْ له طعامَ العشاء، وبعدما تعشّى شربَ الخمر حتى سكر، ثم ذهبَ إلى فراشه لينام، وما هي إلاّ لحظاتٌ حتى غطَّ في نومٍ عميق. أمّا امرأتُه فقد بقيتْ مستيقظة، لأنها تنتظرُ تنفيذَ حكم الله فيه!

فيروز الديلمي يصرع الأسود العنسي منتصف الليل :

وعند منتصفِ الليل دخلَ فيروزٌ الديلمي البيت، فوجد المرأةَ آزاد مستيقظةً تنتظر، ونظرَ فوجدَ الأسود نائماً في فراشٍ من حرير، وقد غرقَ رأسُه في جسده . .

نظرَ إليه فوجدَه يغطُّ غطيطاً شديداً . . وأيقظَه الشيطان، وفتحَ عينيه، فخاطبَ فيروزَ قائلاً : مالي ولك يا فيروز؟

فوجئ فيروزٌ بذلك، وخشيَ أنْ يصحوَ الأسود ويَصيح، ويستدعي الحرسَ على الباب، وبذلك تفشلَ العملية . .

سارعَ فيروزُ الديلمي بالهجومِ على الأسود العنسي وهو نائم وضرَبَه بالسيف، وأَخَذَ برأسه، ودقَّ عنقَه، ووضعَ ركبته في ظهره فدقَّه ـ وكان فيروز قوياً شديداً ـ وصرعه، وقامَ ليخرجَ من النقب حيث ينتظره إخوانُه الثلاثة!

أمسكت آزاد بثوبِ فيروز، وظنتْ أنه لم يقتلْه وأنه يريدُ أنْ يهرب، فقالت له : أينَ تذهب وتتركني هنا؟

قال لها : أُريدُ أنْ أدعوَ إخواني!

دخلَ المجاهدون الأربعة الغرفة، وأرادوا حَزَّ رأسِه بالسيف، فحركَه الشيطان، واضطرب، فقالَ لهم أميرُهم فيروز : اجلسوا على صدره!

جلسَ اثنانِ على صدره، وأخذَ آخر بشعره، وأمسكَ فيروز بالسيف ليقطعَ رأسَه، وصارَ الأسودُ يصيح، فكتموا صوته، وملؤوا فمَه بالثياب، ولما حَزَّ فيروز رأسَه بالسيف خارَ كخوارِ الثور، وصرخَ بصوتٍ عالٍ جداً، وقطعَ فيروز رأسه!

امرأة الأسود تسخر بحراسه : نبيكم يوحى إليه :

وسمع الحرسُ من جنودِه الذين على البابِ صياحَه، وأرادوا أنْ يدخلوا لإنقاذه، وظنّوه في خطر، ولو دخلوا لقضوا على المجاهدين الأربعة، فنادوا امرأته من وراء الباب : ما هذا؟ ما هذا؟

فتصرفتْ آزاد بحكمة، وأجابتْهم إجابةً عجيبة، كلُّها سخريةٌ بهم وضحكٌ عليهم: قالت لهم: إنه النبيُّ يوحى إليه!!

أي: إنَّ نبيكم يوحى إليه الآن، والصوتُ الذي سمعتموه الآنَ هو صوتُ الوحي، وإذا دخلْتُم أفسدتُم الوحي! فأرجو أنْ لا يدخلَ منكم أحد!

اطمأنَّ الحراسُ على سلامةِ نبيِّهم الأسودِالعنسي، ووقفوا على الباب يحرسونه، وهو يتلقّى الوحي!!.

وما درى هؤلاء السذجُ أنَّ الله أنفذَ حكمه في هذا المدعي الكذاب، الكافر الظالم، وسخَّرَ له مجموعةً مجاهدةً صالحة أزهقت روحَه، وأراحت المسلمين من شره.

وأمضى المجاهدون الأربعة ليلَتَهم في بيتِ الأسود بعد هلاكه: فيروز، وداذويه، وجِشْنَش، وقيس بن مكشوح.

لقد نجحت العمليةُ الجهادية، وقَتَلَ اللهُ هذا الكذاب، وهاهو جثةٌ أمامهم، لكن كيف يتصرَّفون بعد ذلك؟ وكيف يَقضونَ على حراس الأسود وجنوده؟ وكيف يُخبرون المؤمنين الصالحين؟

أذان الفجر يعني نجاح العملية الجهادية:

اتفقوا على أنْ يكونَ الإعلانُ عن هلاك الأسود العنسي مع أذان الفجر.

كانَ الأسودُ العنسيُّ في أثناءِ حكمه القصيرِ لصنعاء قد أَمَرَ بتغييرٍ في كلمات الأذان، حيث حذفَ اسمَ النبيِّ محمدٍ ﷺ، ووضعَ اسْمَه هو مكانه! فكان المؤذنُ يؤذنُ قائلاً: أشهدُ أنْ لا إلـه إلاّ الله، وأشهدُ أنَّ الأسودَ رسولُ الله!!..

كَلَّفوا داذْويه الديلمي أنْ يُؤَذِّنَ هو أذان الفجر، الأذانَ الإسلاميَّ الصحيح!

وكان رفعُ الأذانِ الصحيح هو كلمةَ السّرِّ بين المجاهدين الأربعة وبين جمهورِ المسلمين الصالحين في صنعاء، فإذا سمعوه عرفوا أنَّ الأسودَ قد قُضيَ

عليه، وما عليهم إلاّ أنْ يُهاجموا جيشَه في صنعاء!

وعندما طلعَ الفجرُ صعدَ داذْويه على قصرِ الأسود، ورفَعَ الأذان: الله أكبر . . الله أكبر . . الله أكبر . . الله أكبر . . أشهدُ أنْ لا إلـه إلاّ الله . . أشهد أن لا إلـه إلا الله . . أشهد أنْ محمداً رسول الله!! أشهد أن محمداً رسول الله!!! . . .

سمعَ المسلمون الأذانَ فحمدوا الله على ما أنعمَ به، وعلموا أنه تَمَّ قتْلُ الأسودِ العنسي الكذاب، وحملَ كلٌّ منهم سلاحَه، وتوجَّهَ نحو القصر ينصرَ المجاهدين وَيقضي على جيشِ الكافرين!

وسمعَ حراسُ الأَسود وجنودُه الأَذان، وفوجئوا به، وتجمَّعوا حولَ القصر، ونظروا إلى المؤذن ومن حولَه: إنهم من المقرَّبين عند الأَسود: فقيسُ بن مكشوح هو قائدُ جيش الأسود، وهو واقفٌ بجانب المؤذن، وفيروزُ الديلمي هو قريبُ الأَسود بالمصاهرة، مقرَّبٌ عنده أيضاً، فما الذي جرى؟ وأينَ النبيُّ الذي يؤمنون به: الأَسود العنسي؟

رأس الأسود تحت أقدام جنوده وهزيمتهم:

لم يتركْهم أميرُ المجموعة فيروز الديلمي في حيرتهم، فوقفَ فيهم، ونادى بأَعلى صوته: أَشهدُ أَنْ لا إله إلاّ الله، وأَشهدُ أَنَّ محمداً رسولُ الله، وأَشهدُ أَنَّ الأَسْوَدَ العَنْسِيُّ عَبْهَلَةَ بْنَ كعبٍ كَذّابٌ عدوٌّ لله، وقد قَتَله الله!!

وتناولَ رأسه، وأَلقاه من على سطحِ القصر، فتدحرجَ الرأسُ بين الحراس والجنود!!

وتجمعَ المسلمون حولَ القصر فرحين مستبشرين شاكرين لله. . وأَرادَ الحراسُ والجنودُ أَن يبطشوا بالأربعةِ الواقفين على سطحِ القصر، لكنهم رأوا المسلمين يتزايدون ويتوافدون حول القصر. .

وَفَتَّ في عضدِهم مقتلُ زعيمهم الأسود: فمنْ أَجلِ مَنْ يقاتلون، وها هو رأسُ زعيمِهم الكذابِ تحتَ أَرجلهم؟!!.

فما كانَ منهم إلاّ أَنْ وَلَّوا الأدبار، وفرّوا من القصر وما حولَه . . وحلَّ محلَّهم المؤمنون الصالحون، الذين جاؤوا لنصرة فيروز الديلمي وإخوانه المجاهدين!

وأَصدرَ المجاهدون أَوامرهم لأَتباعهم المؤمنين بملاحقةِ جنودِ الأَسود وإلقاءِ القبضِ على مَنْ يَقدرون عليه منهم! وقالوا: يا أهلَ صنعاء، مَنْ دخلَ عليه داخلٌ من جنودِ الأَسود فاقبضوا عليه! ومَن كان عنده أَحدٌ من جنودِ الأَسود فلْيمسكْ به!! ومَنْ مَرَّ بأَحَدٍ من جنود الأسود في الطريق فلْيقبضْ عليه!!.

ونشطَ المؤمنون في ملاحقةِ جنود الأَسود، وقبضوا على مَنْ قدروا عليه . . وفَرَّ جنودُ الأَسود خارج صنعاء منهزمين.

عودة اليمن للإسلام وابن جبل والٍ عليها:

وما أَنْ أَشرقَتْ شمسُ ذلك اليوم المبارك، حتى عادَتْ صنعاءُ إلى الإسلام، وقُضيَ على الفتنةِ الخطيرة التي جاءَ بها المتنبئ الكذابُ الأسودُ العنسي (عبهلة بن كعب بن عبد يغوث)، بفضْلِ الله سبحانه، ثم بجهودِ المجموعةِ المجاهدة بقيادةِ فيروز الديلمي، التي أَحسنت التخطيطَ الجهاديَّ للتخلصِ من ذلك الكذاب.

وكانت فتنةُ الأَسودِ العنسي في اليمن قصيرةً جداً من حيثُ الزمن!

قالَ الضحاكُ بن فيروز الديلمي: كان ما بين خروجِ الأَسودِ العنسي بقريةِ (كهف خبّان)، ومقتلهِ في صنعاء، نحواً من أَربعةِ أَشهر!

أَربعةُ أَشهرٍ فقط مدةُ فتنةِ الأسود العنسي . . حكمَ فيها وطغى وبغى، وكفرَ وظلمَ وقتل، وادّعى النبوة، واستعانَ بالشياطين . . وفُتِنَ به مَنْ آمَنَ به وصَدَّقَه، وثبتَ على الحقِّ مَنْ ثبت . . ثمَّ انتهتْ تلك الفتنةُ بسرعة! وعمرُ الباطلِ قصير، سرعانَ ما ينتهي، والمؤمنُ لا يغترُّ بمظاهرِ قوته وانتفاشِه، لأَنه يعلمُ أَنه إلى زوال!

وبعد ما استقرَّ الأَمْرُ للمسلمين في صنعاء، استدعى فيروزُ الديلمي معاذَ بن

جبل رضي الله عنه، الذي كانَ عند قبائل (السّكون) يُثَبِّتهم على الحق، فجاءَ معاذٌ رضي الله عنه إلى صنعاء، وكان أَميراً عليها، يصلّي في الناس، ويَحكُمهم ويُنظمُ أُمورَهم.

الرسول يخبر الصحابة بنجاح العملية الجهادية:

وكتبَ فيروزُ الديلمي بالخبرِ إلى رسول الله ﷺ، يبشرُه فيه بانتهاءِ فتنةِ الأَسود العنسي، وعودةِ اليمن للإسلام!

ولكنَّ اللهَ أَعلمَ رسولَه ﷺ بالخبرِ مباشرة، وعلمَ رسولُ الله ﷺ بمقتلِ الأَسودِ قبلَ طلوع الفجر، وقبلَ أَنْ يعلمَ به أَهلُ صنعاء!!.

قالَ عبدُ الله بن عمر رضي الله عنهما: أَتى الخبرُ النبيَّ ﷺ من السماء، في الليلة نفسها التي قُتِلَ فيها الأَسودُ العنسي.. فلما صلَّينا الفجرَ بَشَّرَنا رسولُ الله ﷺ، فقال: قُتِلَ العَنْسِيُّ الليلة، قتلَه رجلٌ مبارك من أَهلِ بيتٍ مباركين!

قلنا: مَنْ هو يا رسول الله؟

قال: هو فيروز! فازَ فيروز!!

وكان هذا في آخرِ أيامِ النبيِّ ﷺ، فما عاشَ ﷺ بعدَ ذلك إلاّ يوماً وليلة!

وبينما كان أَهلُ صنعاء فرحين بعودةِ اليمن إلى الإسلام، وزوالِ الردة، وانتهاءِ فتنة الأسود، فوجئوا بالخبرِ المفجعِ يأْتيهم من المدينة، خبرِ وفاةِ رسول الله ﷺ! فعمّهم الحزنُ والأَسى.

قالَ فيروز الديلمي: قَتَلْنا الأَسودَ العنسي، وأَرسلْنا إلى معاذِ بن جبل، وتراضَيْنا عليه، وكان يصلّي بنا في صنعاء..

وواللهِ ما صلَّى بنا إلاّ ثلاثةَ أَيام، حتى أَتانا الخبرُ بوفاةِ رسول الله ﷺ!!

* * *

المَـــرَاجع

١ ـ أبطال عقيدة وجهاد، للدكتور أحمد الشرباصي .

٢ ـ الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني .

٣ ـ البداية والنهاية في التاريخ، لابن كثير .

٤ ـ تاريخ الرسل والملوك، لابن جرير الطبري .

٥ ـ تفسير القرآن العظيم، لابن كثير .

٦ ـ دلائل النبوة، للبيهقي .

٧ ـ السيرة النبوية، لابن هشام .

٨ ـ صحيح البخاري .

٩ ـ صحيح مسلم .

١٠ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر .

١١ ـ في ظلال القرآن، لسيد قطب .

١٢ ـ قادة النبي ﷺ، لمحمود شيت خطاب .

١٣ ـ قصص من حياة الرسول ﷺ وأصحابه، لمحمد علي دولة .

١٤ ـ الكامل في التاريخ، لابن الأثير .

١٥ ـ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ـ القاهرة .

١٦ ـ مغازي الواقدي .

١٧ ـ مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني .

❊ ❊ ❊

الفهـــرس

الموضوع | الصفحة

* * *